[illegible] محمد [illegible]
قد علقنا [illegible]
تفسیر کشاف

تفسیر کشاف

۱

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم بالله

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة
مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وغايات
وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم
كل شيء سواه بالحدوث عن العدم انشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات
وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب
السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين الكتب على كل لسان في كل مكان
افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد
للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم
على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع
اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة
عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم
بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق
لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان
الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب ابن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي
المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل الهادي المكتوب في التوراة والانجيل
وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان
متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية
ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي
تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل
حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات
من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة
وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك
حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املأ العلوم
بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق
سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم
القرآن فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة
الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري

اوعظ

اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى
احد منهم لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين
بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته
على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان
يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات
قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك
مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها
منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر
مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى
مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رأيت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية
العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض
الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك
حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في
وجوه التأويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد
والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه
كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد
هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسألة في الفواتح
وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب
وانما حاولت به التنبيه على غزارات نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه
فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي
بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين
الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت
الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله
ابي الحسن علي بن حمزة ابن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم
وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشى واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة
غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم
ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفي الحيل وعيت بها العلل ورأيتني
قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سماها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في
طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ

منه في عهد خلافة ابي بكر الصديق فكان يقدر عمّا فهم اكثر من ثلاثين سنة وما هي الا اية من الاف
هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله ان يجعل كلما نقبت فيه
منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى من بين يدي وبيميني ونعم الوكيل المسئول سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مدنية وقيل مكية ومدنية

لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله
ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني
لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لانها تكون فاضلة مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي
سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر الاتمام

قرّاء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها
من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدي بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب
ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على
انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها
السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما
اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى فان قلت
بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما
ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل
وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره
في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك
قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت
ومنه قوله شعرا فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الانس الطعاما فان قلت
لم قدرت المحذوف متأخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم
كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى
اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك
نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها فان
قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها
اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان
احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله
لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله كل امر ذي بال لم يبدأ فيه

بسم

باسم الله فهو ابتر وان كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان
يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول
الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان
قلت فكيف قال الله متبركا باسم الله اقرأ قلت هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل
الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين الخ وكثير من القرآن على هذا
المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان
قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت
السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة
وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة
للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا
همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة
لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم
يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم
الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه
كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل
للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبر قشر النخلة الاعلى فان قلت
فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون
الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن
عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله
قال معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال ان المنايا يطلعن على
الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع
كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل
ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام
القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود
بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتقوا تأله واله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من
الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به
لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته
تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف
بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين

فهما عكما بمعنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير ومن أخواته دله وعله
ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر
الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فإن قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت نعم قد ذكر
الزجاج أن تخيرها سائغ وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر
والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض
وسقيم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا
ويقولون إن في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على
أذني من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل
العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه
الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات
الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما أن الله من الأسماء الغالبة
وأما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه وأنت غيث الورى
لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فإن قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا
قلت أقيسه على أخواته من بابه أعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه فإن
قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان
فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له
مؤنث على فعلانة كندمانة فإذا لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع
إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فإن قلت ما معنى وصف الله بالرحمة
ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها
قلت هو مجاز عن إنعامه على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه
وإنعامه كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فإن قلت فلم قدم
ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم
نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها
أردف الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد والمدح أخوان وهو الثناء
والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه
وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال أفادتكم
النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ومنه
قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان
والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل

الجوارح

الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد
نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله
وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي ينصبها العرب بأفعال
مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ
الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون
استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على
ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة
على أن إبراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام
دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل إياك نعبد وإياك نستعين
لأنه بيان لحمدهم له كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد فإن قلت ما معنى
التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الإشارة
إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو والعراك ما هو من بين أجناس الأفعال والاستغراق
الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لإتباعها اللام
وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الحمد لله بضم اللام لإتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والإتباع
إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما
مقترنين وأشف القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى
بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لأبي سفيان لأن يربني رجل من قريش
أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو
نم ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده
وهو في غيره على التقييد بالإضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع إلى ربك
إنه ربي أحسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح
وقيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة
والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الأجسام والأعراض فإن قلت لم جمع قلت ليشمل
كل جنس مما سمي به فإن قلت هو اسم غير صفة وإنما يجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في
حكمها من الأعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ
ملك يوم الدين ومالك يوم الدين وملك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة ملك يوم
الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ أبو هريرة مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على
المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم
ولقوله ملك الناس ولأن الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت

لكانت ولم يبق سوى العد وان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت
هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة
اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم
فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف
ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما يكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال
وكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك
هو مالك عبده امس وزمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك
مولى العبيد وهذا هو المعنى في قولك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين
كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة
ملك يوم وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم
شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق
ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص
الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه
بالحمد والثناء عليه بما هو اهله اياك ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف
والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل
لها في الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه
المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب
فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني
اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك
بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي
فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية
الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ
الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة
الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت
امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبا جاءني وخبرته عن ابي الاسود
وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب
كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد

نعبد وايا نستعين
اياه

يختص

يختص موقعه بفنون ومن ذلك على ما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات
العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب
ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة
لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق
العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب
به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت
العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها
فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد
الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كيف
كانه قيل اعينكم قالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه
بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله
ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة
اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى
بمنح الالطاف كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد
منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا الصراط الجادة من سرط الشيء
اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين
صادا لاجل الطاء كقوله مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصاحهن
اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب
ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت
عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم
اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير
والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط
المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان
فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك
ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل
فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان
فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المومنون
واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت

كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم
فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط
الذين انعمت عليهم

عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط
من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا
من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف
وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على
اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي
يأبى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب
ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله
من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى
غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك
اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم
الاولى وعليهم الثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية
فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا
مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن علي وعمر رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين
وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في
الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل
الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن
ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها
قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل
عليه السلام آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل
انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور
عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع
بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لأبي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل
والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته
وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من
صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

الم الفاظ
التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته

ولا الضالين ح غيره

قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ح

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ح

وكذا

وكذلك ا ب اسمان لقولك اب وقد روعيت في هذه الالفاظ التسمية لطيفة وهي ان المسميات
لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى
ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة
مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة
والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد
فيقال الف لام ميم كما يقال واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف
وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه
بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي
على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب
فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه
الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد
استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى
التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في
اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك
الف دلالته على اوسط حروف قال ودلالة فرس على الحيوان المخصوص لا
فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا
كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم
كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع
ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال
الخليل يوما وسأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في
لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف
وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء
فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلأن يميلوا
الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي
قبيل هي من الاسماء أمعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما
من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل ان سكونها وقف وليس بناء
انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين
فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقيل هذه باء وياء
وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لا كذا

التسمية ح

هذا
لموا الخيل نضيلها لحظته من الذبل والنبك ان فضرت منتجاه وسدت حين جنبها الاعراب ان
حال البتحي خليقة بالاحف الاوجه واشعاما لها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسما لحروف
المعجم وانها من قبيل المعربه وان سكونها اجلا عند الهجاء لاجل الوقوف فما وجه دفعها على
هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور
وقد ترجم صاحب الكتاب الذي كسر على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور ومضى في الباب
ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب
وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسما عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس
فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها ان يفتح نونها وتصير ميم ضموما
الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدار ابجرد فالنوع الاول يحكى لا غير واما النوع الثاني فانه يجوز فيه
الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد ابن طلحة السجاد وهو شريح ابن اوفى العبسي العبسي
يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كلما اعرب من
اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله
على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمران وبدأت بالحمد وقرأت سورة انزلناها وقد
وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون
غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال اخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي فروي
مضموما ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه
سمعت من قال العرب لمن قال انخ يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرا صاد وقاف
ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه
التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه
مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا يس
ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرئ من ومن ولا الضالين فان قلت
هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن حذف حرف
على الحذف والايصال الفعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبي له الله ناصح ومن قلبه لي في الظباء السوانح وقال الاخر فذاك
اما انه انتريد قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك
لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل
والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواو الاولى والاخريان ليستا بمنزلة الاولى
ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة
الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما
اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاولى على شيء لجاز ان يستعمل كلاما اخر فيكون

كقولك

كقولك بالله لافعلن لا فعلن والله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول هذا وحقك والحق لافعلن والله والاخر لي و
ثم لا تعرف الاستكراه كما قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ها هنا بمنزلة الواو ان يقول
وهذا السبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب بصدده
فان قلت فقد جاء مجرورة باضمار الباء القسمية لا تجد فيها فقد جاء عنهم الله لافعلن
مجرورا نظيره قول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا
لا ابوك عزتها فتحت في موضع الجر لكونها غير منصرفة وفيه وجه ان تجعل
الواو للعطف حتى يستبين لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب
ويعضده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان
قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك
لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحركات ان الوقف لما استمر بهذه الاسماء
شاكلت لذلك في اخرها ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الان واخرى ما اجتمع
معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي في الحكاية مثل ما سوغت لي في الاعراب
من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان يقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا
حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله
عليه السلم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالنصب والجر جميعا على حذف الجار واضماره فان حم
قلت ما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار
بان الفرقان ليس الا كلمات عربية معروفة والتراكيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز
من قائل قرانا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها
لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة
متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع في الكتابة الحروف
انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة
السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر بالبال
هو عليه من مورد واحد وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي يبنى
عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان وقوع اللبس فيها
اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم
في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته
اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ على نمط التعديد كالايقاظ
على التحدي كالاستيطال وقرع العصا لمن تحدى بالقران وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في هذا الذي تلي
عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا
ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام

ونكاء الحلوه وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد
والرجز ولم يبلغ من الجزاله وحسن النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق
ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس من كلام
البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزلة
ولناصره على الاول ان يقول ان القران انما نزل بلسان العرب مصبوبا على اساليبهم وكلامهم
والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة والقول
بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى
واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له
محملا سويا لما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول
الرجل لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله وانه نظير قول الناس فلان يروي
~~قفا نبك من يقول الله ورسوله~~ ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض
وليست هذه الجمل باسامي لهذه القصائد وهذه السور والاي وانما تعني رواية القصيدة
التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الاية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على سنن
من تقييد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون
الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء
فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة
حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما
حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او بيت
شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء
حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السور كلها بفاتحتها فليس بتصيير الاسم والمسمى بتصييره
وحال انها تسمية مؤلف بمؤلف والمؤلف غير المفرد الاول انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن
حرفين مضمومين اليه فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى
مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا
بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب
فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا
بمن خط وقرا وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها
استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكوره
في القران التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في انه ذلك حاصل له من جهة

الوحي

الوحي وشاهد بصحة نبوته ومعتبر له ان يتكلم بالرطانة من غير ان سمعها من احد ولعلم انك اذا بسمعها
تاملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف
المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين
والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت
في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من
المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام المجهوره
والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف
والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والرخوه
والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام
والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية
نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء
والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها
القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه
الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الله الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت
ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله للطايف
عز وجل عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم
والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف
واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة
وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم
وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القران وما لها جاءت
مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده
في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره
مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القران فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس
وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها
فوردت ق وص ون على حرف واحد وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر على
ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحمعسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة
افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف
وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص ذلك
كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية هذا

الغرض سوى لا مفاضلة كان بطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعفل وولده زنكا
فالآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولذلك هذا بزيد وهذا بعمرو لان الغرض هو التميز وهذا حاصل
ايتهما سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب
وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون
بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت
من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في سورها
الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان
وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا
شيئا منها آية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن
وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف
قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا
لم تجعل اسماء للسور ونعقت بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله
عز وجل الم الله ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب
قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر اسماء الاعلام فان قلت
ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر
فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور
لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدودة
فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد
ما سبق التكلم به وتقضى والمقتضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث
ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى
لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل اليه وقع
من حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك
الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهي السورة قلت
لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه
مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك وان
جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة
له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعمى على الهجران عاتبة
سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت
ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره

وبالجملة

وبالجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص
وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في
الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة
ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا
ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان
جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب
الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه
الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب
مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روي الحسن بن
علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة
وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا
صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من
نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل
الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا
للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع
فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد
وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يجزوا انفسهم ويروزوا قواهم
في البلاغة هل تتم المعارضة ام تضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها
غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق
لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد
وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور
الدنيا لانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا
العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة
توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا
على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله قالوا لا ضير وقول العرب لا باس
وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى
والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي

[illegible]

آية في
تعلق
اي هذه الم
والمقتضي
ام
التقوى
صلى الله عليه
مزيلهم

في موضع المدح كمهتدٍ ولأن اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله
ألا ترى إلى نحو غمّه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك فإن قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون
مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب الزيادة
إلى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سمّاهم
عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلعم من قتل قتيلا فله سلبه وعن
ابن عباس إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة
فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا إلا
فاجرا كفارا أي صائرا إلى الفجور والكفر فإن قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لأن الضالين
فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى
فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي أن يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة
عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضا فقد جعل ذلك سلما إلى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين
وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها إذا
أصابها ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر فهي تقي حافرها أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه وهو في اللغة
الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح أنه
لا يتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال
والمتقي لا يطلق إلا عن خبرة كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لأنه
خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدأ إذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه
ويجوز أن ينصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة
أن يضرب عن هذه المحال صفحا وأن يقال إن قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم
مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد
أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف
نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا
إلى الثالثة والرابعة بيان ذلك أنه نبّه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب
المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده ثم نفي عنه أن يتشبث به طرف
من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما
للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا
ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل

[هامش: الفجور — فتعين — منه — نفسه تعاطي — معتنق — تتبختر]

من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت
هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه وفي الثانية
ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف
ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وإيراده منكرا والإيجاز في
ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه
الذين يؤمنون إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة أو مدح منصوب أو مرفوع
بتقدير أعني الذين يؤمنون أو هم الذين يؤمنون وإما منقطع عن المتقين مرفوع
على الابتداء مخبر عنه بأولئك على هدى فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين
حسنا غير تام وإذا كان منقطعا كان وقفا تاما فإن قلت ما هذه الصفة أواردة
بيانا وكشفا للمتقين أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها أم جاءت على سبيل المدح
والثناء كالصفات الجارية على القديم قلت يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف
لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات أما الفعل فقد
انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لأن
هاتين أمّا العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله صلعم الصلوة عماد
الدين وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الإسلام وقال الله تعالى
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر
العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بأن استغنى عن عد الطاعات
بذكر ما هو كالعنوان لها والذي إذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به مع ما في ذلك من
الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك فكفى دليلا عليه ما في قوله تعالى إن الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل أن لا يكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل
الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل أن يكون مدحا للموصوفين
بالتقوى وتخصيصا للإيمان بالغيب وإقامة الصلوة وإيتاء الزكوة بالذكر إظهارا لفضلها
على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والإيمان إفعال من الأمن يقال أمنته
وآمنته غيري ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وأما تعديته
بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما
وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون
بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا يكون بالغيب صلة للإيمان وأن يكون
في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب كقوله الذين يخشون
ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلعم

[هامش: الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون — ام مسرودة — رسول الله — الموصوفين — لا نافهام — وآمنته]

وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد كان بيّنًا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من
إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية فإن قلت فما المراد بالغيب إن جعلته صلة وإن جعلته حالًا قلت
إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبًا كما سمي الشاهد بالشهادة
قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبًا وعن النضر بن شميل
شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية إذا
بطنت الدابة انتفخت وإما أن يكون فيعلًا فخفف كما قيل قيْل وأصله قيّل والمراد به
الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه نحن ما أعلمناه أو نصب
لنا دليلًا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع
وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير
ذلك وإن جعلته حالًا كان بمعنى الغيبة فإن قلت ما الإيمان الصحيح قلت
أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل
فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ومعنى إقامة الصلاة
تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود
إذا قوّمه أو الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وجل الذين هم على صلوتهم دائمون
والذين هم على صلاتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال أقامت غزالة
سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي
يتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصّلون وإذا عطّلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد
الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توانٍ
من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط
أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام
وبالركوع وبالسجود وقالوا سبّح إذا صلّى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين والصلاة
فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين
لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفّر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند
تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصلّ تشبيهًا في تخشعه
بالراكع والساجد وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يحق
أن يضاف إلى الله تعالى ويسمى رزقًا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفًّا عن الإسراف
والتبذير المنهي عنه وقدّم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض
المال الحلال بالتصدق به وجائز أن يريد به الزكوة المفروضة لاقترانه بأخت الزكوة
وشقيقتها أعني الصلوة وأن يراد هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير لمجيئه مطلقًا يصلح أن يتناول كل

منفق

منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكلما جاء مما فاؤه نون
وعينه فاء فدالّ على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت فإن قلت
والذين يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسّط العاطف كما يوسّط بين
الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة
في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل أن يراد بهؤلاء
مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل إيمانهم على كل وحي
أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقانًا زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة
إلا من كان هودًا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات واجتماعهم على
الإقرار بالنشأة الأخرى وإعادة الأرواح في الأجسام ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال
تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه
آخرون فزعموا أن ذلك إنما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالد
والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون إلا بالنسيم والأرواح العبقة والسماع
اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف
غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسّط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين
تلك الصفات وهذه فإن قلت فإذا أريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون
في جملة المتقين أم لا قلت إن عطفتهم على الذين يؤمنون دخلوا وكانت صفة
المتقين مشتملة على الفريقين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وإن عطفتهم على المتقين
لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك فإن
قلت قوله بما أنزل إليك إن عني به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك
منزلًا وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وإن أريد به المقدار الذي سبق إنزاله
وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع سالفه ومترقبه
واجب قلت المراد المنزل كله وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبًا
تغليبًا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال
أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولأنه إذا كان بعضه نازلًا وبعضه منتظر النزول
جعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى
ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلًا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره كله قد نزل وانتهى
نزوله ويدل عليه قوله إنا سمعنا كتابًا قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء إلا
وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي فحسب دون الآتي لكونه معقودًا بعضه ببعض ومربوطًا
آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله

والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون

قولك هو — *بالغيب* — *عطفتهم*

وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة
على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من امن بما
انزل الله اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه
والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار بدليل
الاخرة فهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى
حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرا ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو
كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذا اضاءهما
الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدا والا فلا محل اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون
لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت
به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بان الكتاب لهم هدى
اتجه للسائل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون
بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السوال المقدر وجي بصفة المتقين المنطوية تحتها احوالهم
التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ما لا يفعل بمن ليس على صفتهم اي الذين هولاء ويفعل بهم
عقايدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله
الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة وان جعلته للمحبة
تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا
بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى
عاجلا وبالفلاح اجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف يجي تارة باعادة اسم من استونف
عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة
الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري
الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره قلت
نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا
بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله
وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل
لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا
فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا
مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به
شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم

لحى الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش ان يلقى لبوسا ومطعما
ولله صعلوك يساور همه
ويمضي على الايام والدهر مقدما
فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة
ولا شبعة ان نالها عد مغنما

جعل

جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منح من عنده
واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل
فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى بمقادر
كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد
لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة والكسائي وحمزة ويزيد وورش
في روايته والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي
عنه روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة
لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت
كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا
فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة
وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل
وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب
ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر
اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك
انهم مفلحون في الاخرة فانك اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت
من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت
صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة
كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو
فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق
شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك
ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن
الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والمتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم
اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز
بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه
قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته
في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم
لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر
اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء

ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن
قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الاي الكثيرة
قلت ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة
لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين
تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت
ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته
بكلام اخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الاي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام
المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له
في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري
عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي
لهب وابي جهل والوليد ابن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا
كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وغيرهم
وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه
خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل
ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم ابوه وابن عمه او يكون
انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه
والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا
الكلام قلت هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا
العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك
وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما
لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى
الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما ان ذلك
جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان
احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ
أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف
بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته
على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو

لاحن

لاحن خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول
حرف لين والثاني مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق
تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة
المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت
ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم
الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل
اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء
كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت
لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة
والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من
قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه
وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله
المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين
الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا
من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين
الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر
واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نقر فان قلت فلم اسند الختم الى الله
تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن
فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما
انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك
مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى
الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي
الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف
يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الاية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط
بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان يضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال
به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا
في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال
من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم
الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها

ويقال قلوب مقفلة ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقهه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل على حقيقته وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال الخليل

افاد ذلك في المقدمين بتعبيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمنون ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان تكون حكاية لما كان الكفرة يقولون تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا فيعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولهم ثوبهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل يمنع ابو عمرو والكسائي من امالة ابصارهم لما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كانها حرفان كسرتان وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار

والاستبصار

والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وغشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس لقولهم انسان واناس وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت بني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال صدقوا ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت جمع الفريقين معا صيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما

انما تنوعت المغايرات وتفاوتت من بعضها وبعض وتلك المغايرات كلها انما تاتي بالموعبة ولا يأبى الا توحد تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا واليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم امنا بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم احتازوا الايمان من جانبيه واكتنفوا قطريه واحاطوا باوله واخره وفي تكريرا لباء انهم ادعوا كل واحد من الايمان على صفة الصحة والثانية في ذكر شان الفاعل لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان يكون طائفة من طوائف المومنين لما علم من حالهم المنافقة لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانفسهم انهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك الدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الاخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدايم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب اخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمومنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمومنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء التعبير باحد ولم يات الخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنيعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنيع الخادعين وصورة صنيع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار وكذلك صورة صنيع المومنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبيح فلم يبعد من مثله

ولا حكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمومنين قولهم امنا بالله وباليوم الاخر والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل

على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها

يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون

يرجى ان يخدع عنه

صنيعهم

العليم

تخوز

بجوز ان يكون الكلام في تفخيم عمه وجلي وعلو صنابا بالمكروه من وجه خفي ويجوز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله تعالى ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم بعض خاصته الذين قولهم قول الملك ورسمه رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المومنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيدا لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب يباريه لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت علم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفرة ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المومنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخدعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لا نقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون

يقال

ويمنيهم

ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم
فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به
الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط
حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقته نفس الرجل بمعنى عين اصابته
نفسه كقولهم صدته الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رايان
وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس وهاجسي النفس وسموهما نفسين
اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما
بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع
لاحق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم
وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق
ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال الاعتقاد والغل
والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك
مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في
قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على
رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله
قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح
فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما يدخل قلوبهم من الضعف
والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام
تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس عند انزال الله على
رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت
جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على
رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه
اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد
رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت
قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع
وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف

العذاب

العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة
للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز الى قبح الكذب
وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحو قوله تعالى مما خطيئاتهم
اغرقوا فادخلوا نارا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها
والكذب الاخبار عن الشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات
الله عليه انه كذب ثلاث كذبات وقرئ يكذّبون من كذّبه الذي هو نقيض صدّقه او من
كذّب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان
الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص او بمعنى الكثرة كقولك موّتت البهائم وبرّكت الابل او من
قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد
في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين
الغنمين تعير الى هذه مرة واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على
يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه
والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو
الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في
ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية
والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيئ حرب الفساد
وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمالئون الكفرة ويمالئونهم على المسلمين
بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من
صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا
تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما
ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون
ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجوه
الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها
والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب
من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما
من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك
والذي رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم
والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلمتي التنبيه والتاكيد الا وان من التاكيدين وتعريف

انه كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به

والى هذا يرد قوله ... في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

لخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون آنوهم في المفسدة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا
عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني في تبصيرهم الطريق الاسد
من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من فحوى جوابهم ان سفهوهم لفرط
سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان
قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح
قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه
قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه
زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان يكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما
رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون
او عبد الله ابن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم
واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس
على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن
في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا
قد سعى بك فيقول اوقد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم
على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم
واعقل الناس وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف
انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن
الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء
ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفها تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله ابن سلام
واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل
التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة
الحلم فان قلت لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان
امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال
حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في
الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم
وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه
وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له وسيقت هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة
المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا
يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم

يكتسب

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون

انهم

انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطارهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله ابن ابي واصحابه
خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء
عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه
وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله
ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته
اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي وملاصقي وقرأ ابو حنيفة واذا لاقوا وخلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك
ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به
ومعناه اذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما يقول احمد اليك فلانا واذمه
اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع
من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد
لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل
انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة
الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين
واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في
الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم
باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج
عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني
المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا
آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على
اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما
قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فان قلت اني تعلق قوله انما نحن مستهزئون بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه
الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزئون ~~منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان~~
~~قلت اني تعلق قوله انما نحن مستهزئون~~ رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به
منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر او استئناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا
توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة
من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت

شطارهم
في الغار
وختنه
والانصار
منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد قال قلت اني تعلق قوله انما نحن مستهزئون

لاهزئن على مكانك وتالله تهزأ به اي تسخر وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال
عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزؤا قال اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه
الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية بمن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق
كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم
والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان
يراد به ما مر في يخادعون الله من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار
ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمي جزاء الذنب والمخادعة ومنه
ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه
له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي
يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج المومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت
فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت لان يستهزئ يفيد
حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة
بهم ولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار
وتكشف اسرار وتزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم ويحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم يعمهون
من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها
ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا
واصله بالوسواس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد
دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة
ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم في الغي على ان الذي بمعنى امهله انما
هو مد له كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل
الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله
الطافه التي يمنحها المومنين بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة
فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه
مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما ان يسند فعل الشيطان الى الله
لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في
طغيانهم بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف
الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد

لجعة

لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه
في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم
يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل وبعيد عما قلنا قول الحسن
في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هولاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة
الحد في العتو وقرا زيد بن علي في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان
فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت ليعلم ان الطغيان والتمادي في الضلالة
مما اقترفته نفوسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه رد الاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء
الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان
اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط
الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى
الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى
الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين
يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه الذين لا راي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء
لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على طريق الاستعارة
لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به
بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف
اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم
كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم
هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن
القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب
في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض
اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة
كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة
وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في
الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك
على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وانت تريد
المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في
معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة

البداهية التي تلتحق بالمجاز الذروة العلياء وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات
اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول
العرب في البليد كان اذني قلبه خطلاء وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق
البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها بالاذان بالمحسوسات
ومعاينه ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه
الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعضهم فيا لهمني
جبلة فما ام الردين وان ادلت فعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها
تنفقناه بالحبل التوام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المحكم يريد
اذا جهدت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار
التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التوام وكذلك لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله
ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت ما
معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار
في متصرفاتهم شيان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم
كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة
الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم
تسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما
يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني
ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن
والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله تعالى
في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل
في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول
السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول
الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فان قلت ما معنى
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين
بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا
كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله
مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في

عجائبها

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم

عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي
صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل الاعلى من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر
فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي
موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي جاء بالصدق وصدق به والذي موضوع للذين ولم يجز
وضع القائم مقام القائمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى
وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف
ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين
والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة
الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد ويجوز ان يراد جنس المستوقدين او اريد الجمع
او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذوات المستوقدين حتى
يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار
سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقد في الجبل وصعد وعلا والنار جوهر لطيف
مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر
لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على
المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة فلما اضاءت ما حوله
والتاء وجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار
نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران
والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما
ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به
وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالتباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات
لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في
اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين
على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم
يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد
الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل
له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير
في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في
معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت

كمثل الذي يحمل اسفارا

نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء

فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفيت النار بسبب
سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد
في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة
للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقا الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض
المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف صح
في النار المجازية ان توصف بالاضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز
المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت
ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب
بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه
وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف
اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم
وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة
عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لذلك لانها كالطاعج والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى
اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان
بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلا والمعنى اخذ الله
نورهم وامسكه وما يمسك فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم
وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيين كان
مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله
وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزين والظلمة عدم النور وقيل
عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد
البصر وتمنع الروية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول
الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا
من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله تعالى ويذرهم في
طغيانهم يعمهون فان قلت بم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة
خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو الا
حاير خابط في ظلمات الكفر قلت المراد ما استضاوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على
السنتهم ووراء استضاتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب
السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين

اخره
يقضمن قلة راسه والمعصم
وقبله
فشككت بالرمح الطويل ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم

المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الاية تفسير اخر وهو
انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي التمثيل
باعوه بالنار المضية ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب
الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا
عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا بها السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم
جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا
سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسو عندهم اذنوا اصم عما ساه سميع اصم عن الشي الذي لا اريده
واسمع خلق الله حين اريده فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف
طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان للاسخياء
هذا في الصفات وذلك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الصفات والاسماء والافعال
جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت
هل يسمى ما في الاية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا
لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى
ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا
دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره
لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه
صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء ولبعضهم لا تعجبوا
ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن
الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول
من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا
يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه وعن الضلالة بعد ان اشتروها
تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا
يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدوا منه ثنى
الله سبحانه في شانهم بتمثيل اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب
على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل
والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ
خيفة الرقبا ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات الا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته
اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد

صم بكم عمي فهم لا يرجعون

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين

٤ كلاوله

نار‌‌ا وظلمة الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فهذا اشبه في المثل الثاني

بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام

بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه

من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل

الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد بكمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة

فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشيا باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في

قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا ❊ لدى وكرها العناب والحشف البالي ❊ قلت كما جاء ذلك صريحا

فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات

سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل

والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة

دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل

بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها

بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت

وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم

يحملوها الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار

في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من

الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة

الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه زهرة

الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع

المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم

بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع

رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من

حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب

الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني

اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتأتى به التشبيه ام لم

يليه بدليل قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الحياة

الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد ❊ وما الناس الا كالديار واهلها

بها يوم حلوها وغدوا بلاقع ❊ لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم

زهرة

ومنابتها بطلوع اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين

ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في

نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت

او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك

جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما

او كفورا اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان

كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال كل واحدة

منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي

يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال الشماخ ❊ وأسحم دان صادق الرعد صيب ❊ أوله

وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ عفا آيه ريح الجنوب مع الصبا

كصائب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله

من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه ان جاء بالسماء معرفة

فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان

كل طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ❊ ومن بعد ارض ١

بيننا وسماء ❊ والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة

التركيب والبناء والتنكير امده بذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها

يأخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه يأخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها

من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف

والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت

عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت

قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته

قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة

الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل

فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه

ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز

يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا من الابلغ كقول البحتري ❊ يا عارضا متلفعا

ببرده ❊ يختال بين بروقه ورعوده ❊ وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد

العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم

اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق

ولما جاءت هذه الاشيا منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او كظلمات لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رأس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل انامل قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع الذي تسد به الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذر الموت والنصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع

ورد

والهول

استبشعوها

الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم تدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين القادرين فمختلف

اجليا

كما يرى

الذي خلقكم

يا أيها الناس اعبدوا ربكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

فيه فإن قلت ما اشتقاق القدير قلت من التقدير لأنه يوقع فعله على مقدار قوته
واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين
وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها
ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله
إياك نعبد وإياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك
قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما إن فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه
ما فرط منه ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة
في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه
فضل تنبيه واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من
الغيبة إلى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في
الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول — ويستهش الانفس
وبلغنا بإسناد صحيح عن إبراهيم عن علقمة أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها
الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع
في أصل وضعه لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله أي
والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد فإذا نودي به
القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جدا فإن قلت
فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر
قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله — كيف
ومنازل المقربين هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته — لنفسه واقراره
والإذن لندائه وابتهاله وأي وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن ذو والذي وصلتان
إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه
فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه
حرف النداء هو أي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف إلا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد
فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة — وفي هذا
التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدة بين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها
عوضا مما يستحقه أي من الإضافة فإن قلت لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة
ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لأن كل ما نادى
الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الأمم الدارجة
عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا

بقلوبهم

بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ فإن قلت لم
خلا الأمر بالعبادة من أن يكون متوجها إلى المؤمنين والكافرين جميعا أو إلى كفار مكة خاصة
على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون وهل هو إلا — ملتبسون به
كقول القائل فاوالي فعلت لمن تسأله وهو قائم قم قائما وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون — ولا يقرون
به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها وأما
عبادة الكفار فشرط فيها ما لا بد لها منه وهو الإقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها
من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر حيث
لم ينفصل الأمر به وكان من لوازمه على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله فإن قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا شيئين معا الأمر بالعبادة
والأمر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فإن قلت ربكم ما المراد
به قلت كان المشركون يعتقدون ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فإن خصوا بالخطاب
فالمراد به اسم يشترك فيه رب السماوات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أربابا وكان قوله
الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة
والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب
الكفرة خاصة إلا أن الأول أوضح وأصح والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق
النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو وخلقكم بالإدغام وقرأ أبو السميفع وخلق
من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها
أن يقال أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله يا تيم — الموصول
تيم عدي لا أبا لكم تيما الثاني بين الأول وما أضيف إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف
والمضاف إليه في قولهم لا أبا لك ولعل للترجي أو الإشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله
يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى إلى قوله والذين آمنوا
مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم
رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري إطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال
إن لعل بمعنى كي ولعل لا تكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وأيضا فمن ديدن
الملوك وما عليه أوضاع أمرهم ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على
إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة
أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح
والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون — الملوك
التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر

منكم تبانكم فان قلت فلعل التي في الاية ما معناها وموقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء
لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يكون محمولا على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لا يصح على عالم الغيب
والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع
المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات
وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير
والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان
كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن
عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت
كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون
من قبلهم قلت لم يقصره ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم   عليهم
جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم
قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى
امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة
كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خزانة
الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خزانة الكتب لم يقع من نفسه ذلك
الموقع قدم الله سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه
سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض
التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق
السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه
عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل
المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم معتبرا ومتسلقا الى النظر
الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق
انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء
منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا
وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل
النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه
ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا
ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه
ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان

الناس

الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون

الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او على شكل الكرة فالافتراش
غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل
وهو من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني
بيتا كان او قبة او خباء او طرافا واخبية العرب بناؤهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا
تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت
بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد
الاجناس   وهو قادر على ان ينشئ الاشياء كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له
في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي
يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة
طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج
وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله
فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية
كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا
هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل
الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فيم
انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة
كانت مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون
الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان
ادركت ثمرة بستانه يريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة
وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية
ابن السميفع الثمرة   كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة
على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو
مفعول به كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه
ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد
فاطلع   وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله عز وجل
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي
تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي
خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء
والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد

وناددت الرجل خالفته ونافرته من ندّ ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ندّ ولا ضدّ نفي
ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها
بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها
وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل
لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنّع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا
كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان
قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح
والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة
بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى
بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم
من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر
ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر
وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل
مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما اثبت الوحدانية
وحققها وابطل الاشراك وهدمه وعلّم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرّفهم ان من
اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته عطف على ذلك ما هو
الحجة على اثبات نبوة محمد عليه السلام وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم كيف
يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا
انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على
لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من
مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون
من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقيب آيات على حسب النوازل ووقوع
الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا
وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره
دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة
جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان
ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا
نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفترقات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل

وانتم

وزي

وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها
ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسور المدينة وهو حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على
حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على
ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقدّ سورة في المجد ليس غرابها بمطار
لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال
واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها
قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة
تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة واحدة ولامر ما انزل الله التوراة
والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون
في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واصناف
كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة
او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل
منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد
نفّس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها
ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة
وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل
اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها
ان التفصيل يسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب
النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من
مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت
وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في
البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه عربيا او اميا لم
يقرأ الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج
وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير
من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل
اوجه لقوله فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون
بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى
المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه
الا ينفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا

فاشمل

لعطفه

القراءة

بشرا

ام مماثله ومجانسه وقضيته الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان
ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان
ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت اخر
آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله تعالى وادعوا شهداءكم والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون
وهو الدني الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض تقول لمن
يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من
ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف
والعلم ومنه تمثل من قال لعدوه وقد راءه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين
اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس
ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالها لم يقك غيره ومن دون الله
متعلق بادعوا او بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم
يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول
الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى
لرقتها ولطافتها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته
غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا
لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم
الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية
ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم
احالته وتعليقه بالشهداء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله
شهداء لكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة
البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى
عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا
غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة
وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام
ريبة او ادعوا شهداءكم يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين
اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدكم وكفى فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس
الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله

ما احس
ولا يبقى بنات الدهر من واق
اذا القوم من ذاقه يطرق
وصفائها
من دون اسره

قل

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين

قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا
على حقيقته ويميزوا حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبتغون
وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب
المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم
لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله تعالى فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا
جيء باذا الذي للوجوب دون ان التي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول
معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم
لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق
من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما
به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من
الافعال يقال اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي
تعطيك اختصارا او وجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت
زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول بئس ما
فعلت ولو ذكرت ما انبت عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ
الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله فان قلت
ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن في
باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول
لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم
وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا
وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فان قلت
من اين لك انه اخبار عن الغيب على ما هو به حتى يكون معجزا قلت لانهم لو عارضوه بشيء
لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما
والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علمنا انه اخبار بالغيب على ما هو به
فكان معجزا فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت
انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم
صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان
استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه
ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول
الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما

ينقل به
ولوازمه

فهو نتيجة حد الشرط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز
الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته
مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد
جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال
والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان
فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط حياته فان قلت
صلة الذي والتي يجب ان يكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة
توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه
من رسول الله او سمعوا قبل هذه الآية قوله في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة
فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وهاهنا معرفة قلت
تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا
بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها
نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد
احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك
اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة
ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة
بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس
والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى
ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء
لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم
وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله
اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم
المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون
المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم
واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة
فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع
المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من

العتاد

السليط اي الزيت ... به فكان نفس ...

في المفتاح انه عطف على قل مقدر قبل يا ايها الناس ... ان يكون معطوفا على مقدر بعد اعدت اي فانذر الذين كفروا بتلك النار وبشر الذين امنوا

من العتاد بمعنى العدة من عادته عز وجل في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار
ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم
بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات
وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور بقوله
وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله وان يكون كل احد كما قال عليه السلام بشر المشائين الى
المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به
وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من
قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه
قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه
انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب
الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول
هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان
بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على
اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني
بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين
ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير
الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به
الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل
ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحات نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم
قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات
كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت
اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على
المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا
دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول
الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت
فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصالحة المستحقة في الدين بحسب
حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانها
قال زهير ... سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها
سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة

وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

عضب ... يوم ...

كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا

لما فيها من الجنات فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة
يستشهد بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي
والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب
كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم
جنات من تلك الجنان فان قلت اما شرط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح
ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة
وترك المعصية فهلا اشترط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة
مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم
يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لمن ثبتهم
وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر
فان قلت كيف جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار
الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت
اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة
الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس
ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور
مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وكصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات
الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قرن واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه
ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق
وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد
الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيد عليه يومان
فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فانه
يراد به الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير
الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله
واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات
او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع
ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس
فقيل ان ثمارها اشباه ثمار الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله

مطردة

وعرفت الانهار

والوان

فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك
فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من
تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء
الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله
تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة
رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير
الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة
التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار
ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد
وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل
هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه
في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به
متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته
ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا
والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في
الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني
والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل
اولى به على معنى التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة
وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى
المعهود اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من
جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة
بينة وتفاوتا وتباينا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه
واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد وان
كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين
فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد
البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة وهي تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا
في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة بجنسها ثم يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان
ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك
الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به

كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة

لجنسهما

كه ... وتوزنونها

عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى
ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق
نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها
اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به
الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا
في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا
الذي اوتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام
والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى
فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير
الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت
هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه
قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي
تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء
من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا
ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن
بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشئ المفسدة ومن سائر
عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة
كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل
والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة ° واذا العذارى بالدخان تقنعت °
واستعجلت نصب القدور فملت ° والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن علي
مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى
بيت الله فاطّهّر به اطّهّرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة
فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل
المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء
اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن مت فهم
الخالدون وقال امرؤ القيس ° الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ° وهل ينعمن من كان
في العصر الخالي ° وهل ينعمن الا سعيد مخلد ° قليل الهموم ما يبيت باوجال ° سيقت هذه الآية
لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان
تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان

التمثيل

وليس منها الا ان طهرن ... وهم فيها خالدون

ان امرء القيس ... [illegible]

التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم
من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل
به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له
وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان
واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف
تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل
ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس
قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل
استح من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على
قضية مضربه محتذ على مثال ما يحكيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم
الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل ... الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغشيهم
على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى
الالف وانهماك الفاسقين في غيهم ... والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال
الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال
العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا بها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرا
من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا
في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت
الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة
والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغبى استقامته وصحته على من
به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له ممسك بدليل ولا متشبث
بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم
والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله
الذباب والعنكبوت وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل
الله هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه
من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس اذا اعتلت منه هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه
من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما يقال فلان هلك حياء من كذا ومات
حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان
قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في
حديث سلمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه

يحملهم

العقل اذا سمعوا بهذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وان الكفار الذين ...

والعادة لا تخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب هدى للمؤمنين ... زيادة ...

واضطرهم

في كتابهم

من كذا

صح

ان يردهما صغرا وحتى لا يضع فيهما خيرا قلت هو جاري على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد عليه يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله سبحانه ان الله لا يستحيي ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاء على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحيا الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة وهذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة وصلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينار والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى بما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين بجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال

بعضه البعوض وانشد البيت بيت ابي ذؤيب اذا اضحى الخف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصل صفته على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن تقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما يبخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما يعنا في صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شاب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت الله له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما علا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما هي عظمها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل على فائدتين بيان كونه تاكيدا وانه في معنى

فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا

الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر
المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم
بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة
ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي
فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو
في الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب
المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا
وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوز عكس ذلك تقول في جواب
من قال ما رأيت خير اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا وقرئ قوله
تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض
الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود
المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه
وقد اختلفوا في ارادة الله ثم فبعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد
وهو مذهب على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله انه فعلها
وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته تعالى لفعل غيره امره بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب
وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو
ابن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث
ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه
ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان
للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما
موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى
نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي ازداد به الجهلة خبطا في ظلماتهم فان
قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما
هم الناس كالابل المائة لا تجد فيها راحلة ووجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم
وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل
من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا
ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى
اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى قوم تسبب لاضلالهم وهداهم
وعن مالك بن دينار انه دخل على محبوس وقد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه
من

يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين

من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فأمر بها تنزل فاذا دجاج
واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما يضل
به كثير ويهدي به كثير وما يضل به الا الفاسقون والفسوق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو
النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة
واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن اتباعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث
ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه
واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة
لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفرة الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى
بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ
وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت
من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه
قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى
ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها
ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على
مكانه ونحو قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها
لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعهد
الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق
منه والمراد بهم الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول
يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة
عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى عليه السلام سأنزل
عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريتهم اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا
من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنيعي للذين قاموا
بميثاقي الله واوفوا بعهدي ونصرهم اياهم وكيف انزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا
ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود تغلطوا باسم عيسى ما غلطوا باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوقيف
والتحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم الا يسفكوا
دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة
عهود الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله تعالى واذ اخذ

الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون

ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله
والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة
ويجوز ان يرجع الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه
ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل
قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم
ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه
وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر
يامر به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان
الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده وهم الخاسرون لانهم استبدلوا
النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها ومعنى الهمزة التي في كيف
مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو
الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت
قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل
مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف
عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل
والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا
للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات
تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكارا
لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره
انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة
عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق
البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا
وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل
الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل
كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم
فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت
بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقعا حالا حتى يكون ان يقع

فعلا

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون

فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه
قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها واخرها فان قلت قد آل المعنى
الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان
معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية
فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا
فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما
بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات
جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما
يقال ميت فيما يصح فيه الحيوة من البنى قلت لكن الاحياء الاول قد اعقب الموت
بغير تراخ بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة احييناها
غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت
ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور
وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء
والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد اعقب الموت بغير تراخ واما الموت
فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور
تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء
ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين اتصل اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها
الا انها مشتملة على ايات بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر
قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده ايات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم لكم
اي لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني
فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير
بالاخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب
والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع
المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل
بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت
في الاصل مباحة مطلقا لكل واحد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول
من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات
السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما
فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال

هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن

والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فهمت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة ادم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب

كهيئته

واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون

اتجعل

غيب

غيب قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويُسفك ويُسفّك من اسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض ... الا من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم ادم الاسماء كلها واشتقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم ادم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعُلّم ادم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لادم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك

ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين

[illegible]

الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا
بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم
ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس
كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه اسكن
من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف
عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها حيث شئتما اي مكان من
الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حيث
لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر
في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة
او الكرمة او التينة ونحوها ولا تقربا بكسر التاء وهذي الشجرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها
وقال يقرا بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا
جزم عطف على ولا تقربا او نصب جواب للنهي فازلهما الشيطان عنها عن الشجرة اي حملهما الشيطان على الزلة
بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله
ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل
عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك ويعضده قراءة حمزة فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من
النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان
عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف
توسل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان
يمنع دخولها على جهة التقرب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة
الوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب
فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم
لا يشعرون وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحوا وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحوا
والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل
عليه قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من
التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع
استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت معنى تلقي
الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات

[Margin, red:] وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
[Margin, red:] فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين
[Margin, red:] فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا
انفسنا الاية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا آدم حين اقترف الخطيئة
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي
انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ
فيّ الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني
جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى
بذكر توبة آدم دون توبة حوا لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن
والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه
بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قوله قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة
قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني
مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى
برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا
في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى
كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط
فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان
به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم
من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة
فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من
نزع اللباس والاهباط من الجنة وما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان
العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال
قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما
جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا
له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة
واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف
بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله
وهو بزنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرال
وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها
ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن
العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد المبشر

[Margin:] الخطيات
[Margin:] يا رب
[Margin, red:] يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون

بما في التورات والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعناه واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد فيه وجوه من التاكيد تقديم الضمير المنفصل وتاخير المتصل والفا الموجبة معطوفا عليه تقدير واياي ارهبوا فارهبون وان احدهما مضمر والاخر ظاهر وما في ذلك من تكرار الرهبة وفيه معنى الشرط كانك قلت ان كنت راهبا شيئا فارهبني كقولك واضربه اي ان كنت ضاربا احدا فاضرب زيدا وفي افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفا بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهد عليه ووعد من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل قوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر بقوله واوفوا بعهدي ما عاهد واعليه ووعد من الايمان به اي اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كانا حله اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يومن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا يكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورات موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله فان شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا الباطل في الباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشي بالشي وخلطته

بالمفتاح اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون

ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون

تكونوا به

ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون

به كان المعنى ولا تكتبوا في التورات ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت الباء للاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي اي ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التورات ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورات صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اوتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورات وفيها نعت محمد او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبو العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة

واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين

اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون

واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين

الوساوس

واصطبر عليها او استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم
وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته
وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات
ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعا وان يستعان على البلايا
بالصبر والالتجاء الى الدعا والابتهال الى الله تعالى في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة
ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى قوله
واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم
يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله
يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك وكذلك فسر يظنون
بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت
عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع باجرة
زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه
يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن
ومنه الخشعة الرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها
اذا لينته واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين
على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة
يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار
تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر
اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرا لا تجزئ من اجزا عنه اذا اغنى عنه فلا يكون
في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة
شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف
قلت هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي تروحي اجدر ان تقيلي
اي ما اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف
الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس
لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل

يتيقنون نخ

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون

اجدره
عنا عجبي بها ورد قليل

ابن نعم

اوله
وما ادري اغيرهم تناء
وطول العهد ام مال اصابوا

منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف
ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل
ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا فان قلت
هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا
اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت
الضمير في ولا يقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها
وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل
منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي
عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس
المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس ال اصله
اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك
واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم
وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم وقد
تجاهل المدعو الكلوم فقلت من تفرعنه وفرط غرامه وقرا انجيناكم وانجيتكم يسومونكم من
سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا
واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء
مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء
العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره ويذبحون بيان
لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاعف له العذاب بعد قوله يلق اثاما وقرا
الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون
وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه
كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير
بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض
حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق
بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه
اوجه ان يراد انهم في موضع الحال يعني فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم
على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة
فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
كلامهم

واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

الملك

نقر الخسف فينا

واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون

بانهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون صح

واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون

كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه لما دخل بنوا اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي ووعده المجيء الى الميقات الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذ العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر بل يحتمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم وياخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقتلونهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون المقدر فعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفكوا

ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون

واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

للمتقين

واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم

ركبه

وغمطوها بعبادة

واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون

ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حيث لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها ... حتى نرى الله جهرة قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل عشرة الاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما ينصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادّهم القول وعرفهم ان رؤيته مما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال فان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصاعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون ونزل على ... عليه السلام فاخذتكم الصاعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذا رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظللهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على استاههم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدأ محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان ينصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا

ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون

وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون

واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين

ادراكهم

يشكو الي جملي طول السرى يا جملي ليس الي المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى

يعد في الوجدان تنصب باضمار فعلها لتنصب محل ذلك المضمر نغفر لكم خطاياكم وقرئ
بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه
ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها
يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به
ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ اخر لانهم
لو جاؤوا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك
ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل
قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله
الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذانا
بانزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز
العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا
وقيل سبعون الفا عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل اضرب بعصاك الحجر
واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا
مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول
الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه
آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع
عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول لك الله ارفع هذا
الحجر فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي
يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في
القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته
فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد
موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل
كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله
عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت
الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله
فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله
مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع
والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال

فسادكم

فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واجتووا ما كانوا فيه من النعمة
وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت
هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولهذا
ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا
طعاما واحدا ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد
لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترفه ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما
الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك ومعنى يخرج
لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها
الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة
ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو العدس
والبصل اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب
يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن
عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي
ادنا بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه
يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وبلاد التيه ما بين بيت المقدس
الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد به العلم وانما صرفه مع اجتماع
السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيه العجمة
والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف
عبد الله وقراءة الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصراييم فعرب
وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في
القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه
فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة
ان يضاعف عليهم الجزية وباؤوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان
حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم
من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد
قتلت اليهود لعنهم الله شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير
الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا
في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من
انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرئ يقتلون بالتشديد ذلك

ذلك تكرار الاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم
بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر
وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا بهما وغلوا حتى قست
قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين
امنوا بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا
يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع
نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال الشاعر نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة
كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين هم من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم
عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من امن من هؤلاء الكفرة
ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي
يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من امن قلت الرفع ان جعلته
مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان
في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا
ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق
وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة
فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم
وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا
تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان
تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم
للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما اتيناكم وتذكروا واذكروا والسبت مصدر سبتت اليهود
اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم من التجرد
للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في جوف البحر
الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا
ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول
فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم
قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني
المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها
لما بعدها من الامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجلها لما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر

منها

منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في
بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه
فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا
اتجعلنا مكان هزو او اهل هزو او مهزوا بنا او الهزو نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين
لان الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بالضمتين وهزءا بسكون
الزاء نحو كفوا وكفؤا وقرأ حفص بالضمتين والواو وكذلك كفوا والمعاد والملاذ من باب
ما عاد واحد في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك
انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسالوا عن صفة تلك البقرة
العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر لا فارض المسنة وقد فرضت فروضا فارضة
ابن نبيه لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل
وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت اخرها والبكر الفتية والعوان
النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا
فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به
الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما
هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار
في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد
ذكر افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى
اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد
وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق
فقل كانهما فقال اردت كان ذلك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها
وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون
اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولك امرتك الخير او امرك بمعنى مامورك تسمية
للمفعول بالمصدر كضرب الامير فاقع الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في
التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك واحمر قان وابيض يقق ولهق
واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هنا
واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع
تاكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن
فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل ارتفع اللون بالارتفاع
الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء

فاقع لونها فان قلت هلا قيل صفراء فاقعة اي فايدة في ذكر اللون قلت الفايدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي عليه السلام من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة

البعير م

ثانية تكرير للسوال عن حال وصفها واستكشاف زايد ليزداد وابانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصا شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسود ام ابيض فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسالته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقري تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابه وقرى محمد ذو الشامة ان الباقر تشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتاكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهي نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم وحيثهم وقرى تسقي بضم التاء من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبرة عن ولمته ما جرّبه في الدنيا ولا اعمل او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لا شية صفرتها شي من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشي القوايم الان جيت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي

فحصلوا

مختصة بالبقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصايهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كاد ينتهي سوالهم وما كاد ينقطع خبط ابطايهم وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك ثلاثة دنانير ثم انقلبت مخصوصة بتقبلون صفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الاطلاق واستثنيت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جايز على ان الخطاب كان لجماعة متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم اياته ودلايله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضيته عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا احياه ابتدا ولم شرط في حياته ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوايد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولاخرين

في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وما امر به مما يطلق القوم من غير تفتيش وتكثير
سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل
الهازي بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه
ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من
العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي في ثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة
دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت
الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امرهن من ضرب الميت ببعضها وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر
هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حياة وانما
هذه القصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على
الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها
قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا
لهم عليها ولما جدد فيهم من الايات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك
المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه
من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه
لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما
استونفت الثانية واستيناف نقصه برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما
بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله فاضربوه ببعضها حتى يتبين انهما قصتان فيما يرجع الى
التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير
الراجع الى البقرة ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلب ورقتها
ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ
لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات المعدودة
فهي كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل
اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال
عطفا على الحجارة واما على ما هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل
التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه اخر وهو ان لا يقصد
معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة
وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من

ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون

او يكون هو اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة ح

الاقسى

الحجارة

الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف
وهي ان المخففة من المثقلة التي يلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح
بالسعة والكثرة وقرأ مالك ابن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة
ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض
ينبع منه الماء ايضا ومنها ما يتردى من اعلى الجبل وقرئ يهبط بالضم والخشية مجاز عن انقيادها
لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد منها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ
يعملون بالياء ضما للمناء وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا
لكم ان يصدقوكم او يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد
كان فريق منهم طائفة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله يعني ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه
كنعت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام
الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهي ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان
تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم ان لا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما
عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون
انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني
اليهود قالوا قالوا منافقوهم امنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا
خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما
فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد او قال المنافقون لاعقابهم يريدون
التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا مما في كتابهم فينافقوا المؤمنين
وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا
وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم
الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما
فيها لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم
ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من
ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها
على التقليد قال اعرابي لابن داب أهذا شيء حدثت به ام شيء تمنيته اي اختلقته
وقيل الا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني
يقدر في نفسه ويحرر ما يتمناه وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اما
من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم

افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون

في آخره

فلا

واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون

اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون

ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون

تمنى داود الزبور على رسل [illegible] بالاشارة [illegible]

والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل
بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته
بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اربعين يوما ايام عبادة العجل وعن
مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا
فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام اما ان يكون
معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان
يكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا
بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به
خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم ينقص عنها بالتوبة وقرا خطاياه وخطيئاته
وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله
الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل اية نهى الله فيها فنهاه الله عنها
واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة لا تعبدون الا الله في معنى
النهي الذي هو النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح
الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي
لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله وبالوالدين
احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قسم دل عليه اخذنا ميثاق
بني اسرائيل اجرى له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا
تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة
عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون
ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم
وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا اي قولا هو حسن في نفسه
لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي
توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد من اسلم منهم وانتم معرضون
وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل
غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون
عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا
معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم استبعاد لما اسند اليهم من القتل

والجلا

والاجلا والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت
بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول
بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بادغامها وتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون
اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز
ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض
اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
وكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل
من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا وخزي
قتل بني قريظة واسرهم واجلاء النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد
العذاب لان عصيانه اشد وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب
الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولكن لك عذاب الاخرة الكتاب التوراة
اتاه اياه جملة وقفينا من بعده بالرسل قفاه اذا اتبعه من القفا كقولك ذنبه من الذنب وقفاه
به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم
يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع
ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم
بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن
مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير
وعليب البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات وقرئ وايدناه ومنه ايد بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي ايدني بعد
ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل
صدق ووصفها بالقدس كقوله وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب تكرمة
وقيل لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث وقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في
القران روحا من امرنا وقيل اسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد اتينا يا
بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين
الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويحتمل ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم
ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت
هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره

في النفوس ومضروب في القلوب وان يراد وفريقا يقتلونه بعد لانكم حاولتم قتل محمد لولا اني اعصمه
منكم فلذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا
اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد
عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختتن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بل
الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة
وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف
تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي
عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم
لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف
النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف
وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على
المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته
في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم
معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد
قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او
يسأل بعضهم بعضا ان يفتح فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة
لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة
مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى
باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي
حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباؤا بغضب
على غضب مترادف حقيقا بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل بعبادة العجل
وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة غلت ايديهم وغير ذلك من انواع كفرهم
بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون
بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مع ادعائهم الايمان
بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم
واضعون العبادة في غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور

فصاروا

مصدقا لما معهم منها غير مخالف له
وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا
بما يوافق التوراة فقد كفروا بها
ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء صح

ما

ينبط

لما احيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التوراة قالوا
سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت كيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه
من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب وقوله
في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم اي بسبب كفرهم
بئسما يأمركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم
تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله
ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار
الآخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خالصة لكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني قولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا واللام للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب
كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي صلوات الله عليه يطوف بين الصفين في غلالة
فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه
سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة
لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان
كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات
النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله
ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان
قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث
ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس
احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين
علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت
لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب
ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك
فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا
بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه
ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال
القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل

من دون الناس فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين خالصة نصب على الحال
من دار الآخرة صح

النعيم

التحدي

يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق ومع احتمال ان يكون كاذبا لانه لن يخلو لا سبيل الى الاطلاع عليه والله
عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا
الحفاظ ومفعولاه هم واحرص فان قلت لم قال على حياة بالتنكير قلت لانه اراد حياة
مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة
ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم
يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز
ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين
اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم
فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت
لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة
والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون
لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل
ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا
الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير
في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم يزحزحه من النار تعميره وقيل
الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر
موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو حكاية يود احدهم
لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم
كقولك حلف بالله ليفعلن روي ان عبد الله ابن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله
وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك
وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا
من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم
فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا
فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس
اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم ممره
لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى اثاره في
كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف
وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله تعالى قالوا اقرب منزلة جبريل

منزلتهم من يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان
عدوا لهما كان عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ يا عمر
جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة ~~لقد رأيتني في دين الله~~
~~بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل~~ وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام مشددة
وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة
وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره
فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه
الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمك باذن الله بتيسيره وتسهيله
فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم ما تكلم
به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان
قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان
عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب
بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم
والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا لهم الكتابهم وموافقا لهم
كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته لهم له
كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من
جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ
ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعل وميكئيل
كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو
لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله تعالى انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم
عاداه الله وعاقبه اشد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس الكفرة
قال ابن صوريا لرسول الله ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك بها
فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو
للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ ابو السمال بسكون
الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا

عهدا لله والرسول كثيرا وقيل عوهدوا وعهدوا وقرئ عهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله
الميثاق منهم ومن ابائهم الميثاق فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة الآية والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم
وقال فريق منهم لانه منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء
فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول نبذ فريق كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول
من عند
المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القران نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول
كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني علموا ذلك رصينا ولكنهم كابروا
وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل ما يرمى به وراء الظهر
استغناء عنه وقلة الالتفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرءونه ولكنهم نبذوا
العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا
حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة
التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا
يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في
كتب يقرءونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا
يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الجن والانس والريح التي تجري
بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به
وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر
يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم
ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل وهاروت وماروت
عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من
تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به
كان مؤمنا [illegible] لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني
ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا
ملكين ببابل وما يعلمان الملكان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء
ومحنة من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد
اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا
في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله
عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث فيتعلمون ما يضرهم

ولا

ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان الاجتناب عما لا تؤمن غوائله اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر
الى الغواية ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله ما له في الآخرة
من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرئ الحسن الشياطون وعن بعض العرب
بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرئ الزهري هاروت وماروت
بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرج
الهرت والمرت
والمرج وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان من احد من اعلم [illegible] وقرئ
بين المرء وكسرها مع الهمزة والمر على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء والتشديد على نية الوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرئ
بضم
الاعمش بضارين بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت
كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف
اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا
يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون جعلهم حين لم يعملوا كانهم على سبيل التوكيد
بعلمهم
القسمي منسلخون عنه ولو انهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه
من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة
كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم
لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت
لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في
سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء
من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة
الله ايمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون
وليتهم
لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى
نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول
المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها
وامروا بما هو في معناها وانظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى
نحفظ وقرأ عبد الله ابن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ
الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى
رعنا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن
واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان
حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم
مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تأكيدا

عليهم ترك تلك الكلمة وسمعها سعد بن معاذ منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها
فنزلت وللكافرين واليهود الذين تهاونوا بالرسول وسبوه عذاب أليم من الأولى للبيان لأن
الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل
الكتاب والمشركين كقوله والثانية مزيدة للاستغراق والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي
وكذلك الرحمة كقوله أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى
إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء إلا ما
تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله
إن فضله كان عليك كبيرا وروي أنهم طعنوا في النسخ وقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه
بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما
ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من أنسخ أو ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد
وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها وقرأ
حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها الأمر
بنسخها وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها وإذهابها
لا إلى بدل وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى أن كل آية نذهب بها على
ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معا أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل نأت بخير منها
فآية خير منها للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو
يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والأرض فهو يملك أموركم
ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم
أنه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك
بقوله ألم تعلم أراد أن يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن
لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم
كقولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة أرنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالإيمان ومن
ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي
أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن
ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فقالت
اليهود أما هذا فقد صبا وقال حذيفة وأما أنا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالإسلام
دينا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا ثم أتيا رسول الله وأخبراه فقال أصبتما
خيرا وأفلحتما فنزلت فإن قلت بم تعلق قوله من عند أنفسهم قلت فيه وجهان

فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت صح صح

أحدهما أن يتعلق بود على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل
شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق
فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق وإما أن يتعلق بحسدا حتى يأتي الله بأمره الذي هو قتل بني قريظة
وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام
منهم من خير من حسنة من صلاة أو صدقة أو غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده
إن الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل والضمير في وقالوا لأهل الكتاب من اليهود
والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى
كل فريق قوله وأمنا من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما
لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا أو نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل
وبزل فإن قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على
لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن إلا من هو صالوا الجحيم وقوله فإن له نار جهنم خالدين
وقرأ أبي بن كعب إلا من كان يهوديا أو نصرانيا فإن قلت لم قيل تلك أمانيهم وقولهم
لن يدخل الجنة أمنية واحدة قلت أشير بها إلى الأماني المذكورة وهي أمنيتهم أن لا ينزل
على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفارا وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك
الأماني الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان
هودا أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض أو أريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم على حذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه يريد أن أمانيهم جميعا في البطلان مثل أمنيتهم هذه
والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة والأعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم وهذا أهدم شيء لمذهب المقلدين وأن كل
قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى أحضر بلى إثبات
لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره
وهو محسن في عمله فله أجره الذي يستوجبه فإن قلت من أسلم وجهه كيف يكون
موقعه قلت يجوز أن يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من
متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا لفعل محذوف أي بلى
يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم على شيء يعتد
به وهذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه
فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شيء وهم يتلون
الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة
للكتب وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأن

أي حسدا منبعثا من أصل أنفسهم فاعفوا واصفحوا أي فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى يأتي

كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق
بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم
عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء
وهذا توبيخ اعظم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران
لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية
فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه
وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول
منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر
مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله
وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت
المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية
وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان
قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس
او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى
صالحا واحدا ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة
والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي
ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك
النصارى او المشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان
يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا
بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب
الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم
وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين وروي انه لا يدخل
بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في
بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن
بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقد اعبد الله الا خيفا وهو مثل
ضيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك
وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية
بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية

من الظلم

العلاج

دتبر

وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب
والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية
وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في
المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم
من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في
مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده
والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن
عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا
وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقال الحسن فاينما تولوا يعني
آناء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا اتخذ الله ولدا يريد الذين قالوا
المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد
بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح
كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه
الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف
اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون
عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي
لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما
دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع
الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو
امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث
فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق
وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يكون ويدخل تحت الوجود من غير
امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه
الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة
لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرئ
بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل
من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة

+ عامر
يوم فيه اصحابه
ع ٢ ما الاولى اذ قالت الانساع للبطن الحقي
قدما فآضت كالفنيق المحنق
معنى قدما اي تقدم ولم يبق

وكلم موسى جهارا منهم وعتوا او تاتينا آية جحودا لان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة
بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الايات
لقوم يوقنون اي لقوم ينصفون فيوقنون انها ايات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها
انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه
لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهى
عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار
من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه
التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه
ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل ويعضد القراءة
الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت
في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله
عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن
مقالتهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى
وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى
الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك
من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنو
اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولئك يؤمنون به دون المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى
ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار
احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على
حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة وهي قراءة ابن عباس ابرهيم ربه رفع ابرهيم ونصب ربه والمعنى
انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراءة
المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعلق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت الاضمار قبل الذكر
ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر
اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابرهيم فيه مقدم
في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته
حق القيام والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن واداهن احسن التادية من غير

تفريط

تفريط ولا توان ونحوه وابرهيم الذي وفى وفي الاخرى فاتمهن الله تعالى باعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا
ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا
بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ
قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او اذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان
قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف كانه قيل فماذا قال له ربه
حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على
ما قبلها ويجوز ان تكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة
وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في
الكلمات هي خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق
وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل
ابتلاه من شرائع الاسلام بثلاثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في
الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم على
صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام
والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه
والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الاله كالازار لما يؤتزر به اي
يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي
كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون
اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من
كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف
يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم
للصلوة وكان ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنه وحمل
المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي
واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله
ابن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور
واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون
الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة
فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم
والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون
عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع

امنا كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه
مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه — منهم م
موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك
نتخذه لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك
فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل
ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر
قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى
مقام ابرهيم وعن عمر انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه
الاول قال نعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه
قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان
ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا اي طهراه من — والمعنى طهراه
الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه
غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز
ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين
والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات
المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية وامنا
من فيه كقولك ليل نائم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله
خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان
قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على
الامامة فعرف الفرق بينهما لان الامامة استرعاء يختص بمن ينتصح للمرعي ويبعد الناس عن
النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له
والمعنى وارزق من كفر فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لكن المضطر الذي لا يملك الامتناع
مما اضطر اليه وقرئ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرئ يحيى بن وثاب فاضطره بكسر
الهمزة وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه
بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم
اي قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره

ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه

وذا

وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان
الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شغر ويقع
حكاية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة
ومنه قعدك الله اي اسأل الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني
عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان
يكون المراد بها ساقات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى
رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع الساقات ويجوز ان
يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة — المستوطية م
مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله
تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر شرقي وغربي وقال
لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا
وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج
ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان
الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابرهيم ببنائه وعرفه
جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص
وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل
بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان
ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وكان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله
الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته — قيل م
ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع العليم لضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل
قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما — تبيينها م
ليس في ايضاحها اولا لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشأن المبين مسلمين لك مخلصين
لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم
اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما ارادا
انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة
لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما
بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء
اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وتابعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا
على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم — المتقدمين م

من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين أي وبصّرنا متعبداتنا في الحج أو عرّفناها
وقيل مذابحنا وقرئ أرْنا بسكون الراء قياسا على فخْذ في فخِذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة
من الهمزة الساقطة عليها فاسقاطها إجحاف وقرأ أبو عمرو بإشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم دليل
وتب علينا ما فرط منا من الصغائر واستتابا لذريتهما وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا
منهم من انفسهم وروي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله فيهم
محمدا عليه السلام قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم اياتك
ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القران يقرأ
والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب
عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب
وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد الا من سفه نفسه امتهنها
واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن
رايه والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذه تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا
اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه بحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي
في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص
الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها
حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطا راي من رغب بنفسه عن ملته
لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان
مشهودا له بالاستقامة على الخير في الاخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال
ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر
من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى
مثله او معنى قال له اسلم اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر
سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورات اني باعث من ولد وعرف وقيل اسلم اي
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم
سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت قرئ واوصى وهو في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير
في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في
قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة
باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب
بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته

يعقوب يا بني على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول
ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر فهو بتقدير القول عندنا
يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي
هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن الا وانتم مسلمون
الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام
اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في
حال صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت
النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم
تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه
كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم
لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا
الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر
بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته
واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء ام هي المنقطعة
ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب
عليه السلام اذ حضره الموت اي حين احتضر وقيل الخطاب للمؤمنين اي ما شاهدتم ذلك وانما
حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي
الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصهم على
ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء
ولكن الوجه ان يكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على
الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا
مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون
على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدونه
وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بين بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل
ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن
صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل
واسحق عطف بيان لابائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة ابائه لان العم اب والخالة ام
لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما
كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية ابائي وقال ردوا علي

قال اني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة ابن مسعود وقرئ اي واله ابرهيم بطرح اباءك
وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو
والنون قال وقد بكينا بالابينا الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة
او على الاختصاص اي نريد باله ابائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله
لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون جملة اعتراضية مؤكدة
اي ومن حالنا انا مسلمون مخلصون بالتوحيد او مذعنون تلك امة اشارة الى الامة المذكورة التي
هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون قد خلت والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا
فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا
باوايلهم ونحو قول رسول الله صلعم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما
كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم
اي اهل ملته كقول عدي ابن حاتم اني من دين اي من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم
وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته حنيفا حال من
المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائما والحنيف المائل عن كل دين باطل اي ذي الحق
والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد شعرا ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا
ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع
ابرهيم وهو على الشرك قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا
على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله ملة ابرهيم يجوز ان يكون بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم
او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلعم والاسباط
حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض
كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما امنتم
به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه فلا يوجد ان دين اخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان امنوا بذلك
الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان امنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي
فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم
الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا
قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به
وقد علمت ان لا اصوب من رايك وكذلك تبكيت صاحبك توقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه
ويجوز ان لا يكون الباء صلة ويكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان
دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي امنتم بها وقرا ابن عباس وابن مسعود بما امنتم به وقرا ابي

بالذي

بالذي امنتم به وقرئ بالتي امنتم به فان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فانما هم في شقاق
اي في مناواة ومعاندة لا غير وليس من طلب الحق في شيء او فان تولوا عن الشهادة والدخول في
الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسوله صلى الله عليه واله عليهم وقد انجز وعده
بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين
وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم
عليه او وعد لرسول الله صلعم يعني يسمع ما يدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين
الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا
بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع
عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد بولده ذلك
قال الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا بالله وصبغنا الله بالايمان
صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته
ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما
يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان
ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على
امنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء
بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها
على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام وقرا زيد بن ثابت
اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون
لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو يصيب برحمته وكرامته من
يشاء من عباده ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة
ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي ونحن له موحدون
نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن
احق بالنبوة بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون يحتمل فيمن
قرا بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكمة الله
ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون
منقطعة بمعنى بل تقولون والهمزة للانكار ايضا ومن قرا بالياء لا تكون الا منقطعة قل انتم
اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله وما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن

كان حنيفاً مسلماً ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها
وهي شهادته لابرهيم بالحنفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم
كتموا الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا
نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداتهم ومن في قوله شهادة
عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله
ورسوله سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون
النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة
آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه
قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه
من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لشغبه وقبل الرمي يراش
السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب والارض كلها له يهدي
من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت
المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا
خياراً وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام واصنوا البيعة يريد الوسيطة بين التسنية والجافي والجفا
بالربع وهو وسط الظهر الا انه الحق التاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط
المحمي فاتصلت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطا تهنه
المدين حنيلها الدنانير وعدلها لا الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض
لتكونوا شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبيا
بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وآله فيشهدون فتقول الامم من اين
عرفتم فيقولون عرفنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
بمحمد صلى الله عليه وآله فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل
لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له
جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء
شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بالشهادة العدول الاخيار ويكون
الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت
آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون

الرسول

الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا
القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان الرسول صلى الله عليه وآله كان يصلي بمكة الى الكعبة
ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم
ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه
كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت
معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى
ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت
لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة والتحويلة والجعلة ويجوز ان يكون للقبلة
لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول
الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان
وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان
الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى
بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة وعن ابن عباس لما وجه النبي صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قالوا كيف لمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع
اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ
قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلعم وختنه على ابنته
واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البنا للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز
ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو
وقرأ ابن ابي اسحاق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون
كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد
لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية
كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك الى جهة
السماء وكان رسول الله صلعم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم
وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول
جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس

ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد
الحرام نحوه قال والمعز اليعقوبي شطر الملوك وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الي الكعبة وقيل كان ذلك
في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم واله في مسجد بني سلمه
وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول
الرجال الي مكان النساء والنساء الي مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد
نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال
عين القبلة فيه حرج عظيم على المتعبد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان
الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الي الكعبة هو الحق
لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واله انه يصلي الى القبلتين ليعلمون قرا الكسائي
والياء ما تبعوا جواب القسم المحذوف ولعبد مسد جواب الشرط بكل اية بكل برهان قاطع
ان التوجه الي الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها
بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت
بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو
ان يكون صاحبنا الذي ننتظره فطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم
على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون
في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس
والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وتثبته عليه والمحق منهم لا
يزايل مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله
ولئن اتبعت اهواءهم بعد الانصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع
قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض فالتقدير يعني ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة
بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير
واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق
فان قلت فما وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت
كلتا القبلتين باطلة مخالفة للحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم واله حليته يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم
لا يشتبه عليهم ابناؤهم وغيرهم وعن عمر انه سال عبد الله ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم
به مني بابني قال ولم قال لاني لم اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل
عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل

الضمير

الضمير للعلم او القران وتحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث
من عبد الله ابن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة
الاباء الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم لمن امن منهم او لجاهلهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا
يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقيل خبره
من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
او الى الحق في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمون هو الحق من ربك وان يكون للجنس
على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم
يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو باطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا
فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي عليه السلام الحق من
ربك على الابدال من الاول اي يكتمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين
في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة هو الله تعالى
اي الله موليها اياه ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت
اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو
مولى تلك الجهة وقد وليها والمعنى ولكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا
انتم الخيرات واسبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة
محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما
تكونوا يوم القيامة يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا يعجزونه ويجوز ان
يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل
صلاتكم كلها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث اي ومن اي
بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الماموربه وقرئ
تعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ مظنة
الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم
ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا
استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك
قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة
الانبياء فان قلت اي حجة كانت للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة
ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابراهيم كما هو مذكور
في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه
سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى

الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون
بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه الا الذين
ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منها فلا تخشوهم فلا تخافوهم مطاعنهم في
قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رأيته مصالحكم مصلحة لكم ومتعلق
اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتدائكم امرتكم بذلك ويعطف على علة مقدرة
كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام
النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا اما ان يتعلق
بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده
اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب حالهم في حيوتهم وعن الحسن
ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشية فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة
ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهداء جملة فيحييها ويوصل
اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم
ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه
من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء قليل من هذه كل واحد من البلايا وطرف منه
وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه
وآله من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي
انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم
كل شيء يؤذي المومن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل
ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم
ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص
الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي الخوف خوف الله
والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن
الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة
اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة
كقوله رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة اولئك هم المهتدون
لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله الصفاء والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم
والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار

الزيارة

الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان
واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر
الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما
صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما
فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام
وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك
فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه
من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك وكقوله ومن تطوع
خيرا ~~لقوله فمن تطوع خيرا~~ فهو خير له وروي ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره
قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه الا ان يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى
تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان
الله كتب عليكم السعي وقرئ فمن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين
يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد
والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس
في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك
المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين
يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمومنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم
وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم
ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ان الذين
كفروا يعني الذين ماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن
والملائكة والناس اجمعون بالرفع لعنة الله والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين
وفي الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنهم وهم المومنون وقيل يوم القيمة
يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار لانها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا
ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر
اليهم نظر رحمة اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله
الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها
ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين
حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا
فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقا

لان كل واحد منهما يعقب الاخر او لقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم
مما يحملانه او ينفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه
عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض بعد موتها عطف على انزل
فاتصل به وصارا جميعا كالشي الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة
لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا
وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب
والسحاب المسخر الرياح تنقله في الجو بمشية الله تعالى حيث شا لايات لقوم يعقلون ينظرون
بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ويل لمن قراهن فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على
الافراد اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون
على اوامرهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما
يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس
وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبته لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره
بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدايد فيفزعون اليه ويخضعون
له ويجعلونهم وسايط بينهم ويقولون هولاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا
ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا باتخاذهم
الى متخذي الانداد ولو يعلم هولاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القوة كلها
لله على كل شي من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين
اذا عاينوا العقاب يوم القيمة لكان لكل منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم وحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا
والسياط تاخذه وقرئ ترى على الخطاب للرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا
عظيما وقرئ اذ يرون على البنا للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة
اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرئ
الاول على البنا للفاعل والثاني على البنا للمفعول اي تبرا الاتباع من الرؤسا وراوا العذاب
والواو للحال اي راين له وقد تقطعت عطف على تبرا والاسباب الوصول
التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد من الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله
لقد تقطع بينكم او في معنى التمني ولذلك اجيب بالفا الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت
لنا كرة فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات مكان اعمالهم

وما هم

وما هم بخارجين من النار في قوله هم يفرحون اللبد كالظهرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على
الاختصاص حلالا مفعول كلوا وحال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان فتدخلوا في حرامه او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض
ليس بماكول وقرئ خطوات بضمتين وسكون خطوات بضمتين وهمز جعلت الهمزة على الطا
كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتح وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة
ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطي على عقبه اذا اقتدى
به واستن سنته مبين ظاهر العداوة ولا خفا به انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه
وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في
القبح من العظايم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما
لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا
يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم من سلطان قلت
شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه
بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام
ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها
فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على
ضلالهم لانه لا ضلال اضل من المقلد كانه قال للعقلا انظروا الى هولاء الحمقا ماذا يقولون
قيل هم المشركون وقيل هم طايفة من اليهود دعاهم رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما
الفينا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع
ما وجدنا عليه اباءنا ولو كان اباوهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعون
ولو كان اباوهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان اباوهم
لا يعقلون شيا من الدين ولا يهتدون الى الصواب على حذف مضاف تقديره ومثل داعي
الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كالبهايم الذين ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى
الايمان في انهم لا يسمعون من الدعا الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القا اذهان ولا
استبصار كمثل الناعق بالبهايم الذي لا يسمع الا دعا الناعق ونداه الذي هو تصويت
بها وزجرها ولا تفقه شيا اخر ولا تعي كما يعي العقلا ويعقلون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم
الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف
وقيل معناه ومثلهم في اتباع ابايهم وتقليدهم لهم كمثل البهايم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت
ولا تفهم ما تحته وكذلك هولاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل
معناه ومثلهم في دعايهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه

لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل شعر
فانعق بضانك يا جرير صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما
رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا الله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم
تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس
في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري فحرم على البنا للفاعل وحرم على البنا
للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم
اللات والعزى غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد جوعه فان قلت في الميتات ما
يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لي ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه
الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى
السمك والجراد كما لو قال دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف
لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه
بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه
تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في
بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار
ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال
شعر يأكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض
بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن
غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن
بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات
النار من غير مبالاة منهم كما يقال لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد
والسجن يريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء
صبرهم يقال صبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال
لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله
فمعناه ما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل
من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم
اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القران
بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير
لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسروا على ما جسروا عليه من الكفر البر اسم للخير ولكل

احتصم

فعل

فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب خطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب
الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل
ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب
في امره فقيل ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة
ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على
انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق
بزيد ولكن البر من آمن باته على تاويل حذف المضاف اي بر من آمن او بتاويل البر بمعنى ذي البر
وكما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح
الباء وقرئ ولكن البار وقرئ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله
او القران على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل
العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان
كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم
ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان
لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح والمطلق ذوي القربى واليتامى
والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمساكين جمع المسكين وهو الدائم السكون وابن السبيل المسافر المنقطع
وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان
السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على
فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يعتقوا ويفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب
واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذا الوجه ثم قفاه
بايتاء الزكاة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكاة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي
ان في المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الاية ويحتمل ذلك ان يكون بيان مصارف الزكاة او يكون
حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعني وجوبها وروي
ان في المال حقا سوى الزكاة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على
الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال
وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء المرض
والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري
وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى
اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية

ما كتب في التورية على اهلها وهذه حدود خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب
والشعبي والنخعي وقتاده والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه انها منسوخة بقوله
النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلم
المسلمون تتكافى دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا
قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول
على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله
صلى الله عليه واله حين جاء الله بالاسلام وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شي معناه
فمن عفي له من جهة اخيه شي من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير
ولا يصح ان يكون شي في معنى المفعول به لان عفي لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه
هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه وليه والطالب بدمه وكما يقول للرجل
قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على الاخر بذكر
ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفي يتعدى بعن لا باللام فما وجه
قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه
قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت
لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي
له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون
شي في معنى المفعول به قلت لان عفا الشي بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله
عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه
فمن محي له من اخيه قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة
مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها
وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجتري اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله
عز وجل على اختراع لغة وادعاء على العرب وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم
قيل شي من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى
عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع
بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع
الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل
بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم
ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل
الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والعفو

توسعة

توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل
بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله
فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا
محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص
حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا
وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا
الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة
وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله
فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة
او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من
القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من
القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة
اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي لكم في القران حيوة
القلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص
من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة
على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت
اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة ان رجلا اراد الوصية وله عيال
واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال
ثلاثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا
الشي يسير فاتركه لعيالك وعن علي عليه السلام ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه
وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب
وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد
ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلم
ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر
وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم
ينسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية
المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى
به الله لهم ولا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير
ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان

كان ميلا فقيل للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم
الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الحيف
ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف من موص توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف
ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق في الوصية
او اثما وتعمدا للحيف فاصلح بينهم وبين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق
الشرع فلا اثم عليه لانه تبديل باطل بحق ذكر من بعد تبديل بالباطل ثم من تبديل بالحق
ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من آدم الى عهدكم قال على
عليه السلام اولهم آدم يعني الصوم عبادة قد عنت اصلية ما اخلا الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها
عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي
لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم
وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام
وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه
خمسين يوما وقيل وقع في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه
بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات
عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وآله صيامها حين هاجر ثم نسخت
بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتركوا الفطر بعد ان يصلوا العشاء الاخرة
بعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات
بعدد معلوم او قلايل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكى فيه
والكثير يهال هيلا ويحثى حثوا وانتصابها اما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة
او على الظرف او بكتب مضمرا فعلى تعليقه عن وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وعلى هذا سبيل
الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار
فذهب كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر
ان يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه
وسئل مالك عن رجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر فليس له باس بان يفطر فجعله
تعالى انه في سعة من الافطار وقيل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء
فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة ابن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق
عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي
كما فاته متتابعا وفي قراءة ابي وعن ... ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير

ولم يقل

ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم
اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤمر بعدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين
يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع
من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام
فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس
يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا
عنه يطوقونه بمعنى يتطوقونه ويتقلدونه ويطيقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه بمعنى
يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل ويتفيعل من الطوق فادغمت الياء
في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيها وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه
والثاني يكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية
وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير
له فالتطوع خير له او الخير وقرئ فمن تطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون
وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب
المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم شهر رمضان مبتدأ مثل ذا الحرق من
الرمضا فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية
للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان
قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة
شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا لشقته وقيل فيما وافق هذا الشهر ايام
رمض الحر فان قلت اذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه
ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك
رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما
اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في
قوله كتب عليكم الصيام وعلى انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان
او على الابدال من اياما او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ
فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى السماء الدنيا ثم نزل الى الارض
نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما يقول انزل في عمر في علي
كذا وعن النبي صلى الله عليه وآله نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست
ليال مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نعت

لكان الى الثواب وهي هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق
بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس
قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل
من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن كان منكم شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب
على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم
والمسافر كلاهما شاهدان الشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين
وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر
والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة
وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم
الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا
علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي
الى تبينه الا النقات من علماء البيان وعدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه متضمنا
معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان
تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة
مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر
ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت
ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير
عند الاهلال فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من
سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني
اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل
اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم
يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة
فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك
من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا

بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم
وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند
النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال كنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء
من ذلك فان قلت لم كنى عنه هنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى
بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن
فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا
لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمنه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة
يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي
اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم
قلت هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة
والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون
انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم
واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة
وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر
وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة
ما كتب الله من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأوا بتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة
القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض
اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل
شبها بخيطين ابيض واسود وقال ابو داود فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا
وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني
ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهو من باب الاستعارة ام من باب التشبيه
قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع
تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة
التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال
او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا
وخرج عن ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى
قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وكنت اقوم من الليل وانظر اليهما

فلا يبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرته فضحك وقال
ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل فان قلت
فقل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وآله قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته
وانشدني بعض البدو بيت لبس وعب عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه
فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر وكان
رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب
حتى يتبين له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان
وهو يشبه العبث حيث لا يفهم معنا المراد وليس باستعارة لفقد الدلالة ولا تشبيه قبل ذكر الفجر
فلا يفهم منه الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقها
والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه
فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح
المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان
وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها
والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلمسوهن بشهوة والجماع
يفسد الاعتكاف وكذلك اذا امنى وقيل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج
فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف
لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد
المساجد الثلث وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في المسجد
تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل لا تقربوها
فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو
متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل لئلا يداني الباطل
وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل
ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد
ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا
تقرب ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا
امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين
الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقتضى له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وآله انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من

حق

حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي
فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها اي وتلقوا
بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان
كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها
احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال
يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال
ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم
للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا
فسطاطا فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما
يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخبا فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من
دخول الباب ولكن البر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت
كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله
الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة
تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد
لما ذكروا انها مواقيت الحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في
سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي
ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله
ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان يباشر عليها
ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب
من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عما يفعل وهم يسالون المقاتلة في
سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال
دون المحاجزين فعلى هذا لا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس
هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل من قاتل ويكف عمن
كف والذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان
والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في
حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه على
ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم
ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم

فيكم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم
عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة
من غير دعوة حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه
رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث
اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة
اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكما
ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي
يتمنى عندها الموت ومنه قول القايل شعر لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من
قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل
في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل
في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز
ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم
ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم
كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال ولا تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال
كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة الى شرك ويكون الدين لله خالصا
ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا
على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على
المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط
عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم
عند خروجهم لعمرة القضا وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام اي هذا
الشهر الحرام بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم والحرمات قصاص اي كل حرمة
يجري فيها القصاص ومن هتك حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا
حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك قوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا
الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة
ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل بتقدير ولا تلقوا
انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك
الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله

اوعن

اوعن الاستقبال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين
حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه
الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا
واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا
نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات
عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة
مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة
ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت
الكسرة ضمة كما جاءت الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما
وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف
المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها لبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به
وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وروي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود وقيل
ان تفرد لكل واحد سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة
حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان
قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما
واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر
بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف
الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل
على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر
خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين
علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت
واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة الحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال
حج فلان واعتمر والحاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في
الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل
بالعمرة وجب عليه اتمامها كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرناه اخرجها من صفة
الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قوله صم شهر رمضان وستة من شوال في ان الامر
بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها
عن حكم الحج وهو الوجوب فقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى

الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول
وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر
في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه
قول ابي حنيفة كل من منع عن المضي من عدو كان او مرض او عجز فهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند
مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النخعي والكرخي من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل
فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع
هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان
منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي
من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت ان كان حاجا نحره في الحرم متى
شاء عند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار وعندهما في ايام النحر وان كان
معتمرا نحره في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على
فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي
بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو
ظاهر على مذهب ابي حنيفة فان قلت قال النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف
الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم عن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم
وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان
به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احلق فدية من
صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن
كعب ابن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال
احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه
الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق او يطعم او يصوم
والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني
فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة
الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته
انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك
عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر
عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقت
وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم
يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي لا يصام الا بعد

الاحرام

الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي
حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل
ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة
قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا
او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان
يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم
وكذلك كاملة تأكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها
كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل
كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى
التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم
او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدم
نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم
يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة
وعند اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة يقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة
على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج الحج اشهر معلومات شوال وذو القعدة وعشر
ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع من ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند
مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته
ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي
في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت كيف كان الشهران
وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذا وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر
معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل
العهد عشرون سنة او اكثر وانما رأيته في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي
عن عروة ابن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها
مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن
وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات
عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر
معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا
له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند

وعند الشافعي بالنية فلا رفث ولا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن
حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين
وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب في قراءة القران والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات
الثلث بالنصب والرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخر بالنصب لانهما حملا الاولين على
معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه
قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام
وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد
ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث
والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه
لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا
مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة وجعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا
فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها
وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا
فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل
عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية
اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا
وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتاثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا
عن البيع والشرى فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا
بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها ايام الموسم وكانت
معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل
عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج
لنا فقال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح
فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت
معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان يبتغوا في ان يبتغوا
افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك
في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر صب في دقران وهو يخرش بعيره
بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموضع سمي بجمع كاذرعات فان قلت

هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتاء
في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المونث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها
كما لا يقدر تاء التانيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث كتاء التانيث
فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان
جبريل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها ادم وحواء فتعارفا وقيل
لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرب لا تعرف
في اسماء الاجناس الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا
تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية
والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل
الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة
الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم
يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك
للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب
المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلا به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف
بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت
الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان ادم اجتمع فيها مع حواء وازدلف
اليها اي دنا منها وقال قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل
اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى
اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه
وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه
وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس
ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن
ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر
الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن
الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك
حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان
احداهما صواب والثانية خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم [illegible] من المزدلفة الى

الى منى بعد الافاضة من عرفات دفيها من حيث افاض الناس يكسر الهين اي الناسي وهو آدم من
قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا
الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من
عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما يفعلون وذكر
آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون
فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر
في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على
آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه
اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر
يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا
خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما له في الآخرة
من نصيب لان همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة
والكفاف والتوفيق للخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين
لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع
الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا او لكل لهم نصيب مما
دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء
كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك
للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم
القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق
على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر روي انه يحاسب الخلق
في قدر حلب شاة وروي في فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات ايام التشريق
وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في
فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل
النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين
يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين بعد
يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ
من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي وروي عن قتادة وعند ابي

حنيفة

حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث
يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم
عليه عند المتعجل والمتأخر جميعا قلت دلالة على ان المتعجل والمتأخر مخيران فيهما كانه قيل فتعجلوا او
تأخروا فان قلت اليس التأخر افضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل
والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية
كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما
جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في
قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر
متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان
يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله
ذلك خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه
الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام
في المنافقين كانت تحلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في
الحياة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل
يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة
للرسول وكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح
في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه
لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف
ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي
مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين
وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام
المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل
الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى واذا تولى
عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف
وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك
الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على
سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يأبى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته
العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية

لما ملته على الامام الذي بنى عشر الزمته اركانه وان لا يخلى عنه ضلال ولحاقا وعلى يعني الواعظ يشري نفسه بيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب ابن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله روف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم الثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تونث كما تونث الحرب قال السلام تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع على ان المومنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها ولا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرايعه كلها وان لا يخلوا بشي منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلعم ان يقيم على السبت وان يقرا من التوراة في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم اليه الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغرا عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت اتيان الله اتيان امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون الماتي به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع لقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل او على الغمام فان قلت لم ياتيهم العذاب في الغمام قلت لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان ابهج فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما سل امر للرسول او لكل احد وهذا السوال سوال تقريع كما يسال الكفرة يوم

القيمة

القيمة كم اتيناهم من اية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من اية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله اياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها ليكونوا اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ من يبدل بالتخفيف المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرا زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البنا للفاعل ويسخرون من الذين امنوا كانوا يسخرون من المومنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب عزهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هولاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المومنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين امنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المومن المتقي وليكون بعثا للمومنين على التقوى اذا سمعوا ذلك وكان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله كما دل عليه قوله عز وجل وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول اوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين ادم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل عليهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذين اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف فلما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما

اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين
بعد مجي البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا
عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات
التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان
اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو
استيناف كان قايلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وازعجوا
ازعاجا اي بلغ بهم المضض شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول
الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم
يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه
الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم
واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي
لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم
من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم
له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجي البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية
محكية فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سالوا عن بيان
ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه
وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها
لان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس ان عمرو بن
الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم من الكراهة
بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له
واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرا السلمي بالفتح
على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه كانهم اكرهوا
عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله
وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه من ان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم
ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلعم عبد الله بن جحش على
سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي

وثلثة

وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم
من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه
الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلعم العير وعظم ذلك على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلعم العير والاسارى وعن ابن عباس
لما نزلت اخذ رسول الله صلعم الغنيمة والمعنى يسالك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر
الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله الذين
استضعفوا لمن امن منهم وقرئ قتل فيه قل قتال فيه كبير اي اثم كبير وعن عطا انه سئل عن القتال
في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه
وما نسخت والاكثر على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وصد عن سبيل الله مبتدا واكبر خبره يعني وكباير قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد
الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلعم والمؤمنين اكبر عند الله
مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن والفتنة الاخراج
او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون
يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوكم عن دينكم
حتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم ان
استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه
لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه فيمت
على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين
في الدنيا من ثمرات الاسلام واستدامتها والموت عليها من ثواب الاخرة وبها احتج الشافعي على
ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعن ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما
ان الذين امنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي
ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله وعن قتادة هؤلاء
خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب
نزلت في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون
يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا
في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها
اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا
عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد

فيه هجاء للأنصار فضرب به الأنصاري لحي بعير فشجه موضحة فشكا إلى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا
في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن
علي عليه السلام لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت
في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر لو أدخلت أصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الإيمان
حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب
وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد الزبيب
ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر إذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب
عند أبي حنيفة وعن بعض أصحابه لأن أقول مرارا هو حلال أحب إلي من أن أقول مرة هو حرام
ولأن أخر من السماء فأتقطع قطعا أحب إلي من أن أتناول منه قطرة وعند أكثر الفقهاء
هو حرام كالخمر وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت
سكرا لأنها تسكره أي تحجزه وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا إذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر
من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل
بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب أو من اليسار لأنه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في
الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني أي يفعلون بي ما يفعل
الياسرون بالمبسور فإن قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام
والأقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل
واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا
الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم لبعضهم لي في الدنيا سهام
ليس فيهن ربح وأساميهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة
وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي
عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء
أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم
ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك
ويذمون من لا يدخل ويسمونه البرم وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي عليه السلام أن النرد
والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما
بدليل قوله فيهما إثم كبير وإثمهما وعقاب الإثم في تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب
الخمر والقمار والطرب فيها والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من
مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الأموال بالقمار والافتخار على الأبرام وقرئ إثم كثير بالثاء

وفي

وفي قراءة أبي وإثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه
كثيرة العفو نقيض الجهد ومنه أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال
خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للأرض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة
فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من
الجانب الأيسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضبا فأخذها فحذفه بها حذفا لو أصابه لشجه
أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى
في الدنيا والآخرة إما أن يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق
بالدارين فتأخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد في النفقة أو
تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز أن يكون إشارة إلى
قوله وإثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الإثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا
النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم وإما أن يتعلق بيبين لكم الآيات في أمر الدارين
وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا
اليتامى ومخالطتهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم
وكاد يوقعهم في الحرج فقيل إصلاح لهم خير أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم
خير من مجانبتهم وإن تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم إخوانكم في الدين ومن حق
الأخ أن يخالط أخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح
أي لا يخفى على الله من داخلهم لإفساد وإصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا
تتحروا غير الإصلاح ولو شاء الله لأعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق
مداخلتهم وقد أطلق وقرئ إصلاح إليهم ومعناه إيصال الإصلاح إليهم وقرئ لأعنتكم
بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وكذلك فلا إثم عليه إن الله عزيز غالب يقدر على
أن يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف إلا ما تتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ
بضم التاء أي لا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل
المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لأن أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون
وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها
ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والأوزاعي وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة
في الجاهلية اسمها عناق فأتته وقالت ألا نخلو فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا فقالت فهل لك

ان تزوج بي فقال نعم ولكني ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة ولامراة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس كلهم عبيد الله واماؤه خير من مشركة ولو
اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك
اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون
بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة يعني واولياء الله وهم
المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم
وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرئ
بالرفع والمغفرة باذنه اي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا
كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه
نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل
الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها
في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من
بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن
بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان
تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى
كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد
بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال
ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله
ابن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها
ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حائض فقال
لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهو دليل ابي حنيفة وقد جاء ما هو
ارخص من هذا عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرا يطهرن
بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن
بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب
ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل
الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى
تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن من
حيث امركم الله من حيث المأتي الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين
الذين يطهرون انفسهم تطهر التوابين من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض

والظاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بماتي وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهو مجاز شبههن بالمحارث
تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي هي منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم
تمثيل فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم
جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع
الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات
اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها من كتاب الله آداب حسنة على المؤمنين
ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا
يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما
هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا
تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين
للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث
لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله
يعني ان المأتي الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على
ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتي
الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال يسالونك جاء بغير واو ثلاث مرات
ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة
فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدا وسالوا عن الحوادث
الاخيرة في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر
والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا عرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة
وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا
ومنه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض كالامر قال فلا تجعلوني عرضة
للوائم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح
ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في
يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه
يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت
غيرها خيرا منها فات الذي هو خير منها وكفر عن يمينك اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح
بين الناس فان قلت بم تتعلق اللام في لايمانكم قلت بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم

بر مجازاً ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى ولا تجعلوه شيئا يعترض
البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي
ولا تجعلوا الله تعالى لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا
الله معرضة لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين
باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في
وساطتهم واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل
لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به
في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما
كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه
على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما
يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في
المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم
اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم
اي بما نوت قلوبكم وقصدت واقترفت من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف
على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم
الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت
قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم
باللغو في ايمانكم قرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي
بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل
يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر
كقولك لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن
ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث
القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة
عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي
فاما ان يفي واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاوا في الاشهر لقراءة
عبد الله فان فاوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون
عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا

منهن

منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا
الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان
فاءوا وان عزموا الطلاق بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء
مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله تعالى فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله
للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم
اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم
وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة
والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك
حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات
الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ
مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان
قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربصن
المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى
بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم
في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها
وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن
بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما
معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه
ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال
فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء
وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان
وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم
فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة
استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء
من الامة بالحيضة ويقال اقرات المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع
فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول
في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع ما يكون في الطهر قلت معناه مستقبلات
لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن
الحيض الثلاث فان قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد

لما فاز بهما من حدث نابك لشهر القرء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي
تعتد بها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام له فقاصيه في الحروب والغارات
وانه يمر على نسائه مدة كثرة العدة فما يعتد لا يضاجعهن فيها او المراد من اوقات نابك
فان القرء كالقارئ جاء في معنى الوقت ولم يرض لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام
انتصب ثلثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر تربص الغلاء اي يتربصن
مضى ثلثة قروء او على الظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة
دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان
الاخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء
كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل
فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرا الزهري ثلثة قرو بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد
او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها
ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد
طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة
فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن
بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن وان من امن بالله وعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم
والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة
المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة
ابي بردتهن في ذلك اي في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان
للنساء حقا فيها قلت المعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على
قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن
واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال
مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم
ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة
لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله
بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل
وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى
التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة
واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين
اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك

ودواليك

وذواليك قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين
ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم
وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة او
تسريح باحسان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها
وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين
والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن
عمر ان رسول الله قال انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل طهر تطليقة
وعند الشافعي لا باس بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها بين يدي
رسول الله ثلاثا فلم ينكر وروي ان جميلة بنت عبد الله ابن ابي اوفى كانت تحت ثابت ابن
قيس ابن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت
لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة وهو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها
فنزلت وكان اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان
قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان
خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بمؤتيهن
قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للائمة والحكام ونحو ذلك
غير عزيز في القران وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام الذين يامرون بالاخذ والايتا
عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون مما اتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات
الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما
من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح
على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت
منه من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي
ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلاثا ثم دعاها
فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها
ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان
ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل
الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا
وتعضده قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون

كله والفرق ان يكون بز[illegible] فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في
قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من
بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند
الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد
في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روي
عن عائشة ان امراة رفاعة جاءت الى النبي عم وقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان
عبد الرحمن ابن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم اتريدين ان
ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء
الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك
في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلعم فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول
فقال قد عهدت رسول الله صلعم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت
لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح المعقود
بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز
وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا
كراهة وعن النبي صلعم لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل
له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج
الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما
انهما يقيمان حدود الله حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب
عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول
علمت ان يقوم به ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا
فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها
يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون
من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا
فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف
ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي
غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامساك بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة
او تسريح باحسان واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار كان الرجل يطلق المراة
ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك
ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله

ولا

ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها
والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال
كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا
وعن النبي صلعم ثلاث جدهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القران والسنة وذكرها مقابلتها
بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب
به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية
لا يتركوهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن
فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن
روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في
جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما
بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس
والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة وان قصائدي
لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي
دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف
بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا
زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في قوله
ذلكم يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله ولكل واحد ونحوه ذلكم خير لكم واطهر ازكى
لكم واطهر من ادناس الاثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء
والطهر وانتم لا تعلمون او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه
يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة
كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرا ابن عباس
ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة
برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التاويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد
بما قبله قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تع هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا
الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال
لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا
يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده
اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون

عشرا ذهابا الى الايام والليالي داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين
الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم
الا عشرا ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره
الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم
الجناح فيما عرضتم به التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان
اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى
تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او
اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن ابن سليمان عن خالته قالت دخل علي
ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي
وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال اوقد
فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلعم على ام سلمة
وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على
يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت خطبة فان قلت اي فرق
بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان يذكر الشي بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان
يذكر شيئا يدل به على شيء لم يذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر
الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى
عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم
واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن
لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنهن وفيه طرف من التوبيخ كقوله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن
قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن
ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى
ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد
لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة
غير منكرة او لا تواعدوهن الا بالتعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول
لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا
من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن في السر على ان المواعدة في السر عبارة

عن

عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان
تقولوا قولا معروفا هو ان تتواعدا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم
الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح
وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لا يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم
يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز
فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب
مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة
او حتى تفرضوا لهن فريضة وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان
سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على
ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما
فرضتم اثبات للجناح المنفي والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان
يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل والمتعة ولا ينقص من خمسة دراهم
لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره
مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر لغتان
وعن النبي صلعم انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها
امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه
وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي
يحسن بالشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين
على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام
من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اي فرق بين قولك
الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع وفي
الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب
ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان يعفو المطلقات
عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن
يعني الا ان يعفو المطلقات [illegible] وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها
المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا
ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها
بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفى عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير
ابن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو

انه دخل على سعد ابن ابي وقاص معرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق
كملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده فقيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل
والفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وقرئ ولا تناسوا وقرا الحسن
او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيها لهما بالالف لانهما اختاها
وقرا ابن نهيك ان يعفوا بالياء وقرئ لا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة الوسطى اي الوسطى
بين الصلوات اي الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردها وعطف على الصلوات
لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة
الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان
ابن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه
الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها فاملت عليه والصلوة
الوسطى صلوة العصر وروي عن ابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه عايشة وعمر
القراءة يكون التخصيص لصلاتين احدهما الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على
اختلاف الروايات فيها والثانية وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم
وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة
ولم تكن صلاة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي
الليل وعن عايشة وقبيصة ابن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من الثلاث
وقرا عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرات عايشة والصلوة الوسطى بالنصب على المدح
والاختصاص وقرا نافع الوسطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم
والقنوت ان يذكر الله قايما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو
الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد
بصره او يقلب الحصا او يحدث نفسه بشي من امور الدنيا فان خفتم فان كان لكم خوف من عدو
او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل بمعناه رجال رجلى ورجالى وقرئ رجالا
بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم
يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون على كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا
امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن او فاذا امنتم فاشكروا
الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون في حال الخوف
وفي حال الامن نقدير في قراءة وصية بالرفع وصية الذين يتوفون او حكم الذين يتوفون
وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم ويدنه قرا وصية بالرفع ووصية الذين
بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سيرا البريد اي تسير سير البريد او الزم الذين

يتوفون م

يتوفون وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرا ابي متاع لازواجهم
متاعا وروي عنه فمتاع للازواج ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب
بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين وعجبت
ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل
من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم
ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان يمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته
ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر
وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذه المدة ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن
واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من
التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة
المتاخرة قلت قد تكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله تعالى
سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمم المطلقات
بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال
حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد ابن الجبير وابي العالية
والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا
وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين
وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى
المثل في معنى التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه
وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل
على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن
بدع التفاسير الوف متالفون جمع الف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله فقال لهم الله
موتوا قلت معناه فاماتهم الله وانما جي به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة
رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشي فامتثلوا امتثالا من غير
اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد

والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله
لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصر
ما قبلها من جنسهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو
شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من
الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما
يضمرونه وهو من وراء الجزاء واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه والقرض الحسن
اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي
كثيرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه
بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لبني اسرائيل هو
يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب
عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله من التامير على
الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا
سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون
والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون
بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر
عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقع
جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير
وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله هل اتى على الانسان معناه
التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة ومالنا الا نقاتل واي داع لنا الى ترك
القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين
الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي
كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف
به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع
صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطة وبشما لاها
رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه
عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين الواوين
في ونحن احق ولم يؤت قلت الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا والحال

انه لا يصلح للملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما
قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت
من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا
منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه
عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم
الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر
ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات
وغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان
الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس
واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد
يده فينال راسه يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء
من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال
ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى
اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة
وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان
فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل
النصر وعن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض
الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة
تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء
بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض
جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا
بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من
خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت التابوه
بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو ان يكون فعلوتا
او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف
اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه
فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من
قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من
حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو السمال السكينة بفتح السين والتشديد

ولهو غرهب وتتريا يحمله بالبابه فان قلت من آل موسى وآل هارون قلت الانبيا من بني
يعقوب بعدهما لان عمران هو ابن قاهث بن لاوي ابن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز
ان يراد مما ترك موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه
واصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن
البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى
انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر
مشتغل بالتجارة ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا
وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم
بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدا شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس
بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز
ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشي اذا ذاقه ومنه
طعم الشي لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو
النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلا ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان
الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان
نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثنى قوله الا من
اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها
قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون
ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه
اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرا
ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب
جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه
الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قال لم يبق من
المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق الا ثلثماية وثلثة عشر رجلا والذين آمنوا معه يعني القليل
قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقا الله وايقنوه او الذين
تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع
البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل
الذين ثبتوا كانهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلا
ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت
شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها

ثلثماية

ثلثماية رطل وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقا الرعب
في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان
داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل
جالوت فطلبه من ابيه فجا وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت
له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت
بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب واتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة
ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلمه مما يشاء
من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان
الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت
مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار
لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين ولو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت
السخطة فاستوصل اهل الارض تلك آيات يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف
واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السما وغلبة
الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك
لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراة كتاب ولا سماع من احد تلك الرسل اشارة الى جماعة
الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله صلعم فضلنا بعضهم على بعض
لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله ومنهم من فضله الله بان كلمه من
غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرا اليماني كالم الله من المكالمة
ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه
على سائر الانبيا فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا
صلى الله عليه وآله لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى
الف آية واكثر ولو لم يوت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبيا لانه المعجزة
الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره
ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال
للرجل من فعل هذا فيقول له احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من
الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا
والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم
امره ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد
نتذاكر فضل الانبيا فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه

الى السماء وقلنا رسول الله صلعم افضل بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكر قالوا فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى
ابن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى من بين
الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه
التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا
ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا
بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلعم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت
احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته
يوم الدين ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين
وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء
ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد
من الخذلان والعصمة انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان
ياتي يوم لا بيع فيه لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا
منه ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم
من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير
والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ
كما قال في آخر اية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي
لا سبيل عليه للفنا وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي
يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
اي لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما
ومنه حديث موسى انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى
الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما
والقى الله عليه النعاس فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى الله اليه قل لهؤلاء اني
امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان
لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما كان
بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهن العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء

من علم

من علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي
قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته
وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق
قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي
ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني
وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه
الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض
وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما
حفظ السموات والارض وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتبت
الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان
لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا
ولحاها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه
مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم
المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله
وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الاية حتى ورد فيها ما ورد منه قوله عليه السلام
ما قرئت هذه الاية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة
اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه
سمعت نبيكم وهو على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا
اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل
ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله يا علي سيد
البشر آدم وسيد العرب محمد وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال
وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة اية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص
من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب
العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها
منزلة علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا
لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار
ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز

الايمان من الكفر بالدلايل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان والاصنام
والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم لا انفصام لها اي انقطاع
وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه
بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم
هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة
لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا
قبل ان يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما
فاختصما الى رسول الله فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت
فخلاهما الله ولي الذين امنوا اي ارادوا ان يومنوا تلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده
من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المومنين
يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها
الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم
الى ظلمات الشك والشبهة الم تر تعجيب من محاجة نمرود في الله وكفره ان اتاه الله الملك
متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان اتاه الله الملك على ان ايتاء الملك ابطره
واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه
او على انه وضع المحاجة فيه من الشكر على ان اتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما
تقول عاداني فلان لان احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان
ونحوه قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان اتاه الله الملك فان
قلت كيف جاز ان يوتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان اتاه ما غلب وتسلط من المال
والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده اذ قال ابراهيم ظرف
لحاج او بدل من اتاه اذا اتاه اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد العفو عن القتل والقتل
وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم عليه السلام لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل
الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك ليبهته اول شي وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل
من حجة الى حجة وقري فبهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت
بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وحبسه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه
فقال له من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي معناه
او رايت مثل الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر
لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد
ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريق الاحياء

واستعظام

واستعظام لقدرة الله المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها
الالوف وهي خاوية على عروشها تشبيه بنا بعد بنا او بعض يوم بناء على الظن وروي انه مات
ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر يوما ثم التفت فراى بقية
من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد
التين والعنب كاجتنائهما والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والها اصلية او هاء سكت واشتقاقه
من السنة على الوجهين لان لامها ها او واو وذلك ان الشي يتغير بمرور الزمان وقيل
اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى
لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحالة كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة
عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرا ابي لم يسنه بادغام التاء في السين
وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت او كان له حار فيقبل ربطه ويجوز ان يراد
وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الايات اي يعيشه مائة عام من
غير علف ولا ماء كما حفظ طعامك وشرابك من التغير ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك يريد
احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حمار وقال انا عزير فكذبوه
فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما
خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التوراة ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه اية وقيل
رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة
وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف
ننشرها كيف نحييها وقرا الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ننشزها وقري ننشرها
بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب والفاعل تبين مضمر يفسره فلما تبين
له ان الله على كل شي قدير قال اعلم ان الله على كل شي قدير فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني
الاحياء الموتى وقرا ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ
الامر وقرا عبد الله قيل اعلم فان قلت كيف فان كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه
الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا فان قلت كيف
قال له اولم تومن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من
الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى امنت ولكن ليطمئن
قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن
للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف
العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت على

يتعلق اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب فخذ أربعة
من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها بمعنى
فأملهن واضممهن إليك قال ولكن أطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير
الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس فصرهن بضم الصاد
وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن
من التصرية وهي الجمع أيضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق
أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك قيل
كانت أربعة أجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين بإذن الله يأتينك سعيا ساعيات
مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن فإن قلت ما معنى أمره بضمها إلى نفسه بعد
أن يأخذها قلت ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد
الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها فيفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن
يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل
جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها وقرئ جزؤا
بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف إجراء للوصل
مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل
باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء
ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل
تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر فإن قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير
موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الأراضي
القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فإن
قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر
قلت لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف
لمن يشاء أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف
سبع المائة ويزيد عليها أضعافها لمن يستوجب ذلك المن أن يعتد على من أحسن إليه
بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها
ولبعضهم وإن امرأ أسدى إلي صنيعة وذكرنيها مرة للئيم وفي نوابغ الكلم صنوان من منح
سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء أحلى من المن وهي أمر من الآلاء مع المن
والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزل إليه ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك

المن

المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه
بقوله ثم استقاموا فإن قلت أي فرق بين قوله لهم أجرهم وقوله فلهم أجرهم قلت
الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى أن الفاء فيها دلالة
على أن الإنفاق به استحق الأجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو
عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو وعفو من جهة
السائل لأنه إذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها أذى وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة
لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به إلى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة
وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما أتبعه كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بإنفاقه
رضاء الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان
بحجر أملس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فأصابه وابل مطر عظيم
القطر فتركه صلدا أجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الأصلع إذا
برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز أن تكون الكاف
في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق فإن قلت كيف قال لا
يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت أراد بالذي ينفق الجنس أو الفريق الذي ينفق
ولأن من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق وتثبيتا من أنفسهم وليثبتوا منها ببذل المال
الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الإيمان
لأن النفس إذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها
وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان إنفاق المال تثبيتا لها على الإيمان واليقين
ويجوز أن يراد وتصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله
في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص قلبه ومن على
التفسير الأول للتبعيض مثلها في قوله هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني
لابتداء الغاية كقوله حسدا من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون المعنى وتثبيتا من أنفسهم
عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من أنفسهم
فإن قلت فما معنى التبعيض قلت معناه أن من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت
بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله
بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله كمثل جنة وهي البستان
بربوة بمكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا أصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت أكلها
ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فإن لم يصبها وابل فطل فمطر ضعيف القطر يكفيها
لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل

كما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب
بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ
كمثل حبة بربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات
ذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل
الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة
من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم
ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم
فغضب فقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن
اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث
الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من
يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله
افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب
ثم قال فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر
وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات
ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين
من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف
ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان
كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر من طيبات
ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل
وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت
معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا
المال الرديء منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ
ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم باخذيه وحالكم
انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من
قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر
وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرأ الزهري تغمضوا
واغمض وغمض وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا
على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن
لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون

بحشف التمر

بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا
وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله
الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمأمور والفاحش
عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا ان يخلف
عليكم افضل مما انفقتم او ثوابا عليه في الاخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم
عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا
قرأ الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولو الالباب
يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الاي في معنى الانفاق
وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله
او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون
الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي
من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ
بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها
فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع
تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف
باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر
قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن
نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه
جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مجزوما
ومرفوعا والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها
يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء
عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم
النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي
عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم
بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما
بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم
ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه

ليطعمها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن
جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت
لهم اصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان
ينفقوهم عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله
لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى
اهل الذمة وأباه غيره للفقراء متعلق بمحذوف والمحذوف اي للفقراء او اجعلوا ما تنفقون
للفقراء كقوله في تسع ايات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري
قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفة يتعلمون
القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة
فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم
الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم
بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق
الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان
سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب
لا يهتدى بمناره [illegible] بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال
بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا
بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار
عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنه
نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا
مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الربا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس الصرع والخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط
الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون

ورجل

ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه ويختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن
قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من
المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق
بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين
تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون
الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم
حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربا فان
قلت هلا قيل انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربا
بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى رجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذا
اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه
اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربا انكار لتسويتهم بينهما ولا
دلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الشرع وتحريمه فمن جاءه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا فانتهى فتبع النهي فامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه
لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به
ومن عاد الى الربا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد
الفساق وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ ابي والحسن فمن
جاءته يمحق الله الربا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا
وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال
الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل
كفار اثيم تغليظ في امر الربا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اتقوا الله وذروا ما بقي
على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا بان يتركوها ولا يطالبوا بها وروي انها نزلت
في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرأ الحسن
ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا
ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة ايمانكم
وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فأذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ
فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فايقنوا
وهو دليل للقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فأذنوا
بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله
ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون

بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا
للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم
ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا
عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة على طريق النسب وهي الانظار وقرئ فنظره بسكون الظا وقرا عطا
فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب
وباقل اي ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره بها الى ميسرة
الى يسار وقرئ ~~فنظره بسكون الظا وقرا عطا فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب~~
~~نظرته على طريقة النسب كقولهم~~ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند ومقبرة
الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا
خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا
اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا
كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا
يعلم وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول
وقرئ يرجعون على طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون وعن ابن عباس
انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعن ابن عباس
عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل
ثلاث ساعات اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته
بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى
فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل
اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت
ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن
النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى
قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال
الى الحصاد والدياس ورجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق
وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما
حرم الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلف المضمون الى اجل معلوم في كتابه
وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب بالسوية
والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط
حتى يجي مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا
يأب

يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة
الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينتفع الناس بكتابته كما
نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هو فرض كفاية فكما علمه يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب
فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة
المقيدة ثم قيل له فليكتب يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله
فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته واقراره والاملاء
والاملال لغتان فقد نطق بهما القران فهي تملى عليه ولا يبخس منه شيئا والبخس النقص وقرئ شيا
بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا
مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه الذي
يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيلا ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو
يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه
واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين
والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي عليه السلام لا تجوز شهادة العبد في
شي وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على
بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد
رجل وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص
ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها
من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان
قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه
وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال
المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت
ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجي عدو فادفعه
وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وقرا حمزة ان تضل احداهما على الشرط
فتذكر الاخرى بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احداهما
على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما
اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليتحملوا الشهادة وقيل ليشهدوا وقيل لهم شهدا
قبل التحمل تنزيلا لما شارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم
فلا يتبعه منهم احد فنزلت كني بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول

المومن كسلت ويجوز ان يراد كثير مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغيرا او كبيرا على اي حال كان
الحق من صغيرا وكبيرا ويجوز ان يكون ضميره الكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يخلوا بكتابته الى
اجله وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان يكتبوه لانه في معنى المصدر اي
ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا
واقرب من انتفاء الريب فان قلت مما بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب
سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي
قسط واقوم من قويم ودري ولا يساعون ان يكتبوه بالياء منها فان قلت ما معنى تجارة حاضرة
وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة
ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا
ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع
على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على
ان لا يكون تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا
اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا كان او كالئا
لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع
يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء
لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول
والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح
والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة
والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا ولا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل
الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه
فان الضرار فسوق بكم وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه على سفر مسافرين فقرأ ابن عباس وابي
كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكتاب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية
كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها
وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون
حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في
السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال
من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك
انهما لم يجوزا الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح
الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض

للمديونين

المديونين لحسن ظنه وقرئ فان اؤتمن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغنا
عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن
به وامنه منه وائتمانه وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين
امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان يتلفظ بهمزة ساكنة بعد الذال
وبياء فيقول الذيتمن وعن عاصم انه قرأ الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في
الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك
ريا في رؤيا اثم خبر ان وقلبه رفع باثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه
بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه اثم وما فائدة
ذكر القلب والجملة هي الاثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها
فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك
تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ولان القلب هو رئيس
الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل
فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة
باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان
افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من اثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب
وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور
وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله
اثما ان تبدوا ما في انفسكم يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب
المغفرة بالتوبة مما اظهر منه واضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا تدخل فيما
يخفيه الانسان الوسوسة وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده
وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى
حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما
وجد فنزلت لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين
على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء
في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس
بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة
الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من
يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ومعنى هذا البدل التفصيل
اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحببته

عقله وهذا البدل تأثرٌ في الامتثال وتوجه في الاستجابة المقبلين الى البيان والمؤمنون
ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كلٍّ راجعاً الى الرسول والمؤمنين
اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان
الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كلٍّ في معنى آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع
كقوله وكلٌّ اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من
الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية
قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق
يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو ويعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكلٍّ وقرأ عبد الله لا يفرقون
واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا
اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وسعها
طاقته وقدرته بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما
يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله
يريد بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من
الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما
كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها
فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما
تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة
فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان
او الخطأ ان فرطنا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة
قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله وما
انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته
سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كان يفرط منهم فرط
الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون
به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز
ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة
فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق
نحو قتل الانفس وقطع النجاسات من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا
تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه
للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من

العقوبات

العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل بهم
ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد
يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك
او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك
او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من
آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت
العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده
قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت
هل يجوز ان يقال قرأ سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وعن علي عليه السلام
من خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن ابن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من
هاهنا والذي لا اله الا هو غيره رمى من انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا
وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأ البقرة لم يشكل ان
المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال قرأت السورة
التي تذكر فيها البقرة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال
السحرة تم الجزء الاول من الكشاف وهو من عشرة بخط مصنفه والحمد لله رب العالمين
والصلوة على محمد وآله الطيبين الطاهرين وجميع الانبياء وسلم في منازل الحبر
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله
اجمعين وقد وقع الفراغ من كتابة هذا الجزء
يوم السابع والعشرين من شهر شعبان
سنة ثمانية والثلثين بعد الالف
على يد الفقير الى الله محمد ابن علي
يحيى عفى الله عنهم
وذلك الشيخ الفاضل الكامل العالم العامل وحيد دهره وفريد
عصره الشيخ فخر الدين المرحوم المبرور الشيخ جمال الدين المرحوم
المبرور الشيخ جمال الدين المشهور
...
...

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الالف وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان
وهي قراءة عاصم فاما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت
كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات
حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في قولهم واحد اثنان
بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة التقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين
لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابرهيم وداود واسحاق ولو كان التقاء الساكنين
في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر
فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين
فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست بالتقاء الساكنين
انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا
اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء
الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء
الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل
ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة
لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل
قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف
ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره
على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان تفرق بين الحق
والباطل او الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل
من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا
وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما
ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام
له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض
فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة
وقرأ طاوس صوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلت مالا اي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك
وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كأنه تنبيه بكونه مصورا في الرحم وانه
عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله تعالى محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال

والاشتباه

متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك
لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت هلا كان القرآن كله محكما قلت
لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من
النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده
الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح
العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة
ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا
رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه
وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده وقوة في ايقانه
الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي
يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء
الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه
التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي
الى تأويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا
فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون
في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد
الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء
العالمون بالتأويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم
من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا
يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز
ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله ان تأويله الا عند الله وقرأ ابي
ويقول الراسخون لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا
لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق
والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب جامع الناس ليوم اي تجمعهم لحساب
يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد
كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد وقرأ علي عليه السلام لن يغني بسكون الياء
وهذا من الجد في استثقال الحركة على حرف اللين في قوله من الله مثله في قوله ان الظن
لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم اموالهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل
رحمته وطاعته وبدل الحوزة ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه حظه من الدنيا بذلك اي

بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم تقربكم عندنا
زلفى وقود بالضم يعني اسم وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن
عباس هم قريظة والنضير الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه
الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره داب هولاء الكفرة كداب من قبلهم من
آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لم تغن عنهم مثل ما لم تغن
عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم يقول انك لتظلم الناس كداب ابيك تريد
كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم ولا الى فلانا لمحارف كداب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا
بآياتنا الله تعالى بذنوبهم مما فعلوا وفعلهم على انه جواب سوال مقدر عن حالهم قل للذين
كفروا وهم مشركوا مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا
حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان احد شكوا وقتل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر
سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا وقيل ان نزل لكم
ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم
بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت سيغلبون ويحشرون
وبئس المهاد عن المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ وقرا حمزة والكسائي بالياء والامران على
لهم كما اخبرهم وعيدهم بلفظه كانه قال ادى اليهم هذا القول الذي هو قولي
لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا
يوم بدر ترونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي
عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا
عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة
نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان
قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم
حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير
في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن
ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى
في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الاية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين وكانوا ثلاثة امثالهم
ليثبتوا لهم ويتيقنوا النصر الذي وعدهم الله في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
لعلمهم ان مقاومة الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
ولذلك وصف بقلة ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون
ثلثة

ثلثة امثالهم وقرئ ترونهم على البناء للمفعول اي يريهم الله ذلك بقدرته وفئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين
وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا راي العين رؤية ظاهرة مكشوفة
لا لبس فيها معاينة كرأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو
زين للناس المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل
عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم
احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة
محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة
عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء
بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم تفسيرها
بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح
طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وعن سعيد بن
جبير مائة الف ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من
لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة
والمطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الابل والبقر والغنم ذلك المذكور متاع
الحياة الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير
من ذلكم كما تقول هل ادلكم على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان
يتعلق اللام بخير ويختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات ويعضده
قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق
او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح
او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على
كمالهم في كل واحدة منها وتخصيص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل
فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن
كانوا يصلون في اول الليل فاذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم
وهذا ليلهم شهد الله بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها
من اياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في
البيان والكشف وكذلك قوله والملائكة واولوا العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط
مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم
لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على الحال من كلمة منه كقوله وهو الحق مصدقا

قلت لم اجاز افراده بنصب الحال دون المعطوف عليه ولو قلت جاني زيد وهند راكبا جاز لتميزه
بالذكورة على المدح فان قلت اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد
لله الحميد انا معشر الانبيا لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة
وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل
السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت
لا يبعد فقد رايناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته حالا
من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانه حال مؤكدة
والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله
شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه على فاعل شهد
وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله
والملئكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا
على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملئكة واولوا العلم انه لا اله الا هو
وقرا عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو حنيفة
قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل
يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله اخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان
قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة
الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة
والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على
ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الاسلام
جملة مستانفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدته ان قوله
لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله
الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه
فليس عنده في شي من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية
او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي
كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند
الاسلام والبدل هو المبدل منه والمعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل
وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا
ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد ترى القراءات كلها متعاضدة على
ذلك وقرا عبد الله ان لا اله الا هو وقرا ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراة من فتح

الاولى

الاولى وكسر الثانية وقرا شهدا لله بالنصب على الحال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهدا لله
فان قلت فعلام عطف في هذه القراة والملئكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء
وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة
على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن
باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا
الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل
والذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام
وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون
ونحن اهل كتاب وهذا بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء
بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق
ناسا يطاؤن اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل اختلافهم في نبوة محمد صلعم حيث آمن به
بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبيا فمنهم من آمن بموسى ومنهم
من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلم حين احتضر استودع التوراة
سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدوا على حظوظ
الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه
عبد الله ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي
اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان ادعوه واعبد الها معه
يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت
عندي وما جيت بشي بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا بان ادعه واعبد الها يعني ان ديني
دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي فهو دفع للمحاجة
بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة
فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع
فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين
لا كتاب لهم من مشركي العرب ااسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي
حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق
من طرق الكشف والبيان طريقا الا سلكته هل فهمتها ام لا ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون

بعد ما ذكر الصلوات عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استصغار وتصغير وتعيير بالمعاندة وقلة
الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق والمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب
اسلمتم ابينه من الاذعان وكن لكتب في حل منهما توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي
هل انتم بالتقاعد من الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد
اهتدوا وقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمات الى النور
وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق
الهدى وعن الحسن يقتلون النبيين وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله
وقاتلوا وقرا ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء
وقتلة اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حاولوا قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة
الله وعن ابي عبيدة ابن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة
قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت
بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا
من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار
في الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة فان قلت لم دخلت
الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من
يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها
ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار
اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان وحصلوا
من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو
التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلعم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو
والحارث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال
لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه
وعن الحسن وقتادة كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى
فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم
قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وتجري ليحكم على البناء للمفعول والوجدان واحدهما وقع من
الاختلاف والتقادر بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله
الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم
وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قولهم ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا بينهم كانما
بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج

س

من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلعم واله في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم
فكيف يصنعون فكيف حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في
دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل باطل وتطمع بما لا يكون وروي
ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة
انفس تريد ثلثة اناسي الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص
هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف
وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من
الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان
الاخران خاصان بعضان من الكل وروي عن رسول الله صلعم حين افتتح مكة ووعد امته
ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم
وهم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلعم واله لما خط الخندق عام الاحزاب
وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم
لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلعم يخبره فاخذ المعول من سلمان
فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف
بيت مظلم وكبر المسلمون فقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب
الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي
منها قصور صنعاء واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى
وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت
كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه
الى المؤمنين وهو الذي انكره الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك
ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء
الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي
والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب من شاء من عباده فهو قادر
على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني

جعلتم عليهم عقوبة فلا تشغلوا بسبب ملك ولكن توكلوا الى اعظم علمك وهو صفي تولى
عليهم كما تلاوتون تولى عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام
او غير ذلك من الاسباب التي بها يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القران ومن يتولهم
منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الاية والحب في
الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم
في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك
فليس من الله في شيء ومن تولى الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني
انه منسلخ من ولاية الله تع راسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان
كما قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقية
الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية لقوله ضرب
الامير لص ورخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة
ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول
عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة
اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان تتقوا بمعنى تحذروا وتخافوا فيكون
ان وتنتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله تع يعلمه وهو لا يخفى عليه وهو الذي
يعلم ما في السموات وما في الارض ولا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلانيتكم
والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان
نفسه وهي ذاته المميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم
فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي
قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يتجاسر احد على قبيح
ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض
عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فتوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه
عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه
الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو
آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد كل نفس منصوب بتود والضمير في
بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين
ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا وعن انتصب يوم بيحذركم وتبع على ما عملت
ما وجده ويرتفع وحده ويرتفع ما عملت على الابتداء وتود خبره والذي عملته من سوء تود لو تباعد ما

بينها

بينها وبينه ولا يصح ان يكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان يكون شرطية على قراءة
عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية
الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون
تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا لقوله ووجدوا
ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحيفتهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد
المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال
منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم
والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك
الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان
يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة
وذو عقاب اليم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون
غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم تريدون
عبادة الله على حقيقته فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادة الله يرض عنكم
ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم
تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت
من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا شك في انه لا يعرف ما الله ولا
يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا انه تصور في نفسه الخبيثة صورة
مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رايت
المني قد ملا ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملاوا اردانهم بالدموع
لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه قال احب ابا ثروان من حب تمره
واعلم ان الرفق بالجار ارفق ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق فان
تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل فيما يقول
الرسول لهم آل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران
ابن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية
بدل من آل عمران بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من
بعض موسى وهرون من عمران بن يصهر ويصهر من فاهث وفاهث من لاوي ولاوي
من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان
ابن داود ابن ايشى بن يهوذا بن يعقوب ابن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله
صلى الله عليه وآله وقيل بعضها من بعض في الدين لقوله تع المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض في الدين

آل ابراهيم وآل

ارسع عليهم لقوله امرأة عمران وابنتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرأة عمران هي
ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت
امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول
الآخر يرجحه ان موسى يقرن كثيرا في الذكر بابرهيم فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها
مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران
هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة
زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد
وقد تزوج زكريا ابنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا
لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت للولد
وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت
المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا
لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من
النذر مشروعا عندهم روي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين
ان يفعل وبين ان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان
فلما بنت الامر على التقدير وطلبت ان يرزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطنها وانما
انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او على تأويل الحبلة والنفس والنسمة
فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتأنث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد
كما انث الاسم في ما كانت امك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تأويل
الحبلة والنسمة فهو ظاهر كأنه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها
انثى وما اردت الى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس
تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا
للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت
تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي
وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا
تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله اعلم بما وضعت على خطاب
الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ
وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت
فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع

والانثى

والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف
قوله واني سميتها مريم قلت عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله
وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم
بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا
لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من
الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد
فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين تخييل وتصوير
لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول
ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة
المس والنخس فلو ملكوا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن
فيه وجهان ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط ويلد به وهو
اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها
من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس
كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا
انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى
نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون
مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله
وتقضاه بمعنى استقضاه وقد ذكر كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه
قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر
بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجازا
من التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها بوزن وعملها
وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا وضامنا
لمصالحها وتؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرئ مجاهد فتقبلها ربها
وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها بمعنى تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها
وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة يصعد
اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في اشرف موضع في بيت
المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا

خرج غلقه عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا ينزل من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد
عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا
الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل
للداخل اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في
المهد وعن النبي صلعم جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة عليها السلام رغيفين وبضعة
لحم اثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما
فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال صلى الله عليه وآله انى لك هذا فقالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال لها صلى الله عليه وآله الحمد لله الذي جعلك شبيهة
سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلعم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل
بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب يحتمل كلام مريم او جملة كلام رب العزة عز من قايل بغير حساب تقدير لكثرته او تفضلا
بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد
عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم في كرامتها
على الله تعالى ومنزلتها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة
على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة
في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع سميع
الدعاء مجيبه وقرأ فناداه الملائكة وقيل ناداه جبرئيل وانما قال الملائكة على قولهم
فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء
نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشر وابشر ويبشرك بفتح الشين من بشر ويحيى
ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف
ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مومنا به قيل هو اول من آمن
به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا
بكلمة من الله مومنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا
الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فايقا لقومه وفايقا للناس كلهم في انه لم يركب
سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها اي عن الشهوات
وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا
فيها بسوار فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وروي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه
الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبيا
او كاينا من جملة الصالحين لقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين اني يكون لي ولد استبعاد من حيث

العادة

العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني
وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة كذلك اي يفعل الله ما يشاء من
الاحوال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر وكذلك
الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من
الافاعيل الخارقة للعادة اي اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال
آيتك ان لا تقدر على تكلم الناس ثلثة ايام وانما خص تكلم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن
القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر
ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكلم الناس وهي من الآيات
الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله ولا
يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية
من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب ما اوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او راس او غيرهما
واصله التحرك فقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب
الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو
حال منه ومن الناس دفعة كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا
بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس
الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ الابكار بفتح الهمزة جمع
بكر كسحر واسحار فقال ابتكر بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف
استثني منه قلت لما ادى مودى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة
عيسى عليه السلام اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة
السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء
العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر
القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى
ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في
عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته
ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة
الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي
فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي الاستماع من حفاظها وهو موهوم

قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم
يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي
مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا
امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام
التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون في شانها
تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب
المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك لقوله وجعلني
مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في
الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان
يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته
سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الاباء
لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك
فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر
فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة اشيا الاسم منها عيسى واما
المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي
يعرف به ويتميز عن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله
ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح
انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس
وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته
للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال
عطف عليه يعني ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين
كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل
ويستنبا فيها الانبيا ومن بدع التفاسير ان قولها رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ونعلمه
عطف على نبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا وقرا عاصم ونافع ويعلمه
بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد
جئتكم ولما بين يدي يابى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر
له وارسلت على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا
لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا

باني

باني اصدق ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد
جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني جئتكم او جر بدل من اية او رفع
على هي اني اخلق لكم وقرى اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير
للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا
وقرا عبد الله فانفخها قال كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي ولد
اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي
صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم
يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم
فيه اللاهوتية وروي انه احيا سام ابن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال
يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وقرا تذخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على
قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه
ايضا اي جئتكم باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم
والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من
السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرى حرم عليكم على تسمية
الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله عز وجل او موسى عليه السلام لان ذكر التوراة
دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرى حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة
على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا عليه هذا القول
لم يختلفوا فيه وقرى بالفتح على البدل من اية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
فان قلت كيف جعل هذا القول اية من ربه قلت لان الله جعله له علامة يعرف
بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون
تكريرا لقوله جئتكم باية اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحيا والانبا
بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرا عبد الله
وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الايات واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا
فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف
قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وما بينهما
اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من
صلته انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني
كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجيا اليه نحن
انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات

لخلوص الحواريين ونظافتهم قال ابن جلده فقل للحواريات تبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح
وفي فرنه الحواريين وهو كثير الحيلة والعاطل بولي شهادته باسلامهم ما كيف لا انهم كان الرسل شهداء
يوم القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم او مع الذين
يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني
اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع
عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم
كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين
او لمكر الله يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار
ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر
ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك
من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول
من السماء ورافعك الان وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها اذ رفعه
وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء امن مقرب وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم
متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من
اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله فاعلمهم فنوفيهم اجورهم وقرئ فنوفيهم بالياء
ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه ومن الايات حال من الهاء
او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات
الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القران وصف بصفة من هو
من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله ان شان عيسى الغريب كشان
ادم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بادم اي خلق ادم من تراب ولم يكن
ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد
ادم بغير اب ولا ام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه
به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن
العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة
من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا
نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا
اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ

واحرق

واحرق ثم قام سالما ثم خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه
خلقا اخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق كقولك الحق
خبر ثانيه فلا تكن من الممترين من الامتراء وجل رسول الله ان يكون ممترئا من باب التهييج لزيادة
الثبات او لطمانينته او ان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد
ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما
تقول تعال نفكر في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه
ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة
بالفتح والضم اللعنة وبهله الله اي لعنه وابعده من رحمته من قولك بهله اذا اهمله
وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء مجتهد فيه وان لم يكن
التعانا وروي انهم لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل
ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت
صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا
الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتى رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا
ولم يبق على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على
دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم
فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا
ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في
رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده
ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على
النصارى كلهم حتى هلكوا وعن عائشة ان رسول الله خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود
فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه
وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك اكد في الدلالة على
ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه
لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته

بهلاك الاستيصال ان خالفت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب
وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعاين
في الحرب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها حماة الحقايق وقدمهم في الذكر على الانفس
لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليوذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه
دليل لا شي اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة
النبي لانه لم يرو احد من موافق ولا من مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص
عليك ربك علي لهو القصص الحق قري بتحريك الهاء على الاصل والسكون لان اللام تنزل
منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدا
والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا
جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها
ان تدخل على المبتدا ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا
هو في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل
الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية
بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا
الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى
لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا
نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله لقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية
الخالق او صليت لغير القبلة وقري كلمة بسكون اللام وقرا الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت
استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم
ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما
اعترف باني الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا
بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى
ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمومنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت
بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين
عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون

حتى

حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هولاء ها للتنبيه وانتم مبتدا وهولاء خبره وحاججتم جملة مستانفة
مبينة للجملة الاولى يعني انتم هولاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما
لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم
من دين ابراهيم وعن الاخفش ها انتم اصله أانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى
الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هولاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم
فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بري من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من
المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى
الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده
وهذا النبي خصوصا والذين امنوا من امته وقري وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في
اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابراهيم ودت طايفة هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا
ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب
يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او ما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم
من اشياعهم بايات الله بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يومنون بما نطقت به من
صحة نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها ايات الله او يكفرون بالقران
ودلايل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته في الكتابين او يكفرون بايات الله جميعا
وانتم تعلمون انها حق قري تلبسون بالتشديد وقرا يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي
تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا
وجه النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار والمعنى
اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في اخره لعلهم يشكون في
دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل
تواطا اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول
النهار من غير اعتقاد واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك
شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب ابن
الاشرف لاصحابه امنوا بما انزل اليه من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار
ثم اكفروا به في اخر النهار وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون
ولا تومنوا متعلق بقوله ان يوتى احد وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان
يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم اراد واسروا تصديقكم بان المسلمين
قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم

ثباتًا ودعوة المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في
يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيمة
بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت ما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى
الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم وزيكم وتصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد
الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم
الامر كما تقولون تاهلين لدينكم ممن اسلم منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع
من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير ان يؤتى
احد فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى
الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقدعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم
وقرئ ان يؤتى على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن
تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون
مثله فلا يحاجوكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس
من ان تامنه بقنطار هو عبد الله ابن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل
من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم
والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك
عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى
الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها
وقرئ يحيى ابن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك
الاداء الذي دل عليه لم يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل اي لا يتطرق الينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب
وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم

ويقولون

ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم
فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلعم
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه ساله رجل فقال انا نصيب في الغزو من
اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في
ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية
لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم
وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم
سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها
والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في
ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل
الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود
وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما
معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز
ان يرجع الضمير الى الله يقال ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل
في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان
قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير
وعن ابن عباس نزلت في عبد الله ابن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول المصدق
لما معهم وبايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع
الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة ابن ابي
الحقيق وحيي ابن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلعم واخذوا الرشوة
على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب ابن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال
هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم
الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته
ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن
الاشعث ابن قيس نزلت فيّ كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلعم
فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها
مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد

اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان تروي انها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير
في بعهده الي الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم يقول فلان لا ينظر الي فلان
يريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله
فيمن يجوز النظر عليه وفيمن لا يجوز قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من
اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان
وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع
كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا منهم كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف
وحي ابن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الي المحرف
وقرا اهل المدينة بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه
انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها علي الساكن قبلها فان قلت
الام يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الي ما دل عليه يلوون السنتهم وهو المحرف ويجوز ان
يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك المشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء
بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله
هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة علي انهم لا يعرضون
ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد انزله الله علي موسى كذلك
لفرط جراتهم علي الله وقساوة قلوبهم وياسهم من الاخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين
قدموا علي كعب ابن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله
ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد
عبادة عيسى عليه السلام وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله
ايريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير
عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما
يسلم بعضنا علي بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن
اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة والنبوة السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن
يقول كونوا والرباني منسوب الي الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني
وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية رضي الله عنه انه قال حين
مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين
وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم دارسين للعلم
وبسبب كونكم عالمين وجب ان يكون فوق الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن
العلم والدراسة وكفى به دليلا علي خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم

بجعله

بجعله ذريعة الي العمل فكان مثله كمثل من غرس شجرة حسناء تونقه منظرها ولا تنفعه
بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون تقرؤن وقرئ تدرسون
من التدريس وتدرسون علي ان ادرس بمعنى درس كاكرم واكرم وانزل ونزل وتدرسون
من التدرس ويجوز ان يكون معنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه علي الناس فيكون معناه
معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في
شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للتمسك بطاعته ولا
ولا يامركم بالنصب عطفا علي ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى
النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الي اختصاص
الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم بان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ويستخف بي والثاني
ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة
واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان
لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته والصحيح لا يامركم وايامركم للاستئناف والهمزة
في ايامركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل ان المخاطبين كانوا مسلمين منهم الذين استاذنوا ان
يسجدوا له ميثاق النبيين فيه وجهان احدهما ان يكون علي ظاهره من اخذ الميثاق
علي النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الي النبيين اضافة الي الموثق لا الموثق
عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء علي اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل علي حذف
المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد علي زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون
نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن
مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما اتيتكم لام التوطئة
لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون
المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة
بمعنى الذي اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ اتيناكم به وقرئ حمزة لما اتيتكم بكسر اللام ومعناه
لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول الله مصدق لما معكم لتؤمنن به
علي ان ما مصدرية والفعلان معها اعني اتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل
علي معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لموافقتكم غير مخالف ويجوز ان يكون موصولة
فان قلت كيف يجوز ان يكون ذلك والعطف علي اتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان
يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول الذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلي لان ما

معكم في معنى اتيتكم فكانه قيل للذين اتيتكم وجاءكم رسول مصدق وقرأ سعيد بن جبير
لما اتيتكم بالتشديد بمعنى حين اتاكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب
عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان
والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احديها فصارت لما ومعناه لمن اجل
ما اتيتكم لتؤمنن به وهذا قريب من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم
وهما لغتان فيه وسمي اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون
الضم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض
بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم
وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب
للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون المتمردون
من الكفرة دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم
الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف
تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على
فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل
وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم
وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال عليه السلام كلا الفريقين بريء من
دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون
بالياء ويرجعون بالياء وهي قراءة الحجة لان الكناية عنهم المتولون والراجعين جميع الناس
وقرئ بالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت
فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين وكارهين
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعن من معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل
وجمع في امنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه
فان قلت لم عدي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من سورة البقرة بحرف
الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله
قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء وياتيهم على
طريق الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله امنوا بالذي انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب
والى قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له

لشريك

لا نجعل له شريكا في عبادتنا ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من
الذين وقعوا في الخسران مطلقا بتقييد الشياع من غير تاكيد وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف
يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله تصميمهم على الكفر ودل على تصميمهم بانهم
كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من
القران وساير المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بعيسى عليه السلام بعد ان
كانوا مؤمنين وكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا
ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن
الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد
ابن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف على
ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول
الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا
وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين
الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد
واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح وقيل في الحارث بن سويد حين ندم على
ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فاقبل
الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقران او كفروا
برسول الله بعد ما كانوا مؤمنين به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك
وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنهم المؤمنين وصدهم عن
الايمان به وسخريتهم بكل اية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم
الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة
فان قلت قد علم ان المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن
تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا يقبل توبته من الكفار
هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون
على الكفر داخلون في جملة من لا يقبل توبتهم فان قلت لم قيل في احدى الايتين لن تقبل
بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء
وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر
ولا دليل فيه على التسبب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق

بخلاف فله درهم فان قلت فحين كان معنى فلن يقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر
فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة
القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع
الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت
على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان
اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ
الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ذهبا نصب
على التمييز وقرا الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان
قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك
ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة
للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو
قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا
في حكم شي واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به
ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل
وهو الله عز وعلا ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة
البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى
تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان
السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله
ان احب اموالي الي بيرحى فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وآله
بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل
يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في
سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان
اتصدق به فقال رسول الله ص اما ان الله تع قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى
الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته
فقال ان الله تع يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال لن تنالوا البر حتى تنفقوا
بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخرجت من المال ومن في

من شي

من شي للتبيين اي من اي شي كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله
عليم بكل شي تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل
مصدر يقال حل الشي حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة
كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى به المذكر والمؤنث والواحد والجمع
قال الله تع لا هن حل لهم والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على
نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النساء فنذر ان شفي ان يحرم
على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطبا
باجتنابه ففعل وكان ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتدا والمعنى ان المطاعم
كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم
لم يحرم منها شي قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه وهو
رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تع فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله الى قوله
عذابا اليما وفي قوله تع وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمازوا منه
وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا
باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن
بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على
من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل
الله واكل الربوا واخذ اموال اليتيم بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما
ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتوراة
فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم
تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا
على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق
النبي صلى الله عليه وآله وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه
ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما لزمتهم الحجة
القاطعة فاولئك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون
الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا
وهي ملة الاسلام التي عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم

في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطركم الحجر بكتاب الله لشوب اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات
التي احلها الله لابرهيم ولمن بعده وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل
يدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس تسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا
للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن ابي ذر
عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال
اربعون سنة وعن علي ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت
ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم
ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس
هو اول بيت حج اليه بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق
السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض
تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت الملائكة طف
حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال
له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات للذي
ببكة البيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط
والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة
وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس
فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي
بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته
الاكة فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها
جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف
حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان
التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين
لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله فيه ايات بينات فان قلت كيف
صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة ايات
لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عم من تاثير قدمه في حجر صلد
كقوله تع ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة
الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخر دون بعض اية وابقاؤه دون
سائر ايات الانبياء عليهم السلام اية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين
واهل الكتاب والملاحدة الوف سنين اية ويجوز ان يراد فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن

من

من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الايتان ويطوى
ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله
وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث
من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة
وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة اية بينة على التوحيد
وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون
مقام ابرهيم والامن عطف بيان للايات وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة
اما ابتدائية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله
كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن داخله
الا ترى انك لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك
فيه اية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه
قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا
الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل
انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه
عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه
عليه ومعنى ومن دخله كان امنا معنى قوله او لم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف
الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا وكان
الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب
ما مسسته حتى يخرج منه وعن ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة
او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى
يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار وعن النبي صلعم من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذان باطرافهما وينثران
في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف على ثنية
الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله
سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد
منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلعم من صبر على حر مكة
ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي انه
رسول الله صلعم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه
اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته

لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر
وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع
وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه
ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشيء فهو
سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التأكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس
حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من
عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد
احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل
بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج
تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا وان شاء نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها
ذكر الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه
يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن
سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما
نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال
ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل
قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي حجوا قبل ان لا
تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا
تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية
شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا
وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي
دلتكم على صدق محمد عليه السلام والحال ان الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم
عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته وقرأ الحسن تصدون
واصدّ عن سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا
يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل
اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب
ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة
فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على
الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله

صلى الله عليه وآله

صلى الله عليه وآله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء
ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا
يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على
الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين
شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون
فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة
وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم
يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس
والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين
والانصار وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من
عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون معنى الاستفهام
فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي
القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم
ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون
حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل
له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كأن الهدى قد حصل
فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى
كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو
القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في
التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى
ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة
لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته
حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال
سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو
ولا تأتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال الذي

شرفت عليه في وقت الاتيان فوقهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره
به ووثوقه بحمايته بامساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان
يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما
يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على
التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن
حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به
رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع
والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك
بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين
قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وتناصروا وصاروا اخوانا متراحمين
متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في
الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله
وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من
الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انثت لاضافته
الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها
بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة
الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على
ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود
على حرفها مشرفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين لكم آياته لعلكم
تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف
يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف
الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين
ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه
عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا
امة يامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون واولئك هم المفلحون هم الاخصا بالفلاح

دون

دون غيرهم وعن النبي عم وآله انه سئل وهو على المنبر من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو
خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي عم افضل الجهاد الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي
على الناس زمان تكون جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن
والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي
عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق
الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند
ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره
قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع
لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان
المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت
فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد
تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان
قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض
كف المنكر قال الله تع فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشر قلت كل
مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار
لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم
بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا
هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها
كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى
عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين
لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف
ابن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو
ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير
ويامرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله
كقوله والصلوة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما

جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم
المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار
اذكروا وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور
والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه
وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل
وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة
من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم فالظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم
برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار
وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء وعن
ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء
شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب
اشي تقوله برايك ام شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله غير مرة
قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية
ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار
لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله
ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله
ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون
لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك ايات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها
عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما
فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال
للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة
القبائح والرضا بها كان عبارة عن وجود الشي في زمان ماض على سبيل الابهام وليس
فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما
ومنه قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله
خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت اظهرت وقوله
تامرون كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم
بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن
ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير
ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون

ان

ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل
الكتاب مع ايمانهم بالله لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا
دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة
والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه
على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم
الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا مقتصرا على اذى بقول
من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا
يضروكم بقتل او اسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لكم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت
لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون
ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام
منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا
ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا
ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان
نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه
قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف
عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من
حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف
عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم
انهم لا ينصرون فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار
بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين
اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد
عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت
وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير
الا معتصمين او متمسكين او متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال
والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس
يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة
لما قبلوه من الجزية وباؤوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب
البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله
وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن

بسبب كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم
لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان
سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل
الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا
سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة قائمة مستقيمة عادلة
من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم
بتلاوة القران في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن
صورتهم وقيل عني صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال
اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية وقيل
يتلون ويومنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مومنون وصفهم
بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله
لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض
ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة الى الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها
غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في
توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون بما وصفوا به من
جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه ويجوز ان
يراد بالصالحين المسلمين ولن تكفروه لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر في قوله
والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى
مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى مفعول واحد تقول شكر النعمة وكفرها
قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا
وتكفروه بالياء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على
انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال لا تعدلن اتاويين
تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد وتملا الجفانا
سديفا يوم نكباء صرصر فان قلت ما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها
ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصفت بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد
على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث
ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان

ففي

ففي الله كاف وكما قال وفي الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم
والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد
فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة
رسول الله فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم
ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان
قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام
غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي
مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون
كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء
وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا
انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم وما
ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ
ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون
على اسقاط الشان لانه انما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه
الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم
الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه
بلا تتخذوا وببطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم
خبالا يقال الى في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك
نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه
والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة
الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم
اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم
انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد
بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي
قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين
وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف
موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت
البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن
منه واوجه ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها

للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب
وقوله تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم حيث تبذلون محبتكم لاهل
البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها
من لا يحبونكم وهالك انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم
ولا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض
الانامل والبنان والابهام قال الحارث بن ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة
يعضون من غيظ رؤس الاباهم موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى غيظ
يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم
في ذلك من الذل والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور
المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم الى بعض وهو كلام
داخل في جملة المقول وخارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت
اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا
اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يسرونه بينهم وهو مضمرات الصدور
فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه وان كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد
ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما
اضمروه في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله
قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله
ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة
والرجاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا
بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم
من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس
مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم مكيدة
وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه
الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من
موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه
كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضره وضمة الراء على
اتباع ضمة الضاد كقولك مدّ يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضرَّكم بفتح
الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال

الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما يعملون من الصبر
والتقوى في عداوتهم محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في
عداوتكم فمعاقبهم عليه واذ غدوت واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة
عائشة روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله
واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا
اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا
يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها
خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم تهم
بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس
لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه
وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل
فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال
فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا
خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر
عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا تبوئ
المؤمنين تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تبوئ لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف
وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان
ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك
والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه والطائفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله
في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل
عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم
الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم
فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه
اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس

وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها
على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك
تحمدي او تستريحي حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب
يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية
والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان
ولا يتوكلان على الله فان قلت فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية
والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى
ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة
الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا
لنزولها فالمثل الجبن والخور وقلة الصبر الله والله وليهما بقوله وان طائفتان من
المؤمنين امتثلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم
ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة
جمع قلة والذلة جمع الكثرة وجاء الله بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليله
وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا
على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم
كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس
والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله
في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله
عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على
ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد فان
قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط
الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك
لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة
لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم
الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي للاشعار بانهم
كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن
يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من
ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من
غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة الامر

على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة
التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقول خرج من ساعته لم يلبث
والمعنى انهم ان ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم
عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصركم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين
بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين
ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك
معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم
وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء
فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة
قد تسومت وما جعله الله الا بشرى لكم وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم
بانكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم
وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة
والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصر والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب
المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من
المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان
يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم
ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي
الطيب لا كبت حاسد وارى عدوا كانه من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد
نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من
الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم
ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث
لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف
بأو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا
ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفي منهم وقيل شج عتبة بن ابي
وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل
عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم
الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله
يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين

للعذاب وعن عطا يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون تفسير لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع
يتصامون ويتعامون عن ايات الله فيخبطون خبط عشوا ويطيبون انفسهم بما يفترون على
ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب على الذنب الصغير من يشاء لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة نهى عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان
الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل ليزداد المديون في المال فاستغرق
بالشي الضعيف مال المديون واتقوا الله النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة
يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المومنين النار المعدة للكافرين ان لم
يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المومنين لرحمته
بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الايات وامثالها لم يحدث نفسه
بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال
الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة المسلك في التقوى وصعوبة
اصابته وعزة التوصل الى حجته دنوا به في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بلا
واو وقرا الباقون بالواو وكذا في مصحف ابي وعبد الله وسارعوا ومعنى المسارعة الى
المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والارض كقوله عرضها كعرض
السموات والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض
والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص
العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس
رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال
الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه
من كثير او قليل كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة
عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو عن حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا
حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع
الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شي على النفس وادل على الاخلاص ولانه كان في ذلك
الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملاها
وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر
ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا
وعن عائشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين
عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه وروي ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم

على الله

على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب
المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويجوز ان تكون للعهد فتكون اشارة الى
هولاء والذين عطف على المتقين او التائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز
ان يكون في الذين مبتدا وخبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او
اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة
واللمس ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده
او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم تابوا عنها
لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب
المغفرة وان التائب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله
يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه
وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع
عن الياس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى وحده معه
مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح
فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وروي
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي
منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها
والوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الايات بيان ان طبقات الذين امنوا
على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين منهم والتائبين دون
المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه ونعم اجر العاملين بعد
قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك
جزاء واجب على عمل واجرة مستحقة عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى
موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن
شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من
الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا
الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد سنن الله في الامم
المكذبين من وقائعه كقوله واقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد

وانا ولا نضل لهذا انه التي قد خلت من قبلكم هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب
يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم وهدى
وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين
اتقوا من المومنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يلحق
به وما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين
والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمومنين عما اصابهم يوم احد وتقوية
من قلوبهم يعني لا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا
به ولا تحزنوا على ما قتل منكم وجرح وانتم الاعلون شانا لانكم تقاتلون لله ولاعلاء كلمته وقتالهم
للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو
والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مومنين متعلق
بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع
الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم
به من الغلبة وقرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل
هو بالفتح الجراح وبالضم الالم وقرا ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد
والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم
يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه قوله فانهم يالمون كما تالمون
وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد مثل قتل المشركين قلت بلى فقد
نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم
يوم احد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى
قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدا والايام صفته ونداولها
خبر ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد
بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهولاء وتارة
لهولاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر
وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال
اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله
وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال
عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا
والمداولة مثل المعاورة ثم دال يرد المياه فلا يزال سدا ولا في الناس من عقل وصاع يقال

دولا

داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل
محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من
باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من
غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلم علما
يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة
وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف
للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان
العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو
غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين
يوم احد وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم من
الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض
بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هولاء الثابتين على الايمان
المجاهدين في سبيل الله المخلصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية
ويمحق الكافرين ويمحو اثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما
يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي
متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما
فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد
فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل
وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما
يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع كقوله لا تاكل السمك
وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم
بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون
الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله
ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج
الى المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوا
وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين
شاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا
وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم
عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها

عني غلبة الكافر المسلم قلت فيصلح متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب
وهمه الى ان ذلك المتضمن كما ان من يترك دواء الطبيب النصراني قاصدا الى حصول
المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة الى عدو الله وتنفيقا لصناعته
ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى مؤتة وقيل له ردكم الله
لكنني اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز
وقد رشدا لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر وكسر رباعيته وشج
وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر
ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل رسول الله فقال قد قتلت محمدا
وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس
خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله ﷺ يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة
من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا
خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروي انهم لما صرخ الصارخ قال بعض
المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن
مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال
اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه
فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال
يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم
والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان
اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه
لان الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه
افإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار
ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل
مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين
محمد ﷺ لا للانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت
لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من
الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا

علا

على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله ﷺ
يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما
كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم
من الفرار والانكشاف عن رسول الله ﷺ واسلامه فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر
الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين
لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا
المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد
ان يقدم عليه الا ان يأذن الله له فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك
فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد
وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل
بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله
عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ
والكلاءة وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا مؤقتا
له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم
الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة
الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل
وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه
ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل
في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم
والكسر من تغييرات النسب وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل
النبي ﷺ وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند
الارجاف بقتل رسول الله ﷺ وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
له حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي
سفيان وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع
كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت
الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع
اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص
ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده يريد ومن يرد ثواب
الدنيا والله يحب الآخرة ان تطيعوا الذين كفروا قال علي عليه السلام نزلت في قول

المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن
ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم
الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم
وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان
تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل
هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على
حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم فاستغنوا عن نصرة
الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سيلقي قرئ بالنون
والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف
يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة
فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون
ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا
بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به
سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله
فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك
لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب
بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا ينجحر
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله سنلقي في
قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة
قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة
عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما
اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلوا والفشل الجبن وضعف
الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم
لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر
دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم
الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين
وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم

ليبتليكم

ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما
فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو
متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة
فان قلت اين متعلق حتى قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز
ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله
ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل
واصعد في الوادي وقرأ ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح
التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا
وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله
الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما يقول في اولهم واولاهم بتأويل
مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم
عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم
وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله والجرح والقتل وظفر
المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال
الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على ما فات من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز
ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من
كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله
ولا على ما اصابكم من غلبة العدو وانزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم
الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة غشينا النعاس
ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما
احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد
علينا الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس
يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة الامن وقرئ امنة بسكون
الميم كأنها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حال
منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان
يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء
والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون
قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم

في الهموم والاشجان منهمكة كالشاكي الثاكل غير الحق في حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير
الظن الحق الذي يجب ان يظن به الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون
بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا
القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك ظن حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص
بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل
الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله هل لنا من الامر من شي معناه هل لنا معاشر
المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو قل ان الامر كله
لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا
لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون فيما يظهرون هل
لنا من الامر من شي سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون
في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شي
اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا
قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل
ويصرع في هذه المصارع وكتب في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم
لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون الي مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم
انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم
الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان
ينكبون في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم
على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شي يعنون لم يملك شيا
من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نخرج كما
راى عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان
التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا
من بيوتكم لما نجا من القتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على
البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الاخلاص
ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء
والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة لطائفة
ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف على وجه البيان
للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسالة عن الامر
بدلا من الاخبار بالظن قلت كانت مسالتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون

حال

حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون
والاجود ان يكون استينافا استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم
ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان اياهم هو
التولي وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الي الذنب كما ان الطاعة
تجر الي الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل
ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالثبات فيه فجرهم ذلك
الي الهزيمة وقيل ذكرهم تلك خطايا فكرهوا لقاء الله فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم
ويجاهدوا والحال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تع ويعفو
عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل
بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض
اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى
الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا
ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقوله حين يضربون في الارض
فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في
قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون
منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الي الله تع قلت معناه ان الله
عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد وضع الغم والحسرة في قلوبهم والضيق
صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق
الصدور فعل الله عز وجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد الي السماء ويجوز
ان يكون ذلك اشارة الي ما دل عليه اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم
حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم
والقاعد كما شاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة
او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبان والله بما تعملون
بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء على الذين كفروا والمغفرة جواب القسم وهو ساد
مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من
سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن

الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان
ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها
لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرا بالياء اي يجمع الكفار
لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة العظيم الثواب تحشرون ولوقوع
اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي
وقرى متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فما مزيدة للتوكيد والدلالة
على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى
الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم وآساهم بالمسا
بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا عطفا غليظ القلب
قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص
بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في
الحرب وغيره مما لم ينزل فيه عليك وحي ليستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم
والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان
يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة
ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله وقيل كانت سادات العرب ان لم يشاوروا
في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي
دونهم وقرى وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي على شيء بعد
الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح
لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور وقرى فاذا عزمت على شيء فارشدتك
اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر
فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم
وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من
قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرا عبيد ابن عمير
وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون
من النصر من الله والتاييد وتحذير من المعصية وما يستوجبون به العقوبة
بالخذلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر لهم
ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا
اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر

ومن

ومن قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا
الولاة غلول وعن النبي عليه السلام ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال
ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته وافحمته ومعنى وما كان لنبي ان يغل
وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذا من قرا على البناء للمفعول
فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا
غل وفيه وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزهه وينبه على عصمته
فان النبوة والغلول متنافيتان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به
احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة
وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا
بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون
مبالغة في النهي لرسول الله عليه السلام على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها
ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه
ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ
ان يغل من اغل بمعنى غل جاز ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة يات بالشيء الذي غل بعينه يحمله
كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير
له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك
من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية
فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد به ياتي بما احتمل من وباله
وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم توفى ما كسب ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته
كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم
الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي فهو مجزي علم انه غير متخلص من تبعة
ما عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه هم
درجات هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم رجالي ام هم
درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل
المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم
ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه
وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد

اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة وكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا وفيه وجهان ان يريد لمن من الله على المومنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة عليه وان يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المومنين وقت بعثه يتلوا عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والمعنى اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عندنا والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى

الجمعان

جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته الكفار استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم المؤمنين وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن لهم غرض في الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغل نياتهم وذلك ما روي ان عبد الله ابن ابي اعتزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم فقيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم ويحتمل ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المومنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصويرا لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين نافقوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم كقوله شعر

على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم

لاخوانهم لاجل اخوانهم من المنافقين المقتولين يوم احد او لاخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا

وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا
كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت اي ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين
في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا
يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم
تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا
هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل
عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل
يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون
قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون
في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو
اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين
وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب
الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن خطاب لرسول الله او لكل احد
وقرئ بالياء على ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير
ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت
كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف
المبتدا في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين
وقتّلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده
ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون
ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق
الله فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم
من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها
وعن النبي صلى الله عليه وآله لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر
تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ويستبشرون
باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين
من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم
ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا
خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون امنين يوم القيامة يبشرهم الله بذلك فهم مستبشرون
به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة

والجد

والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى
مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان
لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم
يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على
النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها
قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او
نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه
قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا
بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية
اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله
الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها
في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا
لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت عائشة ان
ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا
موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وآله ان شاء الله فلما كان القابل خرج
ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له
ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت
محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب
فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق
بالمدينة فثبطهم ولك عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم
ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد
فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم [illegible]
احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم
حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي
بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم
الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار يعني ووافوا
واقاموا على ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة

سالمين غانمين ورجع ابو سفين الى مكة فسمى اهل مكة هذا الجيش جيش السويق قالوا انما
خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والاخرون ابو سفين واصحابه فان
قلت كيف قال الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس
كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال
ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون
مثل تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر
قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد نعيم وحده فان قلت
كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم
على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد
الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجه العدو طاعة عظيمة والطاعات
من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله
ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزداد ايمانا وعنه
لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله كافينا يقال
احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف
به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول
اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم
وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم
سوء لم يلقوا ما يسوؤهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار
لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا
فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان
يخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لتشيطنه او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف
الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفين ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى ان ذلكم قول الشيطان او قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه الذين هم
ابو سفين واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا
تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله ﷺ فان قلت فالام رجع
الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم

فتقعدوا

فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به ان
كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد الرغبة وهم الذين
نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت ما معنى قوله
ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت
معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا
الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا الى
غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة اي
نصيبا من الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل
لا يجعل الله لهم حظا في الاخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار
بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا
في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين
يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد
والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن
نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس شيئا نصب على المصدر لان المعنى
شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب وانما نملي لهم خير
لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان املاءنا للكافرين خير لهم وكان حقها في قياس
علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام
في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين
ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل
على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق
بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن
الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما
في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى
كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم
او قطع اجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه
جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي
لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم
قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة

وجعت من البلايا لمخالفتك المر ولم يرث منها بعضها لك ولا غلبني علي الاسباب فكذلك
ازديادا لاثم جعل علة للامهال وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة
للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط
بكل شي انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه علي طريق المجاز
وقرا يحيى ابن وثاب بكسر الاولي وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء علي معني ولا يحسبن
الذين كفروا ان الاملاء لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في
الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان
الاملاء خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة
بالعقوبة فان قلت فما معني قوله ولهم عذاب مهين علي هذه القراة قلت معناه
ولا تحسبوا ان املانا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين اللام للتاكيد النفي علي ما انتم عليه من اختلاط المومنين
الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ
يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من امار بمعني ميز فان قلت لمن
الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه
قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم علي الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم
ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم علي التصديق جميعا حتى يميزهم
منكم بالوحي الي نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم علي الغيب اي
وما كان الله ليوتي احدا منكم علم الغيب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل
واخلاص الاخر انه يطلع علي ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها
ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان ما في الغيب كذا وان فلانا في
قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة
اطلاعه علي المغيبات ويجوز ان يراد ولا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من
الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن
الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا
علي عقايدكم وشاهدا بضمايركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق
الاستدلال من جهة الوقوف علي ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما
استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم علي الغيب ومضمرات القلوب حتى
يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا فالاطلاع عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشا
فيخبره ببعض المغيبات فامنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده

مطلعا

مطلعا علي الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا لله مجتبين لا يعلمون
الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب
وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يومن منا ومن
يكفر فنزلت ولا تحسبن من قرا بالتا قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل
الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله
او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره
ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه
وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون
وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة
يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة
تنهشه من قرنه الي قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع
الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي يطوقون بطوق من
نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلها من مال وغيره
فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه وقرئ بما يعملون بالياء والتاء فالتاء علي طريقة الالتفات وهي
ابلغ في الوعيد والياء علي الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن
استهزا بالقران وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعني
سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في
صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان
قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود
السماع اولا موكدا بالقسم ثم قال سنكتب علي جهة الوعيد بمعني لن يفوتنا ابدا
اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبيا وجعل قتلهم الانبيا قرينة له ايذانا بانهما
في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظايم وانهم اصلا في الكفر ولهم
فيه سوابق وان من قتل الانبيا لم يستبعد منه الاجترا علي مثل هذا القول وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر الي يهود بني قينقاع يدعوهم الي الاسلام والي اقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله
فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد
لضربت عنقك فشكاه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة

ونقول لهم ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم
المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفين لحمزة ذق عقق
وقرا حمزة سيكتب بالياء على البنا للمفعول ويقول بالياء وقرا الحسن والاعرج سيكتب
بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما تقدم
من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع
بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد
على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في
استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل
ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نومن
لرسول حتى ياتينا بهذه الاية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء
فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك ايتهم كان يقرب بالقربان فيقوم فيدعو فتنزل
نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافترا على الله لان اكل النار القربان لم يوجب
الايمان للرسول الاتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الايات سواء فلا يجوز
ان يعينه الله تع من بين الايات وقد الزمهم ان انبياءهم جاؤهم بالبينات
الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق بها وجاؤهم ايضا بهذه الاية التي اقترحوها
فلم قتلتموهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرى بقربان بضمتين
ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي
قلتموه من قولكم قربان تاكله النار فمؤداه كفعلكم بما تعودونه فيما قالوا في مصاحف
اهل الشام وبالزبر هي الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه
تسلية لرسول الله ﷺ من تكذيب قومه وتكذيب اليهود وقرى ذائقة
الموت على الاصل وقرا الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر
الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله
به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم
عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم
لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض
الاجور زحزح نحي وابعد والزحزحة تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل
له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب
الاليم ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في الماب وعن

النبي

النبي ﷺ من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يومن بالله واليوم
الاخر وياتي الى الناس ما يحب ان يوتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق
العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر عليه حتى يشتريه ثم يتبين له فساده
ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها على الاخرة
فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المومنون بذلك ليوطنوا
انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم
مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء
في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال
الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الافات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في
الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطية من امن وما كان من كعب بن
الاشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير
فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم
عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم
ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر اذ اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب
اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يوكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل
له الله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم يعني لم
يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد
ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه ماخوذ على
العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من
تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمبارهم او لجر منفعة وحطام دنيا
او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن
النبي ﷺ من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب
اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما
تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت
على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على
اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرى ليبيننه ولا يكتمونه بالياء
لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن
لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرى لا يحسبن فلا يحسبنهم بضم

البآء على خطاب المومنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول
وقرا ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون
والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة يعني لا يحسبن
انفسهم الذين يفرحون فايزين وفلا يحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء
يستعملان بمعنى فعل قال الله تع انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيا فريا ويدل عليه
قراءة ابي ويفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى
بمفازة من العذاب بمنجاة منه وروي ان رسول الله صلى سال اليهود عن شي مما في التورية
فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما
فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود
الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك
بالصدق عما سالتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوا من علم
التورية وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما
لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية
وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى فلما قفل اعتذروا
اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون
يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم
ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان
يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا
عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو
على كل شي قدير وهو يقدر على عقابهم لايات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته
وباهر حكمته لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون
اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصايح الصغار املا عينيك من
هذه زينة وهذه الكواكب واجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة الله مقدرها متدبرا
في حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر قلت
لعايشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني
في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لك ان تاذني الليلة
في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى
قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القرآن وجعل يبكي
حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت

دموعه

دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فراه يبكي فقال يا رسول الله اتبكي وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي
لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها
ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى
كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض
وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها
فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال ما اذكر قالت تظل
لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من ذاك يذكرون
الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله ذكرا دائما على اي حال كانوا من قيام وقعود
واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم
خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون فقال بعضهم اما قال الله تعالى
يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى
من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال
على حسب استطاعتهم قال رسول الله لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان
لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة الشافعي في اضطجاع المريض على جنبه كما في
اللحد وعند ابي حنيفة انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم
نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون
في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها
وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبريا
سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء
فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى بينما رجل
مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا
وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة
تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب
بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وعن النبي صلى لا تفضلوني على يونس فانه
كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في
امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل
الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال
اي يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة

منظمة وصلوات بجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب
معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع
فان قلت هذا اشارة الى ما قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ما
خلقت هذا المخلوق ويتفكرون في خلق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان
يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق
العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي
اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث
وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد
فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فقد سبق وما
للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر
له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع
الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا فاغناك
عن ذكره ولولا الوصف والحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او
قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا
ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان
ونحوه قوله مررت بهاد يهدي الى الاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب
الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل
او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الطريق ويهدي لسداد
الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت
من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له
واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء
الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل
ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا
صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار
كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله
الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي
للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف
اي ما وعدتنا منزلا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على
السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف دعوا بانجاز

ما

ما وعد الله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد
او هو باب من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع
علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع واللجا الذي هو سيما
العبودية يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع
قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر
او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد
منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة
الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده
العاملين وروي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر
الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم
على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة
وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج
من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا
في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين
واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقدم بالتخفيف والتشديد
وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائها
للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله
لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله
لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه
وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير
ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال
المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين
عليه والتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي
عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه
ما اراد وقرا هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ثم اخبر انه استجاب
لهم انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء
لا يغرنك الخطاب لرسول الله او لكل احد اي لا تنظروا الى ما هم عليه من سعة الرزق
والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من
تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس

هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من
الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا
من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به
قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشي فيقوم خطابه مقام
خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد
عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا تكونن من المشركين فلا
تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين
امنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة
المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون
الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد
اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب
او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا
في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ومأواهم جهنم وبئس المهاد ساء ما مهدوا
لانفسهم النزل والنزول ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي كنا اذا الجبار
بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه اما على الحال من
جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى المصدر مؤكد
كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار
مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون
وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب
عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين
من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى
عليه السلم وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه
لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا
على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي
وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره
قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما
كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله حال من فاعل
يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم
يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو

ما

وهو ما وعد وفي قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله
سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شي فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان
يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا
اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم
وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته
وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين
للغزو قال الله عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل
عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ال عمران اعطي بكل اية منها
امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته
حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

يا ايها الناس يا بني ادم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس ادم ابيكم فان
قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف
كانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتدأها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى
عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب وخلق منها زوجها
حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث
فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم
ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم
من نفس ادم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام
وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف
كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا
اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا
على كل شي ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر
عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها
والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان
يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي

وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض
فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق
منها زوجها وباث منها بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون
به تساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تسالون بطرح الهمزة الثانية اي
يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف
وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم وقيل تفاعلون موضع تتفعلون
للجمع كقولك رايت الهلال وترايناه وتنصره قراءة من قرا تسالون به مهموزا
وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين اما على
واتقوا الله والارحام او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا
وتنصره قراءة ابن مسعود تسالون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر
وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في
حكم قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد
الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك
مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا
ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة
بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب
والرفع على انه مبتدا خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام
مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا
يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذي خلقكم واتقوا الله الذي تتناشدون
به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار
الرحم وقد اذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال
ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه واذا
سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي
الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع
احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول
لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الا ترى قوله واتقوا الله الذي تساءلون
به والارحام فاول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا
نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته
وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه

وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا

الرملة

الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل
الامهات فان قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت
فيه وجهان احدهما ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع يتمى
ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى والثاني ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب
وفارس ثم يقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار
لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ
الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون
غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله يتيم ابي
طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا
له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه
اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى
اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى الصغار وباتيانهم الاموال ان لا يطمع فيها
الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي
اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس
او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما يسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى
ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها
قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال
كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي ص فنزلت فلما
سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله
اليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني
جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي ص ثبت الاجر وبقي الوزر
فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله
فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث
في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب
وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر
بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل
اراد يا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن
السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا

له فيما خلت سعد عنها مكان سمينه من مال اليتيم ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا
تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم
واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم
اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم
اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على
ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم الحق ولانهم كانوا يفعلون كذلك
فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام
ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا
بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال
والطرد والطرد ولما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير
خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون
من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثماني والست
فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات
لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه
انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب
وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم ان
خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا
حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها
ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب
لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم الا تقسطوا في
يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور
وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم ويتايم وقرأ النخعي تقسطوا
بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد ان خفتم ان تجوروا ما طاب
لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة
ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت
ايمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة من اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من
العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات تعرف بلام التعريف
يقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا

وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث وربع
فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا واتوا النساء
صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا فكلوه هنيئا مريئا

الطيبات

الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان قلت الذي
اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت ان يجمع بين
الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول
للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم درهمين
يكن له معنى فان قلت فلم جاء العطف بالواو دون او قلت كما جاء بالواو في المثال الذي
حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة
اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها
فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين
انواع القسمة التي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون
من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاءوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاءوا
متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث
ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة
فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم
العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة
او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر
ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت
منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة
من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان
لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم
في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال اتعول علي وقد روت عائشة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي من تفسيره ان لا تعولوا
ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم
يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة
على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤوس
المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد
روي عن عمر بن الخطاب لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى
بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم
كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه
الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف تقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر قلت

قلت يشكل ذلك لان العرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن وكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرا طاووس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي من حيث المعنى الذي قصده وصدقاتهن من صدقاتهن في حديث شريح تعطي من عبارة الصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمات نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين طيبين اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى اتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه والضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل اونبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن لحن المموهة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك ويرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت واتوا النساء صداقهن لم يخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فان قالوا فان وهبت له ثم طلبت بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم عن شيء فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبثت شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردده عليها وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك

ولا يجيب صدقاتهن وصدقاتهن ... مع ... والله اعلم

طيبي

الرجل

لها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طبن نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الكل لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنئا مرءا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وروي قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرا عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب له او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم

ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا

اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم

الصداق

فلم يدع في الدار الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا فاذا كانوا يقولون لهم بورك فيكم لو معما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من الضعاف احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقا بعد صافي وقرئ ضعفا وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا

الحسن

ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدا ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولانه قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان فكان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرا زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا اذكر منهما لبعد ما ذكرنا اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد هاهنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما

يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما

ان يكون القضيران

تامة قلت لا لانه لا بد فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض ثمة خلوص النساء

سألنا اليكم اموالكم وعن عطا اذا ربحت اطعمتك واذا غزيت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن
ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه
عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر
وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا آنستم منهم
رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه
يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود منه وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير
للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف
فيه حتى يستبين حاله فيما يجي منه والرشد الهداية الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح
في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ
والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة
للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة ينتظر الى
خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع
سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع
اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس وعند اصحابه لا يدفع اليه ماله ابدا الا بايناس الرشد
قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة
او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا
الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع
بعدها الجمل كالتي في قوله فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل
والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح
وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط
الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرا ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به
فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين
كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر
اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا
فالغني يستعف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء
على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في
ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه
عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير
متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان

وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا مم

ولي

ولي اليتيم قال له ان لي ابلا افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباءها
وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فلياكل
بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى
العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن
الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن
مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس
ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن
عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان
افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة
العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم
والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق
مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في
الاشهاد الاحتراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة
وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل
منه او كثر بدل مما ترك بتكرار العامل نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز
ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة
وروي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء
والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة
فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر الى ما
يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن
نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما
ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون
ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك
تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره
من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم

الظهر

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا مم

واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا مم

وعنه ص

مختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين
فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي
يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان قد دل م
الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما
دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات
ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم
الانثيين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله
للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها
مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان
يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد
منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه
ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد
من ابويه السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل
بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدا وخبره لابويه
والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع
والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على
السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع
الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله
وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث واي
فائدة في قوله وورثه ابواه مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثاه مع
احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس
والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان
كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قيل فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم
بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام
بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب
لها الثلث كاملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فكان
للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم
الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان
كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب اثنان فصاعدا الا

عند

عند ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين
والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة من غير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع
في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجر
الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه اية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث
كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصي بها بالتخفيف
والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه
ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم
قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث
في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها
فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على
الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في
الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون اي لا تدرون من انفع لكم من ابائكم وابنائكم
الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة
بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا
وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان
كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان
كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من
ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه في الجنة
سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله
الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم نفعا فوضعتم
انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن
اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري ايهما اقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل
بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض
بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا
ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن
ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك
بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث
اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث
خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء

ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن
لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع
مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد
فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم
من بعد وصية توصون بها او دين وان
كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ
او اخت فلكل واحد منهما السدس فان
كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من
بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية
من الله والله عليم حليم

للفاعل وكلالة حال او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت ينطلق على ثلثة على من لم يخلف
ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد
ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر جبن
بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعيا قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت
للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للمورث
او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون
صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة في الاية فعلام تنصبها قلت
على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث
على البنا للفاعل فيمن قرأ فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا المورث فان قلت فالضمير
في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول
اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر والانثى
فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من
الاخ والاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق انه سئل عن الكلالة
فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطاء فمني ومن الشيطان
والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطا والضحاك ان الكلالة هو المورث
وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله
اخ او اخت من الام وقراءة سعيد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على
ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في اخر السورة من ان للاختين الثلثين وان
للاخوة الكل اي المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا
على الثلث شيئا انه يعني به الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الوالد والولد من سائر
الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار
لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة
ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى
عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله
مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان يكون منصوبا بغير
مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من
الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار
وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا
وعيد فان قلت في يوصى ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث

قلت

قلت كما ضمرت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين
ذو الحال فيمن قرا يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما
قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح
فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك
اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع
كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق
يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على
الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جرتا على غير من هما
له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ياتين الفاحشة يرهقنها يقال
اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود ياتين بالفاحشة والفاحشة
الزنا لزيادة في قبحها على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات
في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله الزانية والزاني الاية ويجوز ان
تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت
بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل
الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم
يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن والتوفي والموت بمعنى واحد
كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين
تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى ياخذهن
الموت ويستوفي ارواحهن واللذان ياتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما
وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما
واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون
خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع
الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت
الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذان
بالهمز وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول
والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين
سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما يدعو اليه الحكمة والعقل وعن
مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان
القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين

قرئ بالياء والنون وكذلك ندخله

واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا

واللذان ياتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما

هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن بن عباس قبل ان
ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يوخذ
بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وعن عطا ولو قبل
موته بفواق ناقة وعن الحسن بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي [illegible] ان الله يقبل [illegible] ان ابليس قال
حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه
باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى قوله من قريب قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان
قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان
فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعد فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم
بعد قوله انما التوبة على الله قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد
بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان
الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفا بالواجب ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون
السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه
لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الاخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة فكذلك
المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في
الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة فان
قلت من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض
عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني
عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان
مصدقا ومات وهو لم يحدث توبة حالة قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك
الا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا
عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه عليها وقال انا احق
بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز
المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن
حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها
مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي
بعضه الا ان ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة
اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم

وعن

وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسالها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراة
فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل
على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك
بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت
والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت
النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن ينظر اسباب
الصلاح وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى
يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الاية
والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانه بناء مشيد قال كقنطرة الرومي
اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا
بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت له يا امير المومنين لم تمنعنا
حقا جعله الله لنا والله يقول واتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه
تسمعوني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء والبهتان ان
تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب
بهتانا على الحال اي باهتين واثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد
عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا
اي بافضا بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما
قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد
انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي عم استوصوا
بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله كان في
ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مرواتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود
عليه يسمى المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح ممقوت
في المروة ولا مزيد على ما يجمع [illegible] ان تتوارث في الوراثة وكونها
بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابان بمعنى تبين او تبينت كما
قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال واتيتم احداهن بوصل همزة
احداهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على
ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اي فرق

بين تعديته بذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى
فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان ياتين ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء
من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين
بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان قلت من اي وجه
صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن
مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف
مما نكح اباوكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان
تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد
الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في
سم الخياط حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النساء
ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم
لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة
النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه
واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه
وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسالتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج
اخت ابنه من النسب ويجوز له ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى في النسب وطي
امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة
المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله
وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة
الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة
وحرمة الربائب مبهمة ولا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر
الا تراك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية
النسا فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت
وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله
من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز
الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول
اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن

كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء
مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد روي عن النبي عم في رجل تزوج امراة
ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن
عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله
وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن
الزبير انهم قروا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان
وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا
طلقها قبل ان يدخل بها فان شا فعل اقام الموت مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر
وسمي ولد المراة من غيره ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع
فيه فسميا بذلك وان لم يربهما فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل
للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم
اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله
بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد
على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ
داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها
الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي
حنيفة وعن عمر انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق
انه امر ان تباع جاريته بعد موته فقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من
اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها بشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا
تحل لولده بحال وعن عطا وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها
وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح
ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده
الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلعم زينب بنت جحش وهي بنت عمته
اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المومنين
حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين
الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في النكاح وما لحق بينهما في ملك اليمين فعن عثمان
انه قال احلتهما اية وحرمتهما اية يعني هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان
التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات القراءة

بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن
بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم من اللاتي سبين ولهن ازواج في
دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل
انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك
عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على
الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم وروي عن اليماني
كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول
فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم
باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا
انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان
العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان
قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه
قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني
من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم
به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن
اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط
منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ
في به وعلى المعنى في فآتوهن اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال
من الاجور بمعنى مفروضة او وصفت بوضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي
فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله
او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة
التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة
وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها
سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما
بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه
النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس
هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك
عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ومن لم يستطع منكم طولا
يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طال عليه طولا وهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني

نفض

بغيض الى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر وفي
الطول في الجملة زيادة فيه كان الفقير منقوص بنقيصة ومحصنات والحرائر ومن لم يستطع زيادة
في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم فقد
وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي واما ابو حنيفة
فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك فراش الحرة
فليتزوج امة ان يكون فلا ان نكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال وسع
الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا ولكن قوله من فتياتكم
المؤمنات الظاهر انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية واليهودية عند اهل الحجاز وعند اهل العراق
يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان
الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا بانه ليس بشرط فيهن ولكنه افضل فان قلت لم كان
نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي
استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح
ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات
غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان
الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان
الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا
الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تأنيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف
بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل
حر عبدا الا برجحان فيه فانكحوهن باذن اهلهن اشتراط الاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة
ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن
بالمعروف فاد وا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز فان قلت
الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن
قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان
اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف ولا متخذات اخدان اخلاء في السر غير مسافحات
غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر
من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم
لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي يؤدي
اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة
المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا خير لكم على الزنا

ط الاماء بعد تحريكم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت ولكم تأكيد اضافة الى المعنى
يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ان يهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم
الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد
والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس
كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا
انكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت
يريدون ان يكونوا مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من
الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا على مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب
ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت
احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء
والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب
الانسان وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس
وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم يبحه الشرع من نحو السرقة والخيانة والغصب
والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان يكون التجارة
تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن
كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن
تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين
بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة وعند
الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين
وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص
انه تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ علي عليه السلام ولا تقتلوا
بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني
اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم
تلك التكاليف الصعبة ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما
لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر وفسوف نصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون

من

من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ونصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه
سببا للصلي نارا اي نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو
اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من
المعاصي التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت
على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها
على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة
او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط
نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه
الكبائر الشرك والقتل وقذف المحصنة والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والمغرب بعد الهجرة
وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي
الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وهي الى سبعين
وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك
التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما
يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في
الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه
كان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال
والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او للقبض كسبا له واسألوا
الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد
وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم
واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة
ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل
ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل اي لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا
موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من
خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله اي ولكل واحد جعلنا موالي
مما ترك او وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل ثم
فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين
عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز
ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر

في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يعاقد الرجل فيقول
دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب
بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ
وعن النبي عم وآله انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه
لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي وقيل
المعاقدة التبني والمعنى عاقدتهم ايمانكم ما قدتهم ايديكم وقرئ عقدت بالتشديد
والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين
ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء
جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء
وفيه دلالة على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا
في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان
منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف
وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب
في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم
الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا من اموالهم وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم في المهور والنفقات روي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء
الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا
واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص
بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح
والقتل واما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات
للغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه
في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي عم خير النساء امراة ان نظرت اليها
سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل
للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وعلى لسان رسوله
فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب
او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب
الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة

وما يستحقونهم م

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا

للغيب الحسن خلافا للشهادة
اي حافظات م م

اي حافظات للغيب والامر الذي يحفظ حق الله ما شاء الله وهو التعفف والتحصن والشفقة
على الرجال والنصيحة لهم وقرا ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله
فاصلحوا اليهن نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الارتفاع في
المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف او هو كناية عن الجماع وقيل هو ان
يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ
في المضجع وفي المهجع وذلك لتعرف احوالهن وتحققوا امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا
ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن
على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا
يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي عم علق
سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير
ابن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير
ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض
بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد
رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود
الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به
ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله
كان عليا كبيرا وانتم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب
عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما
فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله
بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم
نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال
والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضا يصلح للحكومة والعدل والاصلاح بينهما
وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح
وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة
والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا
عليه فان قلت فهل للحكمين ان يجمعا بينهما والتفريق ان رايا ذلك ومقتضاه قلت قد
اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين
الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءه

المضطجع خ

وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا

المرأة وزوجها ومع كل واحد من الحكمين قيام من الناس فاخرجهما بمولده حكمًا وبمولده حكمًا فقال على للحكمين اتدريان ما عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في ان يريدا اصلاحًا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليمًا خبيرًا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا اليهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعا بن قيس لا تجتوينا مجاورًا ابدًا ذو رحم او مجاور جنب وقري والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحق الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقًا في سفر وانما جارًا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرى والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدا وخبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرى بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره قال واني رايت البخل يدعو الى البخل ولقد رايت ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما نهب رحله

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اهـ

الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اهـ

وكسرت

وكسر جناحه مخيلة من ذلك وعن الحسن وجوده وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضله الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله رياء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرنهم في النار وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم وما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد ان الله لا يظلم الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هولاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مونث وقرى بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعطي عبده المومن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الاية والمراد الكثرة لا التحديد ويوت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرى يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هولاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرا سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هولاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا

والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اهـ

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما اهـ

ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما اهـ

الهباء اهـ

فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا اهـ

يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا اهـ

وانهم كانوا والارض سوى وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان
يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا
مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت
ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم
الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى ونحوه لو تسوى
وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وفي مصحف ابي كانكم روي ان عبد
الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله حين كانت
الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم
فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات
الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون
ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله
ولا تقربوا الزنى ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد
كقوله جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم
كقوله ... وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان
يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل ومفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى
كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى
جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى
لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا
والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي
هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال
فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة
في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة
عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير
عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر
السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى
تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد
جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل
ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص

لهم

يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا

الزين ما يركن اليه كظل الرجل بالتراب اذا اصابه ... لغة

لهم وروي ان رسول الله لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي
رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون
والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر
انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم
ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه
لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا
لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي
حنيفة فان قلت فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه اي بعضه وهذا لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من لابتداء
الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب
من قول العرب مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض
قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء انه كان عفوا غفورا كناية عن
الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم اثر ان يكون
ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين والمحدثين
والمجنبين والمرضى والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة
سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم
عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون
في استحقاق الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة
ثم عم كل من وجب عليه التطهير واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم الة استيفاء
او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من
غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر من رؤية القلب
وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب
حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو
البقاء على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله وانه هو النبي
العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق
كما ضلوا وتخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا
بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم
على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى
بالله وليا وكفى بالله نصيرا فتوكلوا عليه ... من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا متوسطة بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض وبيان لاعدائكم
نصيرا ... ونصرته دونهم او ولاية لولهم فان الله ... كم علمهم ويكفيكم مكرهم

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا

وما بينهما اعتراض أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين
كذبوا ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ على أن يحرفون الكلم عن مواضعه صفة مبتدأ
محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر إلا تارتان فمنهما
أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح أي فمنهما تارة أموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه
عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي
وضعه الله فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة
بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فإن قلت كيف قيل
ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت أما عن مواضعه فعلى ما فسرنا
من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال
غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها
فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان
وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع
حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا
عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك
اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه
غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه
ناب ويجوز على هذا أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن
أذنك لا تعيه نبوا ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا
إذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية
أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلعم
يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام ليا
بألسنتهم فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير
نفاقا فإن قلت كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا وقالوا
سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب
ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا
به جعلوا كأنهم نطقوا به وقرئ أبي وأنظرنا من الإنظار وهو الإمهال فإن قلت
إلام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت إلى أنهم قالوا لأن المعنى ولو ثبت قولهم
سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأقوم وأعدل وأسد ولكن لعنهم الله بكفرهم
أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم عن ألطافه فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا أي ضعيفا

الكدح العمل والسعي والكسب

الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم

ركيكا

ركيكا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقه مع كفرهم بغيره أو أراد بالقلة العدم كقوله قليل
التشكي للمهم تصيبه أي عديم التشكي أو إلا قليلا منهم قد آمنوا أن نطمس وجوها أن نمحو
تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم فنردها على أدبارها فنجعلها على هيئة
أدبارها وهي الأقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وإن جعلتها للتعقيب على أنهم
توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدبارها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها
فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام ووجه آخر أن يراد بالطمس القلب والتغيير
كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير
أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاؤوا منه وهي
أذرعات الشام يريد إجلاء بني النضير فإن قلت لمن الراجع في قوله أو نلعنهم قلت للوجوه
إن أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب
على طريقة الالتفات أو نلعنهم أو نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت فإن قلت فأين
وقوع الوعيد قلت هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد
من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة وكان أمر الله أو علاهم بأحد الأمرين الطمس بوجوههم
أو لعنهم فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان
أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر
اللعن المتعارف دون المسخ الذي في قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند
الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير فإن قلت قد ثبت
أن الله عز وعلا لا يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر ما دون الشرك من
الكبائر إلا بالتوبة فما وجه قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره
قولك إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار
لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله فقد افترى إثما عظيما أي ارتكبه
وهو مفتر مختلق ما لا يصح كونه الذين يزكون أنفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن
أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقيل
جاء رجال من اليهود إلى رسول الله ص بأطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال لا قالوا
والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل فنزلت ويدخل فيها كل من زكى
نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فإن قلت
أما قال رسول الله ص والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض قلت إنما قال ذلك
حين قال له المنافقون اعدل في القسمة إكذابا لهم إذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه

يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا

وكان أمر الله مفعولا فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما

قلت الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين إلى قوله لمن يشاء كأنه قيل إن الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على أن المراد بالأول

ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا

وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار

ثناء من شهد الله له بالتزكيه ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي
من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل
للتزكيه ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكا
فوصفهم به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم نعا قبون على تزكيتهم انفسهم حق
جزائهم او من شا يثابون على زكاهم ولا ينقص من ثوابهم وصفوهم فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكيا
وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون
الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي ابن اخطب وكعب ابن الاشرف اليهوديان
خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل
كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن
اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا
ابليس فيما فعلوا فقال ابو سفيان اعن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ما ذا يقول
محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة
البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى
سبيلا ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما لديهم ويتمنون ان النعمة
لا يكون لهم لغيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة
ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون اي لو
كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير
النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك
اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية
الانفاق وهذا وصف لهم بالشح وهو احسن لانها تنقطع من القرآن ويجوز ان يكون
معنى الهمزة ان لا انكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين
وقصور مشيدة كما يكون اموال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرا
ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة
العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذا ام يحسدون الناس بل ايحسدون الناس اي العرب ورسول الله
والمومنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما اتاهم الله من النصرة
والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد اتينا الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله
الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يوتيه الله
مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان

وقيل

الم تر الى الذين يزكون انفسهم ... انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا

ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا

ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما

وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبع مائة
سرية فمنهم من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته
او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم
من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان
قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة
وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وآله
يبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدل كونه جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا
العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك
وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا
صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو
ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا ينسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا
ظل الجنة ورزقنا الله بتوفيقه لما يزلفنا اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله
سيدخلهم بالياء ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان
ابن طلحة من عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل
مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال
لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت واذيت
ثم جيت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرا عليه الاية فقال عثمان
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل
وقري الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان يكون منصوبة موصوفة بيعظكم
به واما ان يكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشي الذي
يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من
اداء الامانات والعدل في الحكم وقري نعما بفتح النون لما امر الولاة باداء الامانات الى
اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد
باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله
في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل
واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان

فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا

ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا

ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا

يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا

وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم
وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في
قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي ﷺ من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني
ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس
الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم
انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله اي ارجعوا فيه
الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا
يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم اخرا بالرجوع
الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا
يردون شيئا الى كتاب الله ولا الى سنته انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم منسلخون
عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة
ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن
عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم الم تر روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه
اليهودي الى النبي ﷺ ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول
الله ﷺ فقضى لليهودي فلم يرض المنافق فقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال
اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال
نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت
وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله ﷺ انت
الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة
رسول الله ﷺ او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى
غير رسول الله ﷺ على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا
ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء
للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرا الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من
تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في اية
ان اصلها ايية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من

تعاليت

تعاليت فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمراة وفي
شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون
يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردون اذا اصابتهم مصيبة
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤوك حين يصابون
فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة ولا
وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا سخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا
وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين
خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تقبل منهم لمصلحة في استبقائهم
ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في
وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا
اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف
استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم
ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين
وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكتمون
به فما لكم الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة
وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبهم لا يغني عنهم
فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا
انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ
او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي
الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا
قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه
ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا
فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك
برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله واستغفرت لهم لوجدوا الله توابا لعلموه توابا
اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله ﷺ

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو
انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او
اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل
منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
لكان خيرا لهم واشد تثبيتا

ويعظما للاستغفار وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك
لا يؤمنون كقوله فوربك لنسالنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا
يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت
لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك قوله
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لضيق صدورهم من حكمك
وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا
ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من قولك سلم الامر لله
واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تاكيد
للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم
قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب ابن ابي بلتعة
وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلعم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير
وجه رسول الله صلعم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف
ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ
رسول الله صلعم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل
الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا
مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا
سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما
ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي ان قائل
ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلعم والذي نفسي
بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن
عمر ابن الخطاب انه قال لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا فنزلت الاية
في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اي لو
اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين
استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا نفر قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع
على البدل من الواو في فعلوه وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على
الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه
ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم

وآجلهم

واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما

ولهديناهم صراطا مستقيما
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين و
الصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا

وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا
يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما
كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه
تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم صراطا مستقيما ووفقناهم للازدياد في الخيرات الصديقين
افاضل اصحاب الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر الصديق وصدقوا في اقوالهم
وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله
الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل
وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول
المتعجب حسن الوجه وحسن الوجه وحسنك بالفتح والضم مع سكون السين
والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين
به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلعم كان شديد الحب
لرسول الله صلعم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن
في وجهه فساله رسول الله صلعم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني
اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت
ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون
منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال رسول الله صلعم والذي
نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين
وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدا والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز
ان يكون ذلك مبتدا والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم
ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من
اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه
وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى
كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي
يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من
انفسكم فانفروا اخرجوا الى العدو ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا
مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء
اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطئن جواب قسم محذوف
تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها
اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلعم والمبطئون منهم المنافقون لانهم

ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما

يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا
ثبات او انفروا جميعا وان منكم لمن
ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد
انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا

كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى
اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ علي وبطؤ نحو ثقل
ويقال ما بطأ بك فيتعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن
غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط
الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة ولئن اصابكم فضل من الله من فتح او غنيمة
ليقولن وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لانه قوله لمن ليبطئن
في معنى الجماعة وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن
وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا
يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن
والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون
بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم
الكون معهم والفوز بمعنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف
بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت
بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فالذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون
وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في
سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة
ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال
فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء
الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون
مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على
الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل
خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه
والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم
مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد فكانوا يدعون الله تع بالخلاص
ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله
لهم من لدنه الاذى الشديد فكانوا يدعون الله تع بالخلاص ويستنصرونه فيسر
الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي
وناصر وهو محمد فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل
مكة عتاب ابن اسيد فكان الولي منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف

من

ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما م

فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما م

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا م

١

من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث
بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لابائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين
كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل
قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين
من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد
والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد
الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الاباء والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم
وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية
لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها
ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث
فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا
اهلها على لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا رغب
الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم
وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان
للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن
القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا
يتمنون ان يؤذن لهم فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين
ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من
اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية الله من الاعراب قلت
محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله
اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او اشد
معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره
يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية
لانه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا
عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية
وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية
الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية على
قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله
ويجوز على هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله او كخشية اشد

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا م

الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا م

حشية منها لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله
لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون ادنى شي من اجوركم
على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرى ولا يظلمون بالياء اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القايل من يفعل الحسنات
الله يشكرها ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا
ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو لسنا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول
لا غايب مالي ولا حرم وهو قول نحوى سيبويه ويجوز ان يتصل بقوله ولا يظلمون
فتيلا اى ولا ينقصون شيا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم
ابتدا بقوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما
تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرى مشيدة من شاد القصر اذا رفعه
او طلاه بالشيد وهو الجص وقرا نعيم ابن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل
فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر فارضها الحسنة تقع على البلية
والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم
يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب
ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي
من عندك وما كانت اليهود تطير بموسى كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه وعن قوم صالح اطيرنا بك وبمن معك وروى عن اليهود لعنت
انها تشاءمت برسول الله فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
فرد الله عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون
يفقهون حديثا فيعلمون ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة
وصواب ثم قال ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اى من نعمة واحسان
فمن الله تفضلا واحسانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اى من بلية ومصيبة
فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما
كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى
الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك
للناس رسولا اى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب
والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من
يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته

ابن ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا

وما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس
رسولا وكفى بالله شهيدا

ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا

نو

امتثالا لما امر به وانتهاء عما نهى الله عنه طاعة لله وروى انه قال من احبني فقد احب
ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل
لقد قارف الشرك وهو ينهى ان نعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه
ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنها فما
ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها
وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشي طاعة بالرفع اى امرنا
وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا
وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له
كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امرى وشاني حمد الله وثناء ولو
نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة
واستقرارها بيت طايفة زورت طايفة وسوت غير الذى تقول خلاف ما قلت
وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول
والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من
البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر
لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحايف اعمالهم ويجازيهم
عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا تحسبوا
ان ابطانهم يغنى عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله
في شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام وعز انصاره
وقرى بيت طايفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطايفة غير حقيقى ولانها
في معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القرآن يتاملون معانيه ويتبصرون ما فيه
وتدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته
ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته
ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته وبعضه
اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على
معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتيم فلما تجاوب كله
بلاغة معجزة فايتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا
من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله
فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه
انس ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين ثم ناس من ضعفة

ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طايفة منهم غير الذى تقول والله
يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا

افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان
الا قليلا

المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه
ذلك الخبر الى رسول الله ع والى اولي الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين
كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون
تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله
واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه
فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه
اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون
ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا
غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه
الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع المذيعون وهم الذين يستنبطونه
من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر
واذاع به قال اذاعوا به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز
ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان
اللام كقوله [illegible] من الادهم [illegible] والنبط الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل
بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر
الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم
الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك
وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو
ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا
الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله ع اللقاء فيها
فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم
يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا نكلف بالنون وكسر
اللام اي لا نكلف الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم
الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش
وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام جدب وما كان معهم زاد الا السويق

ولا

يذاع اولا يذاع

تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا

ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع
الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي
بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في
حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى
اليه المشفوع جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك
ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة
الى الله وعن النبي ع من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا
حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قدر عليه قال الزبير بن عبد المطلب: وذي ضغن
كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال [illegible] الفضل ام علي اذا حوسبت اني
على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها الا احسن منها
ان يقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد وبركاته
اذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام فقال الرجل
نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك
مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه وجوابه بمثله [illegible] المجيب
[illegible] المسلم [illegible] ووجوب التسليم والجواب والتخيير انما وقع بين الزيادة
وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لآخر اقرئ فلانا السلام
وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد
واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع الله
منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن
جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف
لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري
من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن
النبي ع انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية
ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير
على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد
يعني الجهر الكبير وعن النبي ع اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي
وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام
وان بداك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا م

المشمول منه

واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا م

وروي ان رجلا قال لرسول الله ع السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله م م م

مقتبل له فقال اليهودي رحمك الله يعني فقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل
الذمة بالسلام اذا دعت الي ذلك حاجة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن
ابي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا في غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم
واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه

حسيبا اي محاسبكم على كل شيء م

على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر ما ما اعتراض والخبر ليجمعنكم

الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا م

ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام
كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تع يوم يقوم
الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه
الكذب وذلك ان الكذب مستقبح صارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه
قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب
الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه
يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره
ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض
السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به لما فارقتها وقيل لكذاب
هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الذي
لا يحوج عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح

فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا م م

فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين
استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم
يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم
كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا
وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق
الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون
الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا
عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه
فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا
بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في
الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا
ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه
بذلك او خذله حتى ضل وفي ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب

ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا م م

على

على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع
دين الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض
من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بدل ولا تغرب فان تولوا عن الايمان
الظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في
حل وحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين

الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا م م

يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم
ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به
اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من معه من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه
ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي
لهلال وقيل القوم بنو بكر ابن زيد بن مناة كانوا في الصلح او جاءوكم لا يخلو
من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم
معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه
قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على
الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال
احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من
الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين
والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم فهلا
جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم
اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول
اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت صدورهم
بغير او ووجهه ان يكون جاءوكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد
صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ
حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف
محذوف اي او جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج
جاءوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم
او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان سلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كان

مكانتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لسلطهم بان اسند قلوبهم ونحوه لم تقفوا
فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف
والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم
وقتلهم ستجدون اخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا
وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى
الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه
وكانوا فيها شرا من كل عدو وحيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة
لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا
ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ولا لائق بحاله كقوله
وما كان لنبي ان يغل وما كان لنا ان نعود فيها ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا
خطا الا على وجه الخطا فان قلت بم انتصب خطا قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له
ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله
في حال من الاحوال الا في حال الخطا وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطا والمعنى
ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطا
من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم
وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة
وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج
ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل
في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت
على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما
مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا
ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك
واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر
باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه
تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد
ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه ومنه قولهم للئيم عبد
وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان
يملك كذا راسا من الرقيق والمراد بها من يحكم عليه بالاسلام عند عامة العلماء
الا ما عن ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة
الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا
مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع
من التصرف الاحرار ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق
بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي
لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا
وارث له وعن علي انه قضى بدية المقتول فجاءت امراة تطلب ميراثها من عقله فقال لا
اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي
فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم
فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا
يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك
خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الدية والرقبة قلت على القاتل الا ان
الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت
المال فان لم تكن ففي ماله الا ان يصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان
يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرا ابي الا
ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة
كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على
الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا
من اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل
اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطا
وليس على قاتله لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه
وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم يظنونه كافرا مثلهم
وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة
من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلم فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به
اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من
تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او فليتب الرقبة الى الصوم توبة
منه ولهذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب
غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة

ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا

وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما

وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء
بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك
دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا
قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون
من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب
بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما
فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم
اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان
يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن من غير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على
قلوب اقفالها ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب
من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي
فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما
ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر
تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب
فليأت بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان
الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام
وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا
بفتح الميم من امنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك
رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان
عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل
الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله
الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا
رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على
اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة
فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق
رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع
النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه
فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ
به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام

يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا

سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع
على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان
والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام
كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء
القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما
الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا
فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي الضرر قرئ
بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم
والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن
زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله فغشيته السكينة فوقعت فخذه على
فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله
وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ
يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر
فقال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر
الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن
بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير
عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما
من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه
عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل
وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل
الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه
قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون
الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين
والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون
مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي ص لقد خلفتم بالمدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت
جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما

فإن قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت
أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء وأما المفضلون
درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء
بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية فإن قلت لم نصب درجة وأجرا ودرجات قلت
نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره
قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأما أجرا فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم
أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة
كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب أجرا عظيما
على أنه حال من النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة توفاهم يجوز ‖ بإضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا م م
أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم
على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من
استيفائها فيستوفونها ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم قالوا قال الملائكة
للمتوفين فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا
حين كانت الهجرة فريضة فإن قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في
الأرض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن
في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على
المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا
بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم
ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أرادوا إنكم كنتم قادرين على الخروج
من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل على أن الرجل إذا كان
في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة
الدين لا تنحصر أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه
المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا
من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد اللهم إن كنت
تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك
المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك
بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين ‖ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا م م
الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب
لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة
بمكة فحملوه على سرير متوجها إلى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فإن قلت
كيف أدخل الولدان في جملة المستثنين من أهل الوعيد كأنهم كانوا يستحقون
الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء
قد يكونون مستطيعين مهتدين سبيلا وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان
فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لأن سبب خروج الرجال
والنساء من جملة أهل الوعيد إنما كونهم عاجزين فإذا كان العجز متمكنا في الولدان
لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا إذا أريد بالولدان الأطفال ويجوز
أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف
وإن أريد العبيد والإماء البالغون فلا سؤال فإن قلت الجملة التي هي لا يستطيعون
ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وإنما جاز
ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف وإن كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه
كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني فإن قلت لم قيل عسى الله أن يعفو عنهم بكلمة ‖ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا م م
الإطماع قلت للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة فيه حتى إن
المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول عسى الله أن يعفو عني فكيف
بغيره مراغما يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه ‖ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما م م
بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ بأركانه عزيز المراغم والمذهب
وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع
الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله
من عنزي سبني لم أضربه وقرئ يدركه بالنصب على إضمار أن كقوله وألحق بالحجاز ‖ مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب م م
فأستريحا فقد وقع أجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب
الوقوع والسقوط فإذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى
فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة
أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه
لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك هذا
ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه

فاذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا

طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق الله طيب او مهاجرا الى الله ورسوله
ان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله ضرب في الارض هو السفر
وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن
سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة
ثلاثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي
ادنى مدة السفر اربعة برود مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير
ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة اعتمرت مع رسول الله
من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت
واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان
يتم ويقصر وعند ابي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن
عمر صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة اول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت
فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة قلت كانهم الفوا الاتمام
فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم
بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة
بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب
في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما في حال
الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم بسقوط ان خفتم
على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره
كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله
حيث شرط كونه فيهم وقال من راها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله في كل
عصر فكان ما كان يقوم به وكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة
في حال الخوف فعليه ان يؤمهم كما ام رسول الله الجماعات التي كان يحضرها
والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم
احداهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم
فان كان للمصلين فقالوا ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف
والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعني غير

واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا

المصلين

المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي الامام باحدى الطائفتين
ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو وتاتي
الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير
قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره
عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف
قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قائما حتى تتم
صلوتها ويسلم بهم وبعضده ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ
امتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو
التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا
ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم
ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم ميلة فيشدون
عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر
او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو
فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام
باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا
ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة فاذا قضيتم الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله
فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى
جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا
الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي
حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي في ايجابه الصلوة على المحارب في
حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء
واما عند ابي حنيفة فهو معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة
الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة
احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله
ودعائه واللجأ اليه فاذا اطمأننتم فاذا اقمتم فاقضوا الصلوة ولا تهنوا ولا تضعفوا
ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض بهم ثم الزمهم الحجة بقوله

فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما

ان تكونوا تألمون اي ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرا الاعرج ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم يألمون كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كانت بهم جراح فتواكلوا ان الله كان عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا بما هو عالم به مما يصلحكم روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه فان الرأي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عذاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المأثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت فان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية

انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما

حتى انتهى الى الدار وجعلها اثر الدقيق

واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما

يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا

على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فان قلت كيف سمى التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوركه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسبه الاثم آثم وبرميه البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم ان الجاني هو صاحبهم فقد روي انهم كانوا يعلمون ذلك وما يضلون الا انفسهم لان وبال ذلك عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر بصدقة على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي

ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا

ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما

كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله وسمع
سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا
بعينه أو ما سمعته يقول والعصر إن الإنسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استحقاق الأجر
العظيم أن ينوي الفاعل تحصيل عبادة الله والتقرب به إليه وأن يبتغي بحجته مخالطة الأغراض
الأعمال بالنيات فإن قلت كيف قال إلا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر
الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل
فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم
ويجوز أن يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال
وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين
الحنيفي القيم وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة
الكتاب والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل المؤمنين وبين مشاقة
الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة
الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بأن نخذله ونخلي بينه
وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة
وارتداده وخروجه إلى مكة إن الله لا يغفر أن يشرك به كرره للتأكيد وقيل كرر
لقصة طعمة وما روي أنه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت
به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة له وما
توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما حالي
عند الله فنزلت وهذا الحديث ينقض قولهم من فسره بالتائب من ذنبه
إلا إناثا يعني اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم
صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله
وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ أنثى جمع أنيث أو أناث وو
وأثنا بالتثقيل والتخفيف جمع وثن كقولك أسَد وأُسُد وأُسْد وقلب الواو ألفا
كأجوه في وجوه وقرأت عائشة أوثانا وإن يدعون وإن يعبدون بعبادة الأصنام
إلا شيطانا لأنه هو الذي أمرهم على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة
لعنه الله وقال لأتخذن صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا
القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء
وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعون إلى النار ولأضلنهم عن الحق ولأمنينهم الأماني الباطلة

من طول

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين
له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت
مصيرا

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا

إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن
يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله
وقال لأتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا

ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن
آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق
الله ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله فقد خسر خسرانا مبينا
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان
إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون
عنها محيصا

من طول الأعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بالعفو والتوبة وتخلصهم من النار بعد
دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون أذن
الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها وحرموه
وتغيير خلق الله فقء عين الحامي وإعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في عامة
العلماء مباح في البهائم وأما في بني آدم فمحظور وعند أبي حنيفة يكره شراء الخصيان
وإمساكهم واستخدامهم لأن الرغبة فيهم تدعو إلى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين
الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله
وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات
والمغيرات خلق الله وقيل التخنث وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد
لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن أصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فإن
قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا
للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله ليس بأمانيكم أي ليس ينال ما وعد من الثواب بأمانيكم
ولا بأماني أهل الكتاب والخطاب للمسلمين لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به وقيل
ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدي
هي في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا
نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل له وقيل تفاخر المسلمون
وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى
المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت
قبله فنزلت ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء
لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا وقوله ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فكان أهل
الكتاب يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ويعضده
تقدم ذكر أهل الشرك قبله وعن مجاهد أن الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا
يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب نحو قوله
بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات
عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وإذا بطل الأماني
وثبت أن الأمر كله معقود بالأعمال وأن من أصلح عمله فهو الفائز ومن أساء عمله فهو
الهالك تبين الأمر ووضح ووجب القطع للأماني وحسم المطامع والإقبال على العمل

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها أبدا وعد الله حقا ومن
أصدق من الله قيلا

على ما يتجرعون في عاقبته غصص
اختلافهم أعين الشيطان

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب
من يعمل سوءا يجز به ولا يجد
له من دون الله وليا ولا نصيرا
ومن يعمل من الصالحات من ذكر
أو أنثى وهو مؤمن فأولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا

في نسخة وعد الله

الى الاذهان

الصالح ولكن يضيع لا تسعه الاذان ولا تبلغه فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية
قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات
لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه
ولا جهاد عليه ولا زكاة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام
فيمن يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت
فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات
جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين والا دليلا على ذكره عند الاخر لان
كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم
الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله
ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل
لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل اسلم وجهه
لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن وهو عامل
الحسنات تارك السيئات للثبات حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم كقوله بل ملة
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها
الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة
تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في
خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك
كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة
قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم
والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله
ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة
قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة
اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت
ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس
فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن
حوارى واختبزت واستنبه ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت
امرأته من خليلك المصري ~~فقال بل من عند خليلك المصري~~ فقال بل من عند خليلي
الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض متصلة
بذكر اعمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله

بكل

ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا

واستنبه بدل

ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا

بكل شيء عليما محيطا وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا
لانفسهم ما هو اصلح لها ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب
في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد
وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة
والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في
حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها
والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن
وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم للفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله
في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن
ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين
فبدل من لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة بمعنى
من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيائين على قلب همزة
ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض
لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة
تزوجها واكل ما لها وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها
وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن
وروي ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة
غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولها
مال قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء
وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء
ويجوز ان يكون خطابا للاولياء والاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم خافت
من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها
بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب
او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقلل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض
الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح
عين الى اخرى او غير ذلك فلا بأس بهما ان يصطلحا ان يتصالحا وقرئ يصالحا ويصطلحا

منهن

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما

ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان تعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى

وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا

رسول الله صلعم من العرب اي ان يشا يميتكم ويات بناس اخرين بالفرس ويروى انها
لما نزلت ضرب رسول الله صلعم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد
ابنا فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما
لان من يجاهد لله خالصا لم تخطيه الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة
الى جنبه كلا شي والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراده حتى يتعلق
الجزا بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهدا
لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة
على انفسكم او ابايكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان والاقربين
يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه
قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز
ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابايكم او اقاربكم
وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود
عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها
ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا
ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان
قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا
او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه
قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو
جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي
بالاغنيا والفقرا وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرا
عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل
والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة
ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او
حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها فان الله كان
بما تعملون خبيرا ومجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين ومعنى
امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل
المراد به جنس ما انزل على الانبيا قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرى
وكتابه على ارادة الجنس وقرى نزل وانزل على البنا للفاعل وقيل الخطاب لاهل

الكتاب

الكتاب لانهم امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام
واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام
وسلمة ابن اخيه ويامين ابن يامين اتوا رسول الله صلعم انا نومن بك وبكتابك وبموسى وقالوا يا رسول الله
والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال رسول الله صلعم بل امنوا بالله
ورسوله محمد وكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا
كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين امنوا نفاقا امنوا اخلاصا
فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مومنين
بالتوراة والانجيل قلت كانوا مومنين بهما فحسب وما كانوا مومنين بكل ما انزل
من الكتب فامروا ان يومنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا
به لان طريق الايمان به هو المعجز ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض
فلو كان ايمانهم بما امنوا به لاجل المعجز لامنوا به كله فحين امنوا ببعضه علم
انهم لم يعتبروا المعجز فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراده الله عز وجل في قوله
ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل
قلت لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله
ومن يكفر بالله الاية ومن يكفر بشي من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لان الكفر ببعضه
كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام
والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين
تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا
ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه
الله لان قلوب اوليك الذين هذا دينهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على
الردة وكان الايمان اهون شي عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد
اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل
منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع
ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق الذي يتوب
ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل ثم يتوب ثم يرجع
هم اليهود امنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلعم
بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد

الذين او هم الذين كانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليايه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم ان هي المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزايها وان مع ما في خبرها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرا به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القران في مجالسهم فيستهزءون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القران من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى ما دل عليه يكفر بها ويستهزا بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونوا مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قوتهم وقدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليايه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا

واعدلهم

وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا م

الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا م

ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا م

واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الاخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دايم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفى نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون اليها متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى راهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رات المراة الرجل اذا امسكت له المراة ليرى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرءونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم اي يبصرونهم اعمالهم ويراءونهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراءون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء فيكونوا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين

اعني

مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا م

الرجوان م

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا م

في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الدين والإسلام اولياء سلطانا حجة بينة يعني ان
موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة ابن صوحان انه قال لابن اخ
له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك
ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم وللنار سبع
دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون
الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا
من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله الا الذين تابوا
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله
ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه
فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤتي
الله المؤمنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت
هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق
فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب
واذا وعد خلف واذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق
فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا
خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق
زمان تقنع فيه فاصبح قد تعمم وتقلد ما يفعل الله بعذابكم
اتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا ام يستدفع به ضررا
كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك
وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد
ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما
بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى
ما هو عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا
انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على
الايمان وكانه اصل التكليف ومداره الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي
لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء
وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل
قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل

والكافرين خالص المؤمنين

ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا

الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما

ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما

للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر له بالسوء ويجوز ان يكون
من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما
جاءني زيد الا عمرو بمعنى لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث
على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما
اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل
في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطف
عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا
والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام
فعليكم ان تقتدوا بسنة الله ويجعل الذين امنوا بالله وكفروا برسله اي امنوا
بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كالمفرقين بالله ورسوله جميعا لما ذكرنا من
العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان
والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي
طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه
لا واسطة بين الكفر والايمان فلذلك قال اولئك هم الكافرون حقا
اي هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله
حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين
اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول
بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في المذكر والمؤنث
وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان
والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى
لستن كاحد من النساء سوف يؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة
وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا روي ان كعب ابن
الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله ان كنت نبيا صادقا
فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا
الى فلان بانك رسول الله صلعم وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك
على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية
فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من ابائهم في ايام موسى وهم النقباء

ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا

ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا

والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما

يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا

المسبعون لانهم كانوا على من جيهم ولرضيهم بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت
جهرة عيانا بمعنى ارنا جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما
سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سأل ابرهيم صلوات الله عليه واله ان يريه
احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق
واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان
يقتلوا انفسهم حتى يتاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط
عليهم فيالك من سلطان مبين بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه
وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت
وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا
عليه ثم نقضوه بعد وقرئ ولا تعدّوا بادغام التاء في الدال فبما نقضهم
فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت
اما ان يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان
يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من
قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العذاب او التحريم
للطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء
وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه
قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم
بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله
عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا
بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء
من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
ولكن هيهات فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت
كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان
قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل
قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد
ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت فما معنى المجيء بالكفر معطوفا
على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو
قوله وكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا
بموسى ثم عيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف

مجموع

ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا ۝

فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ۝

الخزاهم الله

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ۝

مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل
الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى
عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان
العظيم هو التزنية فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين
لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا
المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما
لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض
مهادا روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي
وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة
اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل
الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق
عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع
عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا
فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم
ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم
رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان
قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه
وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور
وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير
المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع
الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن
فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن
والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم
قط ولكن لاحت لهم امارة فظنوا فذلك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا
او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا
لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله حقا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه

وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما ۝

وقتلهم ۝

من قتلوه ۝

ظانين ۝

منتقبين كما ادعوه كذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او ما ظنوا كفى لك وما قتلوه
حقا اي حق انتفا قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما وتجهته علما اذا بالغ
فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم علما يقينا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل
وما علموه علم يقين واحاطة لم تكن الاحاطة تهكما بهم ليومنن به جملة قسمية واقعة
صفة الموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب واحد الا ليومنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى
احد الا ليومنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان
تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب
قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني
اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان
اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله
اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت به عبدا نبيا وتقول للنصراني
اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيومن انه عبد الله ورسوله
حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكيا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت
قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها
من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الي ان تقول
حدثني محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه
مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان
اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من
فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوا ولا تخرج روحه حتى
يومن به ويدل عليه قراءة ابي الا ليومنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان
منهم احد الا سيومنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فايدة الاخبار
بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت فايدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان
به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان
به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة يكون عليهم
شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضمير ان
لعيسى يعني وان منهم احد الا ليومنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب
الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد
من اهل الكتاب الا يومن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في

وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ۝

اغيظه

معاجلتهم

زناه

زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور
مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين
سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد
من جميع اهل الكتاب الا ليومنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك
الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل الله له ويومنون به حين لا ينفعهم ايمانهم
وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم
من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم
عظيم ارتكبوه وهو ما عددهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات
التي حرمت عليهم ما ذكره الله في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي
ظفر وحرمت عليهم الالبان فكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم
بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا
كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذون منها من سفلتهم في
تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون
في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون والمومنون يعني المومنين
منهم او المومنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويومنون
خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد كسره
سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا
في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب
العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه
ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل
كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا
في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو
عطف على انزل اليك اي يومنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة
وهم الانبيا وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار
والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله
ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر
الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاء جمع زبر وهو الكتاب او رسولا
منصوبا بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم
ونظيره وبرسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما ۝

لكن الراسخون في العلم منهم والمومنون يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمومنون بالله واليوم الاخر اولئك سنوتيهم اجرا عظيما ۝

انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا ۝

ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما ۝

إنهما قرأ أو كلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير أنه من الكلم وأن معناه وجرح الله موسى بأظفار
المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الأوجه أن تنتصب على المدح ويجوز انتصابها
على التكرير فإن قلت كيف يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهم محجوجون بما نصبه
الله من الأدلة التي النظر فيها موصل إلى المعرفة والرسل في أنفسهم لم يتوصلوا إلى المعرفة
إلا بالنظر في تلك الأدلة ولا عرف أنهم رسل الله إلا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن
الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل
أمور الدين وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما
لإلزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما
وجب الانتباه له قرئ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فإن قلت الاستدراك لا بد
له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سأل أهل الكتاب إنزال
الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك قال لكن
الله يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل إنا أوحينا إليك
قالوا ما نشهد لك بهذا فنزلت لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما أنزل إليه إثباته
لصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه
حق وصدق فإن قلت بم يجابون في قولهم نعلم أن الملائكة يشهدون بذلك قلت
يجابون بأنهم يعلمون بشهادة الله لأنه لما علم بإظهار المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن
الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لأن شهادتهم تبع لشهادته قلت ما معنى
قوله أنزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه أنزله متلبسا بعلمه
الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب
بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لأنه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته
أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك
وأنك مبلغه وقيل أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه أنزله وهو عالم
به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون
بذلك كما قال في آخر سورة الجن الآية إلى قوله وأحاط بما لديهم علما والإحاطة بمعنى
العلم وكفى بالله شهيدا وإن لم يشهد غيره لأن التصديق بالمعجز هو الشهادة حقا قال أي
تبع الشهادة عند الله كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم كافرين
وبعضهم ظالمين أصحاب الكبائر لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهم إلا بالتوبة
ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم
القيامة إلا طريقها بالحق [illegible] فآمنوا خيرا لكم [illegible] وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه

بمضمر

بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا
لكم أي اقصدوا أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد
لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة
~~وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه مولودا لغير رشدة~~ وغلت النصارى
في رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلها ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو تنزيهه عن
التركيب والولد وقرأ جعفر بن محمد إنما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة
منه لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله
وروح منه لذلك لأنه ذو روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما اخترع اختراعا
من عند الله وقدرته خالصة ومعنى ألقاها إلى مريم أوصلها إليها وحصلها فيها ثلاثة
خبر مبتدأ محذوف فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم
أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات
وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة وإلا فتقديره الآلهة
ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وأن
المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم
يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله
إنما المسيح عيسى ابن مريم فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم
وأن اتصاله بالله عز وجل من حيث أنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسدا
حيا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء وقوله سبحانه أن يكون
له ولد يعني سبحه تسبيحا من أن يكون له ولد وقرئ الحسن سبحانه إن يكون له ولد
بكسر الهمزة وضم النون أي سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان له ما
في السموات وما في الأرض بيان لتنزهه عما نسب إليه يعني أن كل ما فيهما خلقه
وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على أن الجزء إنما يصح في الأجسام وهو
متعال عن صفات الأجسام والأعراض وكفى بالله وكيلا يكل إليه الخلق أمورهم
فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه لن يستنكف لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت
الدمع إذا نحيته عن خدك بإصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه
قدرا وأعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل
وإسرافيل ومن في طبقتهم فإن قلت من أين دل قوله ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا
من فوقه قلت من حيث علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام إنما سيق لرد

ذكر مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان تقال لهم لن
يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة
المقربون عن العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة تخصيص
المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله
ممن يعاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة انه قصد بالبحر ذي الامواج
ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الاية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى يعترف بالفرق البين وقرا عبيد الله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طا
لم تعيب صاحبنا فقال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال
انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو
كان موضع استنكاف لكان اولى بان يستنكف لانه الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملائكة
قلت لا يخلو اما ان يكون معطوفا على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لله
لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبد ابوه
فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان
المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو
ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف
فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة
المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما
اذا عطفتهم على الضمير في عبد فقد طاح هذا السوال وقرئ فسيحشرهم بضم الشين
وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل
على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله
ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين
لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في
التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني
وهو ان الاحسان اليهم بما يغيظهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من
عذاب الله برهان والنور المبين القران او البرهان دين الحق او رسوله
والنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب
مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى
توفيقهم وتثبيتهم وروي ان اخرها نزل من الاحكام كان رسول الله في طريق مكة عام حجة

الوداع

الوداع فاتاه خالد ابن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت وقيل
كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع بمالي فنزلت ان امرؤ هلك
ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال
اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه
على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا يسقطها البنت الا في مذهب ابن
عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض لها النصف
وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس
في اية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على
العكس من موتها وبقائه وبعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط
الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط
فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان
السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب
اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ويجوز ان يدل
بيان حكم انتفاء الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء
الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا
على انتفاء الاخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله وان كانتا اثنتين
وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث
بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما
انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا
لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم المذكر ان تضلوا
مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما
تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ
من الشرك وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم تمت سورة النساء وكمل الجزء الاول

سورة المائدة مدنية ثلاث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يقال وفي بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه
بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا
فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من مواجب
التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات

وعقودها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام
قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر
واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة
من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القران من نحو قوله حرمت عليكم
الميتة او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام
الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في
الاجترار وعدم الانياب فاضيفت اليها لملابسة الشبه غير محلي الصيد على
الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان
انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال من محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم
بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يحرج عليكم ان الله يحكم ما
يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة
وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف
والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق
والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك
وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد
به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر وغيره وآمين المسجد الحرام قاصدين
الحاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها
وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض
للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان الاول ان
يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص صح
لزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد
منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن
التعرض للهدي اي ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن
فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت ولا تحلوا
قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى
عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل
هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان
المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا

تحلوا

تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال
مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله فاقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة
وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم
الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرا عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة وقرا
حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة
للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل واذا احللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا
وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال
حل المحرم واحل ولا يجرمنكم جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين يقال
جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم
بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان
صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ
بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم
عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم
ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين
يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان
فيتناول بعمومه العفو والانتصار كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات
البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم من المباعر يشوونها ويقولون
لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفعوا الصوت لغير الله به وهو قولهم
باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت
بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت من جبل
او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه
الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقرا
عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو السبع بسكون الباء وقرا ابن
عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب
واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه وقيل هو جمع والواحد نصاب
وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان

احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي
مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج
الامر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام
بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور
على الانصباء المعلومة ذلكم فسق الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم
لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر
وغيره بالازلام ليعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استاثر به علام
الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه
طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره
او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم روي انهم كانوا
يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد بالزمان
الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس
شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه
الان في قوله الان لما ابيض مسودي وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد يوم
نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين
كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت
عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره
على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم
مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشوني واخلصوا لي الخشية اكملت لكم
دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا
الملك وكمل لنا ما نريد واذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم
او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع
وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين
وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت
نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم
من بين الاديان واذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا
اي هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات
وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة

الدين

الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن
اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة اي في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه لقوله غير باغ
ولا عاد فان الله غفور لا يؤاخذه بذلك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده
ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما احل لهم وانما لم يقل ماذا احل
لنا حكاية لما قالوه لان يسئلونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن
واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدا واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه
ماذا احل لهم من المطاعم كانه حين تلا عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا
عما احل لهم منها فقيل احل لكم ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه
في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل
لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا
والجوارح الكواسب من سباع الطير والبهائم كالكلب والفهد والنمر والعقاب
والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد
لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التاديب والتثقيف واشتقاقه
من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلاب واشتق من لفظه لكثرته في
جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله السبع الاسد او من الكلب الذي بمعنى الضراوة فقال هو كلب بكذا اذا كان
ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت فان قيل ما فائدة هذه
الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في
علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية واستئناف وفيه
فائدة جليلة وهي ان على كل اخذ علما ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم
دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد
الابل فكم من اخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله
مما علمكم الله من علم التكليف لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل ومما عرفكم
ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه
بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل
وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه لقوله عليه السلام
لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي عليه السلام
اذا اكل البازي فلا تاكل وفرق العلماء فشرطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب
بالضرب ولم يشترطوا في سباع الطير ومنهم من قال لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق

بين امسك الكلب البعض وعن سلمان وسعيد بن ابي وقاص وابي هريرة واذا اكل الكلب
وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت إلام يرجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه
قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من
الجوارح اي سموا عليه عند ارساله طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم وقيل جميع
مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني
تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي
وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين
وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه
هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا
ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل
الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب
انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور
وان امره بذلك في الصحة فلا باس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم
لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم المحصنات الحرائر او العفائف
وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق
وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات
وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات
وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر
والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم اذا قمتم الى الصلاة
كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون
عليه من اما المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل
قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهو قصده اليه وميله
وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا
يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا
انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل
وذلك ان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما
ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا
الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى اذا قمتم الى الصلوة قصدتموها

لان

لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه
فان قلت ظاهر الاية توجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث
فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان
يكون للندب وعن رسول الله صلعم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة وعن
رسول الله صلعم من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضا
لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الخمس صلوات بوضوء واحد فقال له
عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون
الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب
قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل
كان الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا
فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج
قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت
الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل
لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول حفظت القران من اوله
الى اخره لان الكلام مسوق لحفظ القران كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى
الكعبين لا دليل فيه على احد من الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا
بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلعم انه كان
يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤوسكم المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه
كلاهما ملصق المسح براسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على
اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع اسم المسح واخذ ابو حنيفة
ببيان رسول الله صلعم وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع
الراس قرا جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة
الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلث المغسولة تغسل بصب
الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الممسوح لا لتمسح
ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء
بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه
انه اشرف على فتية من قريش فراى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من
النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلعم

نقونا قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل
للعراقيب وعن عمر بن الخطاب انه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره ان يعيد
الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة لأن تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين
بغير خفين وعن عطا والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح
على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع
بين الامرين وروي عن الشعبي نزل بالمسح والغسل سنة وقرئ بالحسن وارجلكم بالرفع
بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا ادكم القرآن وذلك
ليطهركم وفي قراءة عبد الله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة
حتى رخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم
نعمته عليكم وليتم برخصه نعمته عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا
نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا
وثيقا وهو الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق
ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان ولا يجرمنكم ولا يحملنكم الاستعلاء متضمنا معنى فعل
يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا
حذف مع ان ونحوه وقوله عليه السلام من اتبع على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ
شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغض المشركين على ان تتركوا
العدل فتعتدوا عليهم وتنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما
لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد وما اشبه ذلك اعدلوا
هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان يحملهم البغضاء على ترك العدل وهو اقرب للتقوى
اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها
بهذه الصفة من القوة ما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه لهم
مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء
وعدهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم
وعدا فقيل اي شيء وعدهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم ويكون على ارادة القول
بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة اي على حال الحال او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول
او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه
قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم
مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون

٣

به يستوحشون اليه ويهمون عليهم بالسلاح ولا هذا قبل الوصول الى الثواب روي ان
المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك
بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها
صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بان يوقعوا بهم
اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني
قريظة ومعه الشيخان وعلي وعثمان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري
خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في
صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده
ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقال من
يمنعك مني قال الله قالها ثلاث مرات فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده
اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش
به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد
اليكم لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى الشام وكان
يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا
اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا
على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل
وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام
ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من
سبط افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال
القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها اني معكم اي ناصركم ومعينكم وعزرتموهم
ونصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من
معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير
والنصر من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد
اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل
ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن
جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق

بالوعد العظيم فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل قلت
اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا
ازدادت النعمة ازداد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل
مسخناهم وضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الالطاف
حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرئ قسية
اي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي من القسوة لان الذهب والفضة الخالص
فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على
اليبس والصلابة وفي قسية تكثير المقاس للاتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم
لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا
وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ
عظيم او قست قلوبهم او هندت فحرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن
ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب
انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان بعثه ولا تزال تطلع اي هذه عادتهم
وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون
عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان تهمك على
خائنة على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل
خائنة كما يقال رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن
للغدر خائنة مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم
فاعف عنهم بعث على محالفتهم وقيل لمؤمنين منسوخ باية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم
ولا تؤاخذهم بما سلف اخذنا ايضا منهم اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من
قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير او اخذنا من النصارى
ميثاق انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد ذلك نسطورية
ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا
لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى
المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه كذلك نولي بعض الظالمين بعضا
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى
مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه
لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته

حاله

حالهم من يا امه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعته وكاماته بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم
لا يؤاخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القران لكشفه ظلمات الشرك والشك
ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز من اتبع رضوانه من امن
منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله قد قالوا ان الله هو المسيح
معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون
ذلك وقيل لم يصرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي
ويميت ويدبر امر العالم فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا
ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر
العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما
وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير
ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق ادم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد
عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب
اليه ولا ينسب الى البشر المجري على يده ابناء الله اشياع ابني عزير والمسيح كما قيل
لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما رهط مسيلمة نحن ابناء الله
ويقول اقربا الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم
الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون
بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم
من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما
عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل
الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة يبين لكم ما ان يقدم المبين وهو الدين والشرائع
وحذفه لظهوره مما ورد الرسول لتبيينه او يبين لكم ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره
او لا تقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم على
فترة متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا
كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان
بين عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وستون
وكان بين موسى وعيسى الف سنة وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة
انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم
بان الرسول بعث اليهم حين اندرست اثار الوحي احوج ما يكونون اليه وليعدوه عظم نعمة من
الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم

وجعلكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه
ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء
وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك
من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج الى
تكلف الاعمال وتحمل المشاق ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد
عالمي زمانهم الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام
وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين
رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادركه بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء
ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم
ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا وقيل لما حدثهم
النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكا وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل
علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم
امر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والاخرة جبارين فعالا من جبره على
الامر بمعنى اجبره وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب
ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون
الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل
وهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فامنا قالا لهم ان العمالقة اجسام
لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من
قرا يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة
ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب
فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت اذا انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم
الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت من اين
علموا انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة
غلبة الظن وما تبينوا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدوا من صنع الله لموسى في قهر
اعدائه وما عرفوا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل
على وجه التاكيد المؤيس وابدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد
فاذهب انت وربك يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني
تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة

بالله

بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة
قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بهما
بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا
برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس
عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما
قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون عليه السلام قال رب
اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي هذا من البث والحزن والشكوى الى الله
والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول
يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي عليه السلام انه كان يدعو
الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء
ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في الاعراب اخي وجوه ان يكون
منصوبا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل لا املك الا نفسي وهرون كان لا
يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير
في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه
الرجلان المذكوران قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما
لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبي
المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم
تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يواخيني على ديني فافرق فافصل بيننا وبينهم
بان تحكم بيننا بما نستحق وبما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها
محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني
من القوم الظالمين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها
فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان احدهما
قيل فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان
موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله
ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال
الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبابرة واخرجهم وصار الشام كله لبني
اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشات
نواشئ من ذراريهم فقاتلوا الجبابرة ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون
ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه

فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا امسوا وكانوا
اذا هم حيث ارتحلوا عنه وكان الغمام تظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل
يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان
عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فكيف ينعم عليهم بتظليل الغمام
وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم
مع ذلك النعم متظاهرة ومثال ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويجود بيد نفقته
ولا يقطع عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون
عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه عقاب وقد طلب موسى
من ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما
لا عقوبة كما كانت النار على ابرهيم وملائكة العذاب وروي ان هارون مات في التيه
ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر ومات النقباء في
التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تاس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل
انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم هما ابنا ادم لصلبه هابيل وقابيل
اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الاخر كانت توأمة قابيل اجمل فاشتهاها
فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما تقبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل
وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة متلبسة بالحق والصحة او اتله تلاوة ملتبسة
بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين
واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه واتل عليهم وانت محق
صادق واذ قربا نصب بالنبا اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا
من النبا اي اتل عليهم النبا نبا ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب
به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة
وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون
بمعنى قرب فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك
قلت لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال
له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك
لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم
جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يتقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر
العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد

كنت

كنت وكنت فقال اني سمعت الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه
واستسلم له خوفا فامر الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد
وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تحتمل اثم قتلي لو قتلتك واثم قتلك لي فان
قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع
في الكلام كما تقول قرات قراءة فلان وكتبت كتابته يريد المثل وهو اتساع فاش
مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ومعنى قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما
لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم شتمه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان
سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ مدافع عن عرضه
الا ترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج عن حد المكافأة واعتدى
لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان
محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان
قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي
لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي وباثمك الذي من اجله لم يتقبل
قربانك فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار
قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك
جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما
هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجر من استحقاق العقاب فان قلت
لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت
ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع
ولذلك اكد بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته ويسرته
من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما
جاء على فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه
فطاوعته ولم يمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو
ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد
الاعظم فبعث الله غرابا روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني ادم ولما
قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره
سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وهي انها

مثله اسود وجهه جسده حبشة وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته فلذلك اسود جسدك وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة
لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان
الانبياء معصومون من الشعر ليريه ليريه الله او ليريه الغراب او ليعلمه لانه لما كان سبب
تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوءة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان
ينكشف من جسده والسوءة الفضيحة لقبحها قال يا العوم للسوءة السوء اي الفضيحة
العظيمة فكني بها عنها فاوارى بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على
فانا اوارى او على التسكين في موضع النصب للتخفيف فاصبح من النادمين على قتله لما تعب
فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه
ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك بسبب ذلك وعلته وقيل اصله من اجل شرا
اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في
عاجل انا اجله كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعلته
واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اي من جريرتك بمعنى جنيته وذلك
اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل الكتب وجر كتبنا على بني
اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشاه من اجل ذلك ويقال فعلت
كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد
فضلكم وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وحذف النون لالتقاء حركتها عليها
وقرا ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر الهمزة النون
ملقيا لكسر الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد
عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها
ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة بما مدلي به الاخرين الكرامة على الله ونفوس
الحرمة فاذا قتل فقد اهدر ما كرم على الله وهتك حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد
والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحيائها
في القلوب فيشمئز الناس عن التجاسر عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض
لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك
الذي اراد احياها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم
ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارايت لو قتلت الناس جميعا
اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك كلا انه شيء سولته لك نفسك
والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالايات

لمسرفون

لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله
ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في
الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلته وانتصب وثنا في الارض فانتصب فسادا
على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه واله عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله صلعم
فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحي الله اليه ان من جمع بين القتل واخذ
المال قتل وصلب ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة
السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع كافرا كان
او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل
ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد يصلب حيا ويطعن
حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا
من الارض ان لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام
مخير بين هذه العقوبات من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند
الشافعي النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من
بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهي بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من
بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب
قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان
شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا وعن علي عليه السلام ان الحارث ابن بدر جاءه تائبا
بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما
يتوسل اي يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعير لما يتوسل به
الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد ارى الناس لا يدرون
ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله واسل ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم
وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلعم
يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به
فيقول نعم فيقال له قد سئلت ما هو ايسر من ذلك ولو ان لهم ما في حيز خبر
ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان
قلت نحو قوله فانى فيها لغريب وعلى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان تكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجع
فان قلت فبم ينتصب المفعول معه قلت بما تستند اليه لو من الفعل لان التقدير

عتبل

لو ثبت أن لهم ما في الأرض فلا يحتجوا بظاهر اليأس أحرى ويشهد له قراءة
العامة قوله وما هم بخارجين وما روي عن عكرمة أن نافع ابن الأزرق
قال لابن عباس يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال
الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذه للكفار فمما لفقته
المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفرياتهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بني عبد
المطلب وهو حبر الأمة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أجلاف الدنيا
ويرفعه إلى عكرمة دليلين ناصعين أن الحديث فرية ما فيها مرية والسارق
والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما
فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء
والخبر فاقطعوا أيديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذي
سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول تضمن معنى الشرط وقرأ عيسى
ابن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر لأن زيدا فاضربه
أحسن من زيد فاضربه أيديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف
إليه عن تثنية المضاف وأريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون
والسارقات فاقطعوا أيمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ
وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند أبي حنيفة
وعند مالك والشافعي ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك
بدرهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته
وأصلح أمره بالتفصي عن التبعات فإن الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب
الآخرة وأما القطع فلا تسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي
في أحد قوليه تسقطه من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين
والتائبين وقيل يسقط حد الحربي إذا سرق بالتوبة ليكون أدعى له
إلى الإسلام وأبعد من التنفير ولا يسقط عن المسلم لأن في إقامته الصلاح
للمؤمنين والحياة ومثله في القصاص حيوة فإن قلت لم قدم التعذيب على المغفرة
قلت لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك الياء وبرع وبهك
والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهار ما يلوح منهم
من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال
أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر
وقوعهم

وقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبأفواههم
متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن
اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون
والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما تفتريه
الأحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان
ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي
قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك
وقيل سماعون إلى رسول الله لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان
والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم
عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر
يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير
مواضع بعد أن كان ذا مواضع إن أوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا
أنه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه فاحذروا وإياكم وإياه فهو الباطل
والضلال وروي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في
التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله
عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا
الزانيين معهم فأمرهما بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم
ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن
صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكما فقال له رسول الله
أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل
فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن
قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب
ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله
وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله بالزانيين
فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له
من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يمنحهم
من الطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع إن الذين
لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم السحت كل

مما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تع يمحق الله الربوا
والربوا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ
المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشا
على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة
جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشا
ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل
يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن كما قال الله تع سماعون
للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلعم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فكان
رسول الله صلعم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم
وعن عطا والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاوا حكموا وان
شاوا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة
ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيا
اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم
قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلعم رجم اليهوديين
قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر
والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم
وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في
كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك
عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم
كما يدعون وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت
فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التورية
وهي مبتدا خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التورية ناطقة
بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم
كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان
قلت لم انث التورية قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما في كلام العرب
فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك فيها هدى يهدي للحق
والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على
سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرايها
التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث

وان

وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا الذين هادوا مناد على ذلك والربانيون
والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة
النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه
من التورية اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن
في كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية
النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما الف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم
على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلعم من حملهم على حكم
الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون
والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه
وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين
والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ عليهم من الله اي كلفهم الله حفظه وان
يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم
وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم
او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا
تستعيضوا بايات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضاء
الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا
وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم
الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا ايات
الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين
والظالمين والفاسقين من اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو
فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم
به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذا في اهل الاسلام والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم
وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة
بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا وفي مصحف ابي وانزل الله على
بني اسرائيل فيها وفيها ولن الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت مرفوعة ومنصوبة
والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء
كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليها الكتب
كما يقع عليها القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج

لو فرئ ان النفس بالنفس بالكسر كان حكما او للاستيناف والمعنى فرضنا عليهم فيها
ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين
مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن
مقلوعة بالسن والجروح قصاص من قبيل المقابلة ومعناه ما يمكن فيه القصاص
وتعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن
تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفى عنه فهو كفارة له للمتصدق
يكفر الله بها من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو
يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه
صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق
كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله
فاجره على الله وترغيب في العفو وقفيناه مثل عقبناه اذا اتبعته ثم يقال قفيته
بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول
الاول في الاية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد
مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين
في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان
صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا
عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة
يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله
وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله
فيه من الاحكام فان قلت فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا
فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة
حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه
اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة ابي
وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان
قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرناه بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى صلوات
الله عليه كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر
والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد
ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول
معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة فان قلت اي فرق بين

الفريقين

الفريقين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت
الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس
الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على
الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا
ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم
اي هومن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف
حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمأزوا رادين ومنكرين ضمن
ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من
الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرأ يحيى بن
وثاب بفتح الشين ومنهاجا طريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا
دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة
على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن
اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين
انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم
يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل
فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استئناف
في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل
بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فان قلت وان احكم بينهم
معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل
وانزلنا اليك ان احكم بينهم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز
ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما
انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد
وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد
نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا
اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا
عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلعم فنزلت فان تولوا
عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك

وأراد وأخبر فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله
وإرادة خلافه موضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وأراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد
وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الإبهام لتعظيم التولي واسرافهم
في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
اراد نفسه وانما قصد تفخيم شأنها بهذا الإبهام كأنه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس
فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض
لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله
من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما
ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل
بين القتلى وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير
نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم
وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع
الى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبغي غير حكم الله والحكم حكمان
حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاووس عن الرجل
يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ يبغون بالتاء والياء وقرئ
افحكم الجاهلية برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع
عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في
الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد
وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران
ونظراؤه من حكام الجاهلية فاراد وابتغيهم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما
كاولئك الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك
اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا اعدل
من الله ولا احسن حكما منه لا تتخذوا اي لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم
وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض
من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد بليغ في وجوب
مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما
ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم
اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام
للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تصنع حينئذ

فاصنعه الساعة واستغن عنه ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم
بموالاة الكفرة منعهم الله الطافه وخذلهم مقتا لهم يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم
ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان
اي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجون اليهم والى معونتهم وعن عبادة
ابن الصامت انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني
ابرأ الى الله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل
اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله ان يأتي بالفتح
لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده بقطع شأفة اليهود
واجلائهم من بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك
انهم كانوا يشكون في امر رسول الله فيقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري
ان يكون الامر لهم ولكنه ما للغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم
باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عنده
لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا
بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا في
ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف اهل مكة والمدينة
والشام كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول
الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا فان قلت لم يقولون هذا القول قلت اما
ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق
في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم
على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى
الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين اي بطلت
اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه قيل
ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجبا
من سوء حالهم وقرئ من يرتدد ومن يرتد وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات
التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ
باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله الى معاذ بن
جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله
بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول

وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله ع من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
ع اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة
الكذاب من محمد رسول الله ع الى مسيلمة الكذاب فان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي
قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد
في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة ابن خويلد تنبأ فبعث اليه
رسول الله ع خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع
في عهد ابي بكر فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو
سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة
الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت
سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن
قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر
وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة ابن الايهم نصرته اللطمة وسيرته
الى بلاد الروم بعد اسلامه وقيل لما نزلت اشار رسول الله ع
الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف
من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل
هم الانصار وقيل سئل رسول الله ع عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم
قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس محبة
محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه
ومحبة الله لعباده ان يثيبهم الله احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم
ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوءهم
طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيا وهم الفرقة المتفعلة
من الصوفية وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي
مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء الله
وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم
كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت
والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه
حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف

معناه

معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم وما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول
فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع
على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين فيه وجهان قلت
احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل
والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة
بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم
يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين
لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون
شيا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون
لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان تكون للعطف على ان من
صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور
الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل
ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا
قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة
والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء من يعلم ان له لطفا
واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة
من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاته بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكر جماعة فهلا
قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على
طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله ع والمؤمنين على
سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام
اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت
الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او على النصب على
المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطات قلوبهم السنتهم
الا انهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك وهم في
حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون
الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي عليه السلم حين سأله

سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرججا في خنصره فلم يتكلف
لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي الله عنه
واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا
واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه ان سجية المؤمن
يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء
حتى ان لزمهم امر لا يقبل التأخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان
حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر معناه فانهم هم الغالبون ولكنهم
بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم
ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم
فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روي ان رفاعة بن زيد وسويد
ابن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت
يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء
بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب
والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة
والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا الله في موالاة الكفار وغيرهم
ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير
للصلوة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول
اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة
وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله
وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم
وهزوهم من افعال السفهاء والجهلة فكانه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف
والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها
وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه
منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم
وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون الا مخالفتكم حيث دخلنا في
الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد
انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله
وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف
كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه

تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا فروي انه اتى رسول الله صلعم نفر من اليهود فسألوه
عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن
له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة
منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان
ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان
اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم
عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال
يمنعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل
من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في
محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او
في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالهما مشورة ومشورة
فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت
المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم
بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم
في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون
للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام
في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد
الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن
عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد
وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر
والفطنة قال ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن
حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله
عبدة فحذفت التاء للاضافة وهو خدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد
وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت
فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك
امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز
ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى
عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان

عبادتهم للعجل جاز ان يقال عبد الشيطان لان عبادتهم له عبادة للشيطان فهو الطاغوت
وعن ابن عباس رضي الله عنه الطاغوت الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد
عبده وقرا الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار
اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة
ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود
يقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اولئك الملعونون الممسوخون
شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك
شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز ويجوز ان يكون اسناد الشر
مجازيا على طريقة نظائره الطريق نزلت في ناس من اليهود وكانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا
لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا من تذكيرك بايات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه
قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا حالان ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال
وليعني ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا
لاظهار ما كتموا فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا
ذلك وهذه حالهم الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم
وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون
كانهم جعلوا اثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة
حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية
معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة
معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه
الاية مما يقذ السامع وينعي على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي
اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها غل
اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط
ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان معتقبان على
حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارة من
غير استعمال يد وبسطها وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها
حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده لقد

جعل

جعل لبيد للشمال يدا في قوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ويقال بسط اليأس
كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر
في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الاية ولم يتخلص من يد
الطاعن اذا عبثت به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن
البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر
الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد
ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر بقيت وفري وانحرفت
عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغللون في الدنيا
اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظ
اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع
فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد من لصوق
العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت لم ثنيت اليد
في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره
ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي
بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون
العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يد بسط بالمعروف ونحوه
مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة
على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد
بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه
كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله
مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن اي يزدادون عند
نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة
فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا
نارا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد
قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث
الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم
المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم
وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون ويجتهدون
في الكيد للاسلام وهو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم ولو ان اهل الكتاب مع ما

قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة

عدد ما من سيآتهم امنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشرط
في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيآت ولم نواخذهم بها ولادخلناهم مع
المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سياتهم ودلالة
على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت
مبالغ سيآت اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى
كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلعم وما انزل اليهم من
سائر الكتب لانهم مكلفون بالايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القران
لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات
الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنات اليانعة
الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض
من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلعم
وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله ابن سلام واصحابه وثمانية واربعون
من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوا عملهم
وقيل هم كعب ابن الاشرف واصحابه والروم بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك
واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائفا ان ينالك مكروه وان
لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ
اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تود منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس
باولى بالاداء من بعض فاذا لم تود بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان
من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها
لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير
مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلعم
بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما
وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات
وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ
منها ادنى شيء وان كان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان
كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك

ما

ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده
قوله عليه السلام فاوحى الي الله ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك عدة من
الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك
في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم احد وكسرت
رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما
دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل الاشياء
وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين
ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول
الله صلعم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس
فقد عصمني الله من الناس لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده
كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء
فلا تاس فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك
وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها كانه قيل ان الذين امنوا والذين
هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا
له والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك
فان قلت هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح
ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح
والنية به التاخير لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها
فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لا
عملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف
لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة
على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت
عليها فان قلت ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته
التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن
بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا
وما سموا الصابئين الا لانهم صبؤوا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم
قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل
به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه

والثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا قلت
لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم
ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه وتجري هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان
قلت كيف قيل الذين امنوا ثم قيل من امن قلت وجهان ان يراد بالذين امنوا
الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن امن من ثبت على الايمان واستقام
ولم يخالطه ريبة فيه قلت فما محل من امن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره
فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما
النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت
فاين الراجع الى اسم ان قلت محذوف تقديره من آمن منهم كما في موضع اخر وقرئ
والصابيون بياء صريحة وهي من تخفيف الهمزة كقراءة من قرا يستهزون والصابون
وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة
العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله
يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابيون لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد
وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول
جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم
بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت
اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب
فان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك
اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل
ان يقول كيف فعلوا برسولهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا والاخر
مضارعا قلت جيء بيقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل
واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها وحسبوا ان لا تكون بالنصب على
الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة
فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت كيف دخل فعل الحسبان على ان التي للتحقيق
قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم فان قلت فاين مفعولا حسبت
قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين
وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والاخرة فعموا
عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
بالعمى

بالضم على تقدير عماهم الله وصممهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك
وركبته اذا ضربته بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو
خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه
عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته او فيما
هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين
اي حرمه دخولها ومنعه منها كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من
كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم
عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك رافعين من مقداره او
من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده
عن المعقول او لا ينصركم ناصر في الاخرة من عذاب الله من قوله وما من اله الا اله
واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن قوله
ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فان قلت فهلا
قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت في اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة
عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى وهي الاعلام
في تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من
النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين
من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها
عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان
كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة
عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم والله
غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول
اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بايات من الله
كما اتوا بامثالها ان ابرا الله الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا العصا
وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى
اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما
منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما
حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انهم لا تمييز ولا تفاوت
بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام
لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا

من لحم وعظم واعصاب واخلاط وامزجة مع المطالبة بشهوة وغيرة وغير ذلك مما يدل على
انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف نبين لهم الايات اي الاعلام من الادلة
الظاهرة على بطلان قولهم اني يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله فان قلت
ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجب من بيان
الايات بيانا عجيبا وان اعراضهم عنها اعجب منه قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اي شي لا يستطيع
ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان
ينفعكم بمثل ما ينفعكم به الله من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما
يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبا قدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه
شيا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا
ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شي لا يخرج مقدور عن قدرته
والله السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي
يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم
الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم وان يكون كذلك الا وهو حي
قادر على كل شي غير الحق صفة المصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان
الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش عن اباعد معانيه
ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضوان
الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع
الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ايمتهم في النصرانية كانوا
على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث
وضلوا لما بعث الله رسوله عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا
عليه نزلت الله لعنهم في الزبور على لسان داوود وفي الانجيل على لسان عيسى
وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داوود اللهم العنهم واجعلهم
اية ومثلا فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر
بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب
السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما
عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية
والاعتداء لا لشي اخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون اي لا ينهى
بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبيس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء
فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير

دفعل

وقلة عبيهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شي مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات
من هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي من المنكر تفسيرا للمعصية
والاعتداء قلت من قبل ان الله امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو
اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف
المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر
فعلوه او عن منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق
والاتيان بالمنكر ومحبتا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه
بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا
امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين
ويعادونهم ان سخط الله وهو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبيس زادهم
الزاد زادهم الى الاخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون
بالله ايمانا خالصا غير نفاق وما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين
كفى بها دليلا على نفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى
كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما يوالونهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة
اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم
الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على
تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك نقل في قوله ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد واعن
النبي صلى الله عليه وآله ما خلا يهودي بمسلم الا هم بقتله وعلل سهولة ماخذ النصارى
وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم
فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على
ان العلم انفع شي واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذا علم الاخرة
والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كان في نصراني
ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القران وذلك نحو ما حكي
عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى
الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر
مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقراها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرا سورة
طه الى قوله وهل اتيك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا
على رسول الله صلى الله عليه وآله وهم سبعون رجلا حين قرا عليهم رسول الله صلى الله عليه سورة مريم فبكوا

قلت بم تعلق اللام في قوله للذين امنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود
التي اختصت المومنين اشد العداوات بل جعلها اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التي
اختصت المومنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود
بالعداوة والنصارى بالمودة مؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد
والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع قلت معناه تمتلئ من الدمع
حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض
الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت
المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها من الدمع من
فان قلت ما معنى من الاولى والثانية قلت من الاولى لابتداء الغاية
على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية
للتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ
منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القران واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على
البناء للمفعول ربنا امنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين
مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس
وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله
انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم
بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك او ارادوا
وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا
نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع
واو الحال فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية قلت العامل في الاولى
ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية
معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا
ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على
انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين
وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة
الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر
ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين فاثابهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن
اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات
ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموها لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم

او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان ابن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين
وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا
الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
فقال لهم اني لم امر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا
فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي
فليس مني ونزلت وروي انه كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل
وقال المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش
فتلا هذه الاية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى
طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج
المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن اهو صائم قالوا
لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه فقال يا فريقد اترى لعاب
النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ
ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل
ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب
عباده فاحسن ادبهم بقوله لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم
الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات
اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده
على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله من الوجوه الطيبة التي
تسمى رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله
الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به
وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها ثم افردهما بالذكر
بامر اذ المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله عن الصلوة اختصاص للصلوة من بين
الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا فاحذروا وكونوا حذرين خاشين لانهم
اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد فاحذروا ما عليكم
من الخمر والميسر وفي ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم

مستلذاتهم

حيث اعرضتم عما كلفتم ورفع الجناح عن المومنين في ان يطعموا من المطاعم وما يشتهونها
اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوا وثم اتقوا
وامنوا ثم ثبتوا على التقوي والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي
واحسنوا اعمالهم او احسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل
تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعني المومنين لا جناح عليهم في اي شي طعموه من المباحات
اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه
الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوي والاحسان ومثاله ان
يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد
جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان مومنا محسنا تريد ان زيدا تقي مومن
محسن وانه غير مواخذ بما فعل نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون
وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده اخذا بايديهم
وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غايب
منتظر في الاخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فعاد بعد
ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله
بشي من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي
تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما
هو شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف
شانهم عند ما هو اشد منه وقرا ابرهيم يناله بالياء حرم جمع حرام كردح جمع
رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم بان ما يقتله مما يحرم عليه قتله
فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمي صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو
صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطي
فان قلت فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا فما بال التعمد مشروطا
في الاية قلت ان مورد الاية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية
حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت
محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطا لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله
ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد
ووردت السنة بالخطا وعن سعيد ابن جبير لا ادري في الخطا شيا اخذا باشتراط العمد
في الاية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء

مماثل

مماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن
هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شا صام عن طعام كل مسكين يوما فان
فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره
من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت فما يصنع من
يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة قلت قد
خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى
فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشتري بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم
الصيد واشتري بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان
التخيير الذي في الاية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالطعام او بالصوم انما يستقيم استقامة
ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله
الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيا لا نظير له قوم ثم يخير بين الاطعام والصيام ففيه
نبو عما في الاية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل
ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقري
فجزاء مثل ما قتل وقري فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب
مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد
وقرا السلمي على الاصل وقرا محمد ابن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل
ما قتل وقرا الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل
ذوا عدل منكم حكمان عدلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان
التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا
وهو محرم فسال عمر رضي الله عنه فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه
والله ما علم امير المومنين حتى سال غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا
وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد
الرحمن وقرا محمد بن جعفر ذو عدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال
عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل من مثل فيمن
نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ
الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق
به فحيث شيت عند ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم فان قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء
قلت يجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء

اراد يحكم به من يعدل منكم صح

فيعطفها على بان تا جري ونرعيل وكفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة تبيينه
كانه قيل او كفارة طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج
او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على
الجنس او عدل ذلك او عدل لذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشي ما عاده من غير جنسه
كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما
عدل بالاخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح
ونحوهما الحمد والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي
مثله رجلا والخيار فيه الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد
الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق
سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة
من عمل سوء لثقله عليه من قوله تع فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل
هو الذي يثقل على المعدة فلا يستمرئ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام
قبل ان تراجعوا رسول الله تع وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية
منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلكم وكان الصيد فيها محرما
ومن عاد فينتقم الله منه ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد النهي
عنه فينتقم الله منه فهو ينتقم خبر مبتدأ محذوف فهو ينتقم الله منه ولذلك دخل الفاء
ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الاخرة واختلف في وجوب
الكفارة على العائد وعن عطا وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه
كافة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم
يذكر الكفارة صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من
صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه
وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه
على ان تفسير الاية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول
له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تع ووهبنا له اسحاق
ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة
مختص بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم تأكلونه طريا وللسيارة يتزودونه
قديدا كما تزود موسى عليه السلم الحوت في مسيره الى الخضر وقري وطعمه وحرم عليكم
البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شي يقع عليه اسم الصيد

وهو

وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده
الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة
واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله فان قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم
قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما
ظاهره انه حرم صيد البر على المحرمين دون غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم
عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه صيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم
صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام جعل الله الكعبة البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجي الصفة لذلك قياما للناس انتعاشا
لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم
لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطا بن ابي
رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى
فيه الحج وهو ذو الحجة لان اختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شان قد
عرفه الله تع وقيل عني به جنس الاشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا
وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة
قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله
يعلم كل شي وهو عالم بما يصلحكم ويعنتكم بالامر به وكلفكم شديد العقاب لمن
انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في
ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت
الحجة عليكم ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط لا يستوي الخبيث والطيب
لعبيد عند الله وان كان قربا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته
على الطيب القليل وان ما توهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان
في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح
المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله واثروا الطيب وان قل على
الخبيث وان كثر ومن حق هذه الاية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة
كما قيل سعيد ان سعد كثيرة ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا لا يغرنك عدد عن دهائهم
فان جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون
ان يوقعوا بهم فنهوا عن ان يوقعوا بهم وان كانوا مشركين والجملة بالشرطية والمعطوفة
عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة

صفة للأشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوا عن تكاليف شاقة عليكم
إن أفتاكم بها وكلفكم إياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك
نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا
كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال عليه السلام ويحك وما
يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم
فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإن تسألوا عنها حين
ينزل القرآن وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام
الرسول بين أظهركم يوحى إليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسوؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون
أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عنكم عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا
إلى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فإن قلت كيف قال لا تسألوا
عن أشياء ثم قال قد سألها ولم يقل سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع
إلى أشياء حتى يجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني
قد سأل هذه المسألة قوم من الأولين ثم أصبحوا بها أي بمرجوعها أو بسببها كافرين
وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا
كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها
وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان
يقول الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وكان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا
عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت
من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا
مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك الأمر بالتحريم والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم
ما حرموا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم إلى الله
حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا
ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما [illegible]
يعرف هديه [illegible] بالحجة كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو
والعناد من الكفرة الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر

خ في رواية محصن

معاصيهم

معاصيهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية
بينهم وبينه وعن ابن مسعود أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم
مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم
أنفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه
ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها السيف والسوط والسجن
وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما
رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك
نفسك ودع أمر العوام وإن من ورائكم أياما الصابر فيهن كقابض على الجمر للعامل منهم
أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت آباءك
ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم
ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه
وجهان أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبي حيوة لا يضيركم وأن يكون جوابا
للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة
والأصل لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من
ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدأ بحذف من الذي هو شهادة بينكم
على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فرض
عليكم أن تشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب
والتنوين على ليقم شهادة اثنان وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه
وفي إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن
يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ
الأجل منكم من أقاربكم ومن غيركم من الأجانب إن أنتم ضربتم في الأرض يعني إن وقع
الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية
وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بحال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم
من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على
المسلم وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن
مكحول نسخها قوله وأشهدوا ذوي عدل منكم وروي أنه خرج بديل بن أبي مريم
مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تاجرين

الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى
ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال
منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا
فرفعوهما الى رسول الله فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من
بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او بعد الظهر لان
اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله
صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة
فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة
العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما
فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد
بهما الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي عليه السلام انه كان يحلف الشاهد
والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة
القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان المقسم
له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت
قوله تع كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة
الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم
ابتدا بقوله الله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض همزة الاستفهام منه وروي عنه
بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه حرف
الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح
حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادا لولى فان قلت ما موقع
تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان
ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة
قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت
في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون اللام
للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا في النطق
بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع
انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان
آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت
وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه

من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين
حلف رجلان من ورثته وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان
وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي
من الذين استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ
الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرورا او منصوب على المدح ومعنى الاولية
التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه
على المدح وقرئ الاولان ويحتج بذلك من يرى رد اليمين على المدعي وابو
حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين
انهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشرى فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين اختانا المال ثم
على الورثة لانكارهم الشرى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على
البنا للفاعل وهو ابي وابن عباس قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان
من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك
الذي تقدم من بيان الحكم ادنى ان ياتوا بالشهادة على نحو تلك الحادثة بالشهادة
على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا
بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا اسمع اجابة وقبول
يوم يجمع الله الرسل بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال
كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق
الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينتصب باضمار اذكروا ويوم يجمع الله الرسل كان كيت
وكيت وماذا منتصب انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد
الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال
الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا
قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته
بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجأ الى ربهم والانتقام منهم وذلك
اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي ح
انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة
قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ما فعل بك هذا الخارجي
وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر

علم لطائف لما كانوا عليه واظهار التشكي وتفظيع الحال ببرمته وقيل من هول ذلك اليوم
يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على
اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات
لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكان الاظهر لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا
بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه
زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك
انت اي اذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكفرة يومئذ
بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات العظام والمعجزات هذا سحر
مبين وغلا بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ ايدتك
بروح القدس الكلام الذي يحيا به وكهلا الا في المهد فيه دليل على حصول الطفولة
وقيل انه روح القدس جبرئيل صلوات الله عليه اي به تثبت الحجة فان قلت ما معنى
قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت
كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ
الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء والتوراة والانجيل خصهما بالذكر لما تناوله
الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة الكتاب الخط والحكمة الحكم الشرعي
كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها
صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها
المصدر في فتكون وتخرج الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وامراة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال
الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع
كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات واذ اوحيت الى
الحواريين امرتهم على السنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى بن مريم النصب
على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز ان
يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله يا حار بن عمرو كأنهم لان الترخيم لا يكون الا في المضموم
فان قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم قلت ما وصفهم
الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه بقوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم
كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين
معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام اتقوا الله معناه لا تشكوا في اقتداره واستطاعته
ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم

مومنين

بالكلام الذي يحيي به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من الاوزار والدليل عليه قوله تكلم الناس وفي المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا صح

لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك صح

مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال
ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان
اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه
ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل
او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية عاكفين عليها على ان عليها في موضع
الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل
عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم
بالياء على البناء للمفعول وتعلم بالتاء والفعل للقلوب اللهم اصله
يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم ربنا ناداه ثانيا تكون لنا عيدا اي يكون
يوم نزولها عيدا وقيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور
العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرئ
تكن على جواب الامر نظيرها يرثني بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا
من اهل ديننا ولمن ياتي بعدنا وقيل ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم ويجوز
للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا واخرانا والتانيث بمعنى الامة والجماعة
صحة نبوتي والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى
لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت غمامة فوقها واخرى تحتها
وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني
من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف
عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك فقام
عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير
الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن
وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا
ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله
لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي
كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم
لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن
الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها
نزلت سبحانك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول ما ليس لي بحق

ولك بالنبوة صح

وقرئ لاولنا واخرنا بحق صح

سفرة حمراء بين غمامتين صح

تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول واذا خمسة ارغفة على واحد منها صح

ان اقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه وقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا يقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما معنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذا اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله ربي وربكم فان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت فكيف تصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به حتى ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكافرين فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان قال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعقاب وان غفرت لهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدا والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرا الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله

حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا

بالرفع والاضافة صح

واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون صح

بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى صح

وعدكم

وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى عليه السلام فكان صادقا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت ... في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غير عاقل فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات

سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلنا كل ... والجعل ... فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين كفروا قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدا النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي

في السماء الكرة وفي الارض الكه   هو المعني وهو المعبود فيها او هو المعروف بالالهية او المتوحد
بالالهية فيها او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون
الله في السموات خبرا بعد خبر على معني انه الله وانه في السموات والارض بمعني انه عالم بما
فيهما لا يخفى عليه منه شي كان ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم
قلت   ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي
استوي في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدا
بمعنى وهو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه
ويعاقب من في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم
دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنه
معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم
وتدبرهم بالعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا
كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو
الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف
ياتيهم انباء الشي الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره
واحواله بمعنى سيعلمون باي شي استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع
استهزاء وذلك عند نزول العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند
ظهور الاسلام وعلو كلمته   مكناه في الارض جعل له
مكانا فيها ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له اولم نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته
فيها ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى
لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة
في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى
السحاب او المطر والمدرار المغزار فان قلت اي فايدة في ذكر انشاء
قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب
بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف
عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم على الرؤية
لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين
تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الامر لقضي امر اهلاكهم   طرفة
عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شي ابين منها

وايقن

وايقن   كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب
المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم
واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى
ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر   جعلناه و
لان مفاجاة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا
كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر
مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل
جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة
في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون
اذا راوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل
على اني ملك اني جيت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا
محمدا فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز
ان يراد ولبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات
الله وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرا الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد
ولقد استهزئ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم
بالشي الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء
به فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت
جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا
تسيروا سير الغافلين واما قوله سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير
في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على
ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح لمن ما في السموات والارض سؤال
تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون
على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب
الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ونصب بهم اوعدهم
على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على شي بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة
فيجازيكم على شرككم وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع على الذم
اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فان قلت كيف جعل
عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم
في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار

من السكنى ويتعدى به كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو
السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شي مما يشتمل عليه الملوان
اولي اغير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غيره
وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد آلله اذن
لكم وقري فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر وعن
ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير
فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق
كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها
من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقري ولا يطعم بفتح اليا وقري بن المامون
عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير
لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه
وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت
ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك
هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق
امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى
سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من
المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب
يومئذ فقد رحمه الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه
فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم
يعذب لم يكن له بد من الثواب وقري من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى
من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هو له فقد رحمه يعني من يدفع الله عنه
ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه
ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه يعني من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من
المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب
ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي ومن يصرف الله عنه
ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وينصر هذه القراة قراة ابي من يصرفه الله عنه
وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر وغير ذلك من بلاياه فلا قادر على
كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شي قدير فكان قادرا
على حفظه وادامته فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم
قاهرون

قاهرون والشي اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجسم
والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله تعالى شي لا كالاشياء كانك
قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة
فوضع شيا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون
تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدي شهيد بيني وبينكم
اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته
على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بيني وبينكم فاكبر شي شهادة شهيد له
ومن بلغ عطف على ضمير وعن سعيد ابن جبير من بلغه القران فكانما راى
محمدا ائنكم لتشهدون تقرير لهم مع استنكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم
الذين اتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله
بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة
اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن
اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا
على الله ما لا حجة به عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح
حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا
قالوا والله امرنا بها وقالوا الملايكة بنات
الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحاير والسوايب وذهبوا
فكذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا ولم يومنوا بالرسول
ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام
الذي هو ادخل في التخويف اين شركاؤكم اي الهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله
الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقري يحشرهم
ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم
الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم
وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجا
فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم يكن عاقبة كفرهم الذي
لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين ابائنا الا جحوده والتبرؤ
منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان
قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقري تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا

لو وقع الكذب منهم لما كانت فتنتهم وقرئ بالياء والنصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع
الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترون اي
يفترون الالهية والشفاعة فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق
الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا
ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا
فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا
ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين
عند انفسنا وما علمنا انا في خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على
انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام
لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو
ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم
الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون
بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم
في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان
والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول حين كذبه
الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية
فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة في القلوب
والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم من قبوله واعتقاد صحته ووجه
اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول
عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ الحسن وقرا بالكسر حتى اذا جاؤك يجادلونك
هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك
في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم
ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ
تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون
ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب
وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه والايمان
به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون الا انفسهم

ولا

ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وقيل هو ابو
طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به
وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله سوءا فقال والله لن يصلوا
اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر
بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذاري
سبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى
لرأيت امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها
اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على
كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا
نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن
لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقوله دعني
ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على
معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني
فان قلت يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت
هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت
الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى
الواعد فلو رزق ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني
الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار
ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا
لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم
عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل
هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب
وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا الى الدنيا
بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم لا يوفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا
ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان
يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء هم
الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم

جاز على الحبس للتوبيخ والسوال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل
وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قايل قال ما
ذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله
لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق
وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الاخرة وما يتصل بها وقد
حقق الكلام فيه في موضع اخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له
اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجي الساعة فان قلت اما يتحسرون عند
موتهم قلت لما كان الموت وقوعا في احوال الاخرة ومقدماتها جعل من جنس
الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلعم من مات فقد قامت قيامته
او جعل مجي الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجاءة
وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة
من طنا فيها الضمير للحياة الدنيا جي بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة
او للساعة على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما يقول فرطت في جنب
الله يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل
الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي ساء ما يزرون بيس شيا يزرون
وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا
يعني وما لا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة وقوله للذين
يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عباس ولدار
الاخرة افلا يعقلون بالياء والتا قد نعلم بمعنى ربما الذي يجي لزيادة
الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله الهاء في انه ضمير الشان
ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك
قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده
كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا
يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود اياته فاله عن حزنك لنفسك
وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك
لجحود ايات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض
الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل
فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون ايات الله

وعن ابن عباس كان رسول الله صلعم يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شي ولكنهم كانوا يجحدون
وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق وانما نكذب ما جيتنا به وروي
ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس
عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب
بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لساير قريش وقرئ ولكن الظالمين
من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت
تسلية لرسول الله صلعم وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه
وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا
على تكذيبهم وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم
وقصصهم وما كابدوا من مصادرة المشركين كان يكبر على النبي صلعم كفر قومه واعراضهم
عن ما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك
اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض
حتى تطلع لهم اية يؤمنون بها او سلما في السماء فتاتيهم منها باية فافعل يعني انك لا
تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع
ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا
يقترحون الايات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان
استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله
حتى ياتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض
او السلم في السماء هو الاتيان بالاية كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت
الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك اية يؤمنون عندها
وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا
تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما
يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى
الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم
الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم
القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هولاء الموتى بالكفر ان يحييهم
بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهولاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه

يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون
بفتح الياء لولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف
وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تانيث اية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا
ذلك مع تكاثر ما انزل من الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل
عليه كانه لم ينزل عليه شي من الايات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل
اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او اية ان جحدوها
جاءهم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الاية وان
صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها امم امثالكم مكتوبة ارزاقها واجالها واعمالها
كما كتبت ارزاقكم واجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح
المحفوظ من شي من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم
الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها
من بعض كما روي انه ياخذ للجماء من القرناء فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد
الدابة والطاير قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طاير دالا على معنى
الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى
فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طاير الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله
في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما
من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طاير قط في جو السماء من جميع
ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت فما الغرض
في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره
تلك الخلايق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها
مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين
بذلك دون من عداهم من ساير الحيوان وقرا ابن ابي عبلة ولا طاير بالرفع على
المحل كانه قيل وما دابة ولا طاير وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف من ساير الحيوان
وقرا ابن ابي عبلة ولا طاير بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طاير وقرا
علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا
قلت لما ذكر من خلايقه واثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته
قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون
في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم
من اهل الطبع من يشاء الله يضلله اي يخذله ويخله ... وضلاله لم يلطف به لانه ليس من

امر

اهل اللطف ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه
ارايتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك
زيدا ما شانه وهو حاصل من الفعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم
عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى
تخصون الهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها
بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما
تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون
وتتركون الهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده
اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله
تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان
علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم
الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف
المشية وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا
يفعل لوجه اخر من الحكمة ارجح منه البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء
القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا
اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم
ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل
فلم يتضرعوا اذ جاءهم ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع
الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما
ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا
عليهم ابواب كل شي من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي
الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه
حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير
انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون
متحسرون ايسون فقطع دابر القوم اخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شافتهم
والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل
النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم
ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم ياتيكم به اي
باتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه وعن ... او بهما

وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون وقرئ
هل يهلك بفتح الياء الا مبشرين ومنذرين من آمن منهم بما جاؤا به واطاعهم ومن
كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى ويقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم
بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كانه
حي يفعل بهم ما يريد من الالام ومنه قولهم لقيت الامرين والاقورين حيث جعلوا
جمع العقلاء وقولهم اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي لا ادعي
ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق
وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله
واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع
من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير
من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان
يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال
وهو الالهية والملائكة افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا
اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه فان
قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي
خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا
القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا
اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم
بما اوحي الله لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما
اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون
اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون
المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع
الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من
هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين
من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم
وان لا يطيع فيهم من اراد فيهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء
ربهم عبادته ويواظبون عليها والمراد بالغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون
الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر
به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخبيب وسلمان واضرابهم وارواح
جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام
ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمت فاقعدهم معك
ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال لو فعلت
حتى ننظر الى ما ذا يصيرون فالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي
ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وصهيب فينا نزلت
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم
عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني
ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم
من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم
فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه
الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك
الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم
عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء
حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة
جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب
صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم
حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي
فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه
التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك
فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان
المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم
بالتوفيق لاصابة الحق ولما سعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء
وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون امثالهم على الحق ونحوه المعنى الذي عليه من بيننا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان
افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم

بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره
فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما
ان يكون امرا بان يبداهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على
نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم
وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح
على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما
انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو
من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على انها قالت
عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من
المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته
وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سالوا ولم يعلم انها مفسدة
وقرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب
الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل
ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين
من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترجى منه امارة القبول وهو الذي
يخاف اذا سمع ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم
فتعامل كلا منهم بما يجب ان تعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت
عما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون
الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم
اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل
وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق
ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم وما انا من الهدى في شيء يعني انكم كذلك
اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم
حيث اشركتم به غيره فقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا
عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك
وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستاصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب
الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تاخير عذابكم
يقضي الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التاخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين
اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره لو ان

عندي

عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين
وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي
وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل البيان او القرآن
فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء
الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اي صنعها اي يصنع الحق ويدبره
وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت اتباعا
للخط اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح
يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها
وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها
غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن
والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط
من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها
لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او
اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون
معطوفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين
كقوله لا رجل منهم ولا امراة الا في الدار وهو الذي يتوفيكم بالليل الخطاب
للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم
من الاثام فيه ثم ~~يبعثكم~~ فيه ثم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم
به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم
دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكا
وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل لفظ يلفظ به من فوائد العلم حتى
قال قيل شبيه بحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذه الحفظة مما
يكتب عن الاصمعي كل لفظ فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملك فما فائدتها
قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم
اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس

الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا
اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل
الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين
وقرئ توفاه ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا بحذف تاء تتوفاه ولا يفرطون بالتشديد
والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون
مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم الذي
يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره
وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك
الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد
يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما
يشفقون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا
كشف الله عنهم الخسف والغرق فيخلصون من ظلماتها لئن انجيتنا على ارادة القول من
هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم
والكسر هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم
كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وعلى قوم نوح الطوفان او من تحت
ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم
وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات
او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى
خلطهم اي ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت بها يدي وعن رسول الله سألت الله
ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته
ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر
ابن عبد الله لما نزلت من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزلت ومن
تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون وفي الاية الوعيد باحد اصناف
العذاب المعدودة والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لابد
من ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب
اجبارا انما انا منذر لكل نبأ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم
به مستقر وقت استقرار وحصول لابد منه وقيل الضمير في به للقران يخوضون في
اياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم

فلا

فلا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينكم الشيطان
وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان
تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك
قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد معهم بعد الذكرى
بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم
من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن
عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم
وموعظتهم لعلهم يتقون يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون
الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها
وروي ان المسلمين قالوا ان كنا نقوم كلما استهزؤوا لم نستطع ان نجلس في المسجد
الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا
على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان
يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم
يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به
لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر
والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة
ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها
دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا
حيث سخروا به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه
ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا
ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس مخافة ان
تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع
المسلم قال وابسالي بني بغير جرم ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه
فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء
والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل نصب على المصدر
وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضميرا لعدل لان العدل ها هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما
في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين

دينهم لعبا ولهوا وقيل نزلت في ابي بكر حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان
قل أندعو من دون الله الصنم النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا يضرنا ونرد على
أعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ هدانا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته
الشياطين كالذي ذهب به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا
عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوي اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى
الى ان يهدوه الطريق المستوي او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا
وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبني على ما يزعمه العرب وتعتقده ان
الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه
به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت
اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن
يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله
كالذي استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انكص مشبهين
من استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في الارض
اذا ذهب فيها كان معناه طلب هويه وحرص عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب
عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول
وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا
اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر فكيف قيل
للرسول قل اندعو قلت للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلعم والمؤمنين خصوصا
بينه وبين الصديق فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موضع لنسلم
كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا
اي للاسلام ولاقامة الصلوة قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه
على الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات
والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله
الحق والحكمة اي لا يكون شيء من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب
ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق
فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق
وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون
ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح آزر اسم ابي ابرهيم وفي كتب
التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وفالغ

وشالخ

وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل
آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب
بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزا في قبائلها كان اسماء
اضحت بعض اسمائي
او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ءازرا تتخذ اصناما آلهة
بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم
ومعناه اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا
وهو داخل في حكم الانكار ~~[illegible]~~ [illegible] كما بيان له فلما جن عليه الليل عطف
على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة بين المعطوف
والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت
السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا
صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين
فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام
والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم الى طريق
النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون
الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا
دبر طلوعها وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قول من ينصف
خصمه مع علمه بانه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك
ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الآفلين
لا احب عبادة الارباب المتغيرين من حال الى حال المتنقلين من مكان الى
مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام بازغا مبتدئا في الطلوع
لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في
الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا اكبر من باب
استعمال النصفة ايضا مع خصومه اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركاء
لخالقها اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات
عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه
لقوله اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم بالافول
وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع
اختفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت
جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم

يكن منهم الآن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث
الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كانت العلامة ابلغ احترازا
من علامة التانيث وقرئ ترى ابرهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه
تبصره دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجوني وكانوا يحاجونه في توحيد الله
ونفي الشركاء عنه منكرين ذلك وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به
وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشية ربي شيئا
يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا
مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال
المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على
مضرتي وسع ربي كل شئ علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف
بي من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف
اخاف لتحقيقكم ما اشركتم وهو لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون الا ما يتعلق
به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح
ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون
على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية
نفسه فعدل عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ان كنتم
استئناف لجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا
ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك اشارة الى جميع ما
احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى
آتيناها ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم
والحكمة وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير لنوح او لابرهيم وداود عطف على
نوحا او هدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا
بعض آبائهم ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم
في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك آتيناهم الكتاب يريد به الجنس فان
يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها المذكورين
ومتابعيهم بين قبله قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبين قبل وصل
قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي وكل من آمن به وقيل كل مؤمن
من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار انها فيهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم
بها انهم وقفوا لله ايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده

وتحافظ

ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تاكيدا للنفي فبهداهم اقتده فاختص
هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في
الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى ما لم
تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده
تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا
الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا
بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه
حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون بهم اليهود بدليل
قراءة من قرأ يجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة
في انكار القرآن على محمد انه قالوا ما انزل الله فالزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة
على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء جهلهم بكتابهم وتحريفهم وابداء
بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه
وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء
وروي ان مالك ابن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله
انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت
الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت
الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا
عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون
قريش وقد الزموا بالتوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة
وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا
آباؤكم خطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد مما اوحى الله ما لم تعلموا انتم وانتم حملة
التوراة ولم يعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على
بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله
لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك
ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك بعد الزام الحجة يقال
لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم
ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون او يكون صلة له او لذرهم مبارك كثير
المنافع والفوائد مصدق الذي معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق

مما تقدمه من الكتاب والاثاره وفري لنتبيلها بالكتاء وسميت مكة ام القرى لانها مكان
البيت وجمع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا
وليعض المجاورين
ملقى رحالي ومنتابي   ثمن يلوح في بعض القربات فرحله فام القرى
والذين يؤمنون بالاخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون
بهذا الكتاب وذلك ان اصل الذين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى
يؤمن وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة
على اخواتها لغوى على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي رايت
فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبر على فاهماني فاوحي الي ان انفخهما
فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب
صنعاء الاسود العنسي لعن النبي صلعم ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله بن
سعيد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلعم فكان اذا املى عليه سميعا عليما
كتب عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من
سلالة من طين الى اخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله
احسن الخالقين فقال عليه السلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله فقال لئن
كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال
فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزئون
ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم
من اليهود والمتنبية فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء
لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت
للشدة الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من
اجسادكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق
من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم يبسط يده الى من عليه
الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة
ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا
انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريد وقت
الامات وما يعذبون به من شدة النزع وان يريد الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم
فيه العذاب في البرزخ والبعث والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك
رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن اياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى

منفردين

منفردين عن اموالكم وما حرصتم عليه وما اثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم
انها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم
لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين
دعوهم الهة وعبدوها فقد جعلوا لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين
وفرادى مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت في
محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل خلقنا لكم لقد تقطع بينكم لقد تقطع وقع
التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره
بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند   الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم
وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم   والنوى عن مجاهد
اراد الشقين اللذين في الحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف
والبيض والحب والنوى ويخرج هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت
كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت
قلت عطف على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت   موقع
الجملة المبينة لقوله تع فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر
النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله
يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية
فانى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره والاصباح مصدر سمي به
الصبح وقرئ بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افنى رباحا وبني رباح تناسخ الامسا
والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الاصباح
والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في اخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح
والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره
وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق فان قلت فما معنى
الفجر سببا وقبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرئ
الصبح فالق الاصباح وجعل الليل سكنا ما سكن اليه الرجل واطمأن استيناسا به واسترواحا
ما اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستانس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل
يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل سكنا في قوله
لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئ بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل

اي وجعل الليل والشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل محل
الاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه بمعنى المضي ولا تقول زيد ضارب
عمرو امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك
فالق الحب وفالق الاصباح كما يقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان ويجر عطف
على الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا
اي محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب
الاوقات تعلم بدورهما وسيرهما والحسبان مصدر حسب كالغفران والحسبان بالكسر مصدر حسب
ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب
المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات
البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافتها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات
الطرق بالظلمات من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدر ومن
كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فمنكم مستقر في الرحم ومستودع
في الصلب او مستقر في فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع
فان قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني ادم قلت كان انشاء
الانسان من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا
فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به نبات
كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات
صنوف مفتنة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور
وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا
حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه
كانه قال وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا
عليه تقديره ومخرجه من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان
قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم
القاف وفتحها على انه اسم جمع كركب لانه فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة
المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها
القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر
ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر ودل بذكر القريبة على ذكر البعيدة
كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد ثم جنات من

اعناب

اعناب فيه وجهان ان يراد ثم جنات من اعناب او مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على
معنى وحاصلة ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب او مع النخل والثاني ان يعطف
على قنوان على معنى وحاصلة اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات
كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن
ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل الصفتين او غير متشابه وتقديره
والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى
بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم وذلك دليل على التعدد دون
انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره وكيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع وانظروا الى حال
ينعه ينعه ونضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ونفع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال
على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة
ينعا وينعا وقرئ ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصب
الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول
فان قلت ما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا
او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل
من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم
كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار
وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء وعلموا ان الله خالقهم دون الجن وليس يمنعهم علمهم ان يتخذوا
من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني
وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا
له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول
قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه
فقال كلمة عربية كان العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له
بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات
وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وحرفوا له
بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة
ما قالوه من خطاء او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع
السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقوله فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو
بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيها

نعارت تقسيم الشيا وتشابها كقوله متشابها ومتساويا والاشتعار والتعلم مشتركان كبيرا ورئي متشابها وغير متشابه

وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتداء وخبره انى يكون
له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح
وفيه ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة
لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون
جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد
وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه
ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد
انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد
ولد الاحتيطل ام سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما
بعده اخبار مترادفة وهو الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات
فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق
بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل
يعني هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال الابصار
الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات والمعنى ان الابصار
لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يبصر في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في
جهة اصلا او تابعا للاجسام والهيئات وهو يدرك الابصار وهو اللطيف ادراكه
للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان
تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا يلطف عن ادراكه وهذا من
باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله لقوله وما انا
عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر
اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر
فمن ابصر الحق فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر
بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ
عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست وقرئ دارست
اي دارست العلماء درست بمعنى قدمت هذه الايات وعفت قالوا اساطير ودرست
بضم الراء اي درس اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت
ودارست وفسروها اليهود محمدا ودارسات لان الشهرة بالمدارسة كانت لليهود عندهم
ويجوز ان يكون الفعل للايات وهو لاهلها اي دارس اهل الايات وحملتها محمدا الكتاب ودرس

اي بهتيل الشاعر ولدت الاحتيطل ام سوء ابن الجوهر موصوف بشي وهو فاعل ولد يجب تانيث الفعل لان تانيث الفاعل اذ لا يقال قام هند بل قامت هند لانه تانيث حقيقي ولكن لما وقع الفصل بين الفعل والفاعل جاز تذكير الفعل وان كان الفاعل مونثا حقيقيا

درس

درست وقرئ دارسات على اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية فان قلت اي فرق
بين اللامين في قوله وليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك
ان الايات صرفت للتبيين ولم يصرف ليقولوا ولكن لما حصل هذا القول بتصريف الايات كما حصل
التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله
ولنبينه قلت الى الايات لانها في معنى القران كانه قيل وكذلك نصرف القران او الى
القران وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر للفعل كقولهم
ضربته زيدا ويجوز ان يراد فبين قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته ويرجع الى
الكتاب المقدر لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون
حالا من ربك وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا الالهة الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك وقيل كان
المسلمون يسبون الهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الالهة حق
وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها مفسدة
فتخرج من ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن
المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب
النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما
حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع
ذلك في ديننا قلت هذا ليس مما نحن بصدده لان حضور الرجل الجنازة طاعة وليست
بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الالهة
وانما خيل الى محمد انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا
بضم العين وتشديد الواو ومعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعن
ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك
زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم
وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه
في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاقبهم لئن جاءتهم
اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها
الا على موجب الحكمة وانما الايات عند الله لا عندي فكيف اجيئكم بها واتيكم بها
وما يشعركم وما يدريكم انها ان الايات التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا
اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون

في ايمانهم اذا جاءت تلك الايات ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يشعركم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون
على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا
به اول مرة [illegible] يعني لعلها من قول العرب ايت السوق انك تشتري لحما اي لعلك وقال امرؤ
القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام وبفتحها قرأ
لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم
ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل
لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم
يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن
وغيره من الايات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على
لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم يعني وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا
نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون
الحق كما لم يؤمنوا به اول مرة اي اياتنا اول مرة [illegible] لكون قلوبهم مطبوعا على قلوبهم
ونذرهم في طغيانهم يعمهون اي نخليهم وشانهم لا نكفهم من الطغيان حتى
يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم لله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم
وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا
الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بابائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اي مقابلة وقرئ
قبلا اي عيانا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون
بالله جهد ايمانهم على ما لا [illegible] من حال قلوبهم عند نزول الايات او ولكن اكثر
المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم واذا جاءت
الايات المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك
فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم [illegible] من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب
ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على
انهما مفعولان وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان
الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان
الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء
على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك
اي ما عادوك اي ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم
ولتصغى جوابه محذوف وتقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة

ويقتضيها

ويقتضيها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما يرجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الى
ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا
ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب
حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز
مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء
ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم
وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن
من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق
ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان تكون فلا تكونن خطابا لكل واحد على معنى
انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل
الخطاب لرسول الله خطاب لامته وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى
ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو
اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل
هي القرآن وان تطع اكثر الناس يضلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال ان
يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون
يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ من يضل
اي يضله الله فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون
الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله
احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله
عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر
اسم الله عليه هو المذكى باسم الله وما لكم الا تاكلوا اي واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد
فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ
فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو لله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم
عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها
اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ظاهر الاثم وباطنه
ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت
وباطنه الصديقة في السر ولا تاكلوا [illegible] الفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل
عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم
يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل

مما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تاوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه
لقوله او فسقا اهل لغير الله به وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم
بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة وان اطعتموهم انكم لمشركون
لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل
مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وكان ابو
حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي فيهما مثل الذي هداه الله بعد
الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال
بمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من
بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا
يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي
قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل
الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار زين للكافرين
اي زينه الشيطان او الله عز وعلا على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن
وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها
وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم
وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم روي ان الوليد ابن المغيرة
قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي
ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا قالوا منا
نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت وإذا
قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان الله
لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه سيصيب
الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الدارين
من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان
يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه
نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي
لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الالطاف حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق
وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح

وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما
يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرأ
عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد
كذلك يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من
الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وهذا صراط ربك مستقيما وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق
والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
لهم لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار
السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى
او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم
مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما
كانوا يعملون ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم اي ويوم نحشرهم
قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته الجميع
لمن نحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم
منهم وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود
واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض اي الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى
اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم
في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي
يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع
عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام
اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام
لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله
الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي الزمهرير
انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون
ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه
انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت
وقد علم انه لا يشاء الا التشفي به باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا

شيء من اشد الوعيد مع تهكم بالوعد لكن وجه في صورة المنشا الذي فيه اطماع ان ربك حكيم عليم لا
يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد نولي بعض الظالمين بعضا
حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او يجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة
وقرناءهم كما كانوا عليه في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا من الكفر والمعاصي يوم لقيتهم
الى حيث التي بيع الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر
الاساءة الى الشياطين وبخس المكيال والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله
املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن ومثل قوله ظاهر الاثم وباطنه
الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن
ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية
والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان
ذلك لمراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ
الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه اي شهادة
وغيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في القول وينقص ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين ذلكم وان هذا صراطي مستقيما ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء
ضمير الشان والحديث وقرا ابن عامر وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي
مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية
والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله
عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بكم بادغام التاء وروى ابو وائل عن
ابن مسعود عن النبي عم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد فاتبعوه وعن ابن عباس
رضي الله عنه هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء من الكتب وقيل انهن ام الكتاب من
عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده
ان هذه الايات لاول شيء في التورية فان قلت علام عطف قوله ثم اتينا موسى الكتاب
قلت على وصيكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل
قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على
ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما
للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه
قراءة عبد الله على الذين احسنوا واراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي

الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع
من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرا يحيى بن يعمر على الذي
احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدا كقراءة من قرا مثلا ما بعوضة بالرفع اي على
الدين الذي هو احسن دين وارضاه وايتاء موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه
الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب
على احسنه ان تقولوا كراهة ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يريد اهل التورية واهل الانجيل
وان كان ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل
وانه كنا عن دراستهم لغافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف
مثل دراستهم كنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك حفظنا ايام العرب
ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرئ ان تقولوا او
تقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرا يقولوا على لفظ
الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد
جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احسن الحذف فمن اظلم ممن كذب بايات الله تعالى
عرف صحتها وصدق بها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي
الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بدليل قوله او العذاب او ياتي ربك يريد ايات
القيمة والهلاك كله وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك
وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلعم فقال ما تذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونارا تخرج من عدن لم تكن امنت من قبل
صفة لقوله نفسا وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة
اذا جاءت وهي ايات ملجئة مضطرة في قرآن التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ
نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الايات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم
يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي امنت
في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين امنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين
لا ينبغي ان ينفك احدهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا
انا منتظرون وعيد وتهديد ان تاتيهم الملائكة بالبكاء والتباكي وقرائن
لا ينفع بالنسبة لكون الايمان مضافا الى تمام الموت الذي هو بعضه كحق تلك ذهبت بعض
اصابعه وتوقف فيهم لتنكسف كما اختلفت اليهود والنصارى في صحيح الحديث افترقت اليهود

على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا الواحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين
وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا الواحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية
الا الواحدة وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا
شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من
عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف عشر امثالها اي اقامة صفة الحسنة مقام الموصوف
تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد
من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات
فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقصون ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على
البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما
والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر
بمعنى القيام وصفه وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابراهيم قيل ان صلاتي
ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله
فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما اتيه في
حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه
وبذلك امرت من الاخلاص وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته
قل اغير الله ابغي ربا حال باعتبار حاجتهم له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكر
ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء ذلك فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية
غيره كما قال قل افغير الله تامروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم خلائف الارض كان محمد صلى الله عليه واله خاتم النبيين فخلفت
امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او يتم خلفاء الله في ارضه يملكونها
ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والرزق ليبلوكم
فيما اتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون هكذا هذه النعمة وكيف تصنع المتصف
بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر بنعمته
وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو ات قريب
عن رسول الله صلى الله عليه واله انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون
الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك
السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة تمت تمت تمت تمت

سورة الاعراف مكية ثمان ايات وسلهم عن القرية الى دار وهي مائتان وخمس ايات وقيل ست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا
يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك
حرجا لان الشاك يضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا
تشك في انه منزل من الله وحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم
عنه واذاهم فكان لضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة
بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك لتنذر به او
بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على
الانذار ولان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت ما محل ذكرى
قلت يحتمل الثلاث فالنصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا
لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطف على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف
والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله
فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا
ما انزل اليكم من القران والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا
تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء
والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن ادم
امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد ما نزلت اية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما
معناها وقرا مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا
ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء
قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف
التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا
وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها باسنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين
يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة او هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه
قال فجاءهم باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو
الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة
فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم
قائلون فان قلت لا يقال جاء زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون
قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد

جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر
قد تلبس بالاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع
حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا
او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت ما معنى
قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا
اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان البيات ووقت
القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم
لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم
ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كانوا
عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم
دعواهم يا لكعب ويجوز ان يكون فما كان دعواهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان
الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم
ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم
ارسل مسند الى اليهم والجار والمجرور هو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم
عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين
عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على
الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم
وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان
يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم
وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها
وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل
الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن
فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر اليه الخلائق تأكيدا
للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم
وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد
كما تثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي
والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة
التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان
توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف بآياتنا يظلمون يكذبون

بها ظلما كقوله فظلموا بها مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم فيها
واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم
والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز تشبيها
بالصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه بعد
ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم من الساجدين ممن سجد لادم لا في
الا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم
اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت فما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي
تدخل فيه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود
وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما
لا بد لك منه فان قلت لم ساله عن المانع من السجود وقد علمه قلت للتوبيخ
ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل ادم وانه خالف امر ربه
معتقدا انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن
الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول
منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على ادم وبفضله فعلم
فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي انكار الامر
واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة
كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين
من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك
ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان
على الله وعلى اوليائه لتكبرك علي كما يقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده
قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع
رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى
الارض فان قلت لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت
لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في
الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات
ليمتحن به عباده فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع
به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن ادم انفسا ومناصب وعن الاصم
امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في
اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم تعلق الباء فان تعلقها بلاقعدن

يصد عنه لحكم القسم لا يقول والله بزيد لأمرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره
فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم
اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله
لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاووس
انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاووس
لتقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس لعنه الله
افقه منك قال رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما اظنك تقوم لنا مثلا
على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان يغفروا الا الكاذب على الرسول والصحابة والتابعين
وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل
حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه قيل غوي الفصيل اذا
بشم والبشم الفساد لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام
كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله
عسل الطريق الثعلب وتشبيه الزجاج يعني لهم ضرب زيد الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين
آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتغرب فعصاه
فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك
فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل
لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم
بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم
ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول
فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية
في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها
فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعلى شماله قلنا معنى على يمينه
انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه اي جلس متجافيا
عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرناه
في تعالى ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس
لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك
قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه
لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من

صباح

صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن
شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما
من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم
شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة
باخبار الله لهم مذؤما من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول
في مسؤول واللام لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب
الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة
عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن
جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا
يا آدم وقرئ هذي الشجرة وهو الاصل لان الياء والهاء بدل منها فوسوس الوسوسة الكلام
الخفي المكرر ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب
ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي
تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه
ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا
وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع
مستقبحا في العقول فان قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة
كما في اويصل قلت لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله اوري
بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية
بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها دونها وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى
من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ سوتهما
بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فان
قلت المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته
وتقاسما تحالفا ومنه قوله تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما
لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم
لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد
المقاسم ومن رأى لهما طاعة وحسن صلاة اعتقه وكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل
لهم انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة

طعمها أخذا في الأكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما
تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما
من الآخر وعن عائشة ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما
من جنس الأظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال أطفق
يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ أبو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق
ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما تخصف النعل بأن تجعل طرقة على طرقة وتوثق
بالسيور وقرأ الحسن يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق
التين ألم أنهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يحذرا ما حذرهما
الله من عداوة إبليس ويروى أنه قال ألم يكن لك فيما منحتك من شجر
الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا
من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك
ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث
وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما وإن كان صغيرا مغفورا ظلما لأنفسهما
وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الأولياء والصالحين في استعظام الصغير
من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وإبليس
بعضكم لبعض عدو في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه مستقر
استقرار أو موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش إلى حين إلى انقضاء آجالكم وعن
ثابت البناني لما أهبط آدم حضرته الوفاة أحاطته الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم
فقال لها خلي ملائكة ربي فإنما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة
بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له لحدا ودفنوه
بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وجعل ما في الأرض منزلا
من السماء لأنه قضي ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج والريش لباس الزينة
استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري
سوآتكم ولباسا يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال
وقرئ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع
والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قيل
ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر وإما
المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة
من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى وأن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة

من

من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى
ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس
من الدروع والجواشن والمغافر ونحوها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا
على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني إنزال اللباس
لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب
ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما في العري
وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى لا يفتننكم
الشيطان لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال
أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا أنه يراكم هو وقبيله تعليل للنهي وتحذير من فتنته
بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار
إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه
دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم
وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي
خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي
وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإن قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في
يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه
وجهان أن يعطف على اسم إن وأن تكون الواو بمعنى مع وإذا عطف على اسم إن وهو
الضمير في إنه كان راجعا إلى إبليس الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها
اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم أن يفعلوها وكلاهما
باطل أي العذرين لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق إلى العلم والثاني افتراء على الله
وإلحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن إن الله
بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول
الله عز وجل وإذا فعلوا فاحشة قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن فعل القبيح مستحيل
عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله أتقولون على الله ما لا تعلمون
إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة
طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وأقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين
إليها غير عادلين إلى غيرها عند كل مسجد في وقت كل سجود أو في كل مكان سجود وهو
الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا
كما بدأكم تعودون كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق

انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا وفريقا
حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله
وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم اي الفريق الذي
حق عليهم الضلال اتخذوا الشياطين اولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا
دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين
دون الله خذوا زينتكم اي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم
وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم
يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم
قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا
من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن ثيابه للصلاة
وكان بنو عامر في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك
حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن
عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي ان الرشيد
كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين ليس في كتابكم من علم
الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال وله قد جمع الله لرسولنا
وكله الطب في آية قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء
واعط كل بدن ما عودته فقال ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من الثياب
وكل ما يتجمل به والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام
من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها
وشحمها ولبنها قل هي ولغيرهم قلت لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة
وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ
خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه
وقبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج منه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا
بشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم
وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل
بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس
يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما ياتينكم هي ان الشرطية
ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة والخفيفة فان
قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط وجزائه فيها ظهر تقسيم [illegible]

كم

والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ ياتينكم بالتاء فمن اظلم فمن اشنع
ظلما ممن تقول على الله ما لم يقل او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم
واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدا بعدها الكلام والكلام هنا
الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل
ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان
تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا
نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوا
في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال لهم
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب في امم في موضع
الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا في النار مع امم
قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا
اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي
الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم
لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا قال لكل ضعف لان كلا من القادة
والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون وقرئ بالياء والتاء فما كان لكم علينا
من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا
فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة
او من قول الله تعالى لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد
الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء والمعنى لا يؤذن
لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا
كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا ينزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب
السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب
الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرا ابن
عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن
القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت
وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضي ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل
مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع
لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت

لا يهتدي اليه في المضايق المشبهة بأخرات الابر وقيل مثل في عظم الاجرام قال جسم الجمل وكلام
العصا فيراد الرجال ليسوا بجند يراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما
لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن
ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب
المعنى اذا تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط
والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين ليؤذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد
كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية
وقرئ غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا نكلف نفسا الا وسعها
جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف
من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان
والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا
نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي
اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لتحصيل
هذا العز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي لنهتدي اللام لتوكيد
النفي وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وفي مصاحف اهل الشام
ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان
لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا
بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك
ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه
تلكم الجنة او تلكم والضمير ضمير الشان والحديث او يكون بمعنى اي لان المناداة
من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل
كما تقول المبطلة ان في ان قد وجدنا يحتمل ان يكون مخففة من المثقلة
وان يكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا
ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم وتكون حكايته لطفا
لمن سمعها وكذلك قوله فاذن مؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله
فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب
وقرأ الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا
قيل ما وعدكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل

ان

ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر
احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما
نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين
وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف رجال وعلى اعراف الحجاب
وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس
وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم
المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان يأذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون
كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك
او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله
وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان
الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا
يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة فذلك
بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا
ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجنة والنار على قدر الاعمال وان التقدم والتأخر
على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا
بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم
وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل
الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة
قد يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا
يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الاعمش واذا قلبت ابصارهم
وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف
لاءم هذا الكلامان قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تأويله ادخلوا
الجنة وادخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل
لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن حال
اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم استأخر
عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون
له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون

واستكباركم عن الحق وعلى الناس. وقيل سيتكثرون من الكثرة افيضوا علينا فيه دليل على
ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة
ويجوز ان يراد والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء
باردا وانما تطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن
وحرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحجر كقوله
حرام على عينيّ ان تطعما الكرى. فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون
عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين
فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه
وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه
بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها هدى
وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه هل ينظرون الا تأويله
الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صدق ما نطق به من الوعد
والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤوا بالحق او نرد جملة معطوفة
على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء
او هل نرد ورفعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا
يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وعن ابن ابي اسحاق
او نردَ بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون او بمعنى حتى ان اي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل
وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ يغشّي بالتشديد
اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن
قيس يغشى الليلُ النهارَ بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل
ويطلبه حثيثا وهو احسن الملاءمة لقراءة حميد بأمره بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات
اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على
التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر
انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء كلها وهو الذي
صرفها على حسب ارادته تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية
وكذلك هي في ان حقيقا والتضرع تفعّل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا
وقرئ وخفية وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل
لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر
الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد ادركنا

اقواما

اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد
كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك
ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكرياء فقال اذ نادى
ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين
اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج وهو رفع الصوت
بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من
قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين
كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريبا على تأويل الرحمة
بالرحم او الترحم او لانه صفة لموصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل
الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء وعلى انه بزنة المصدر الذي هو
النقيض والضغيب او لان تأنيث الرحمة غير حقيقي نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه
اما لان ارسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونُشُرا
جمع نشور ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نَشَرا بمعنى منشورات فعل بمعنى
مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره ونشرا جمع نشير وبشرا بتخفيف وبشرا بفتح
الباء مصدر من بشر اي باشرات اي ومبشرات بين يدي رحمته امام نعمته وهي
الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال
من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا وثقالا سحائب ثقالا بالماء
جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل
الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا لسقيه وقرئ
ميْت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك
الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه
لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب
الارض الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع
به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع
في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه ومن يخرج نباتا اي يخرجه البلد ونبته
وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا
فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه

الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا بوقوعه موقع الفاعل او بقلبه وقيامه
الذي خبث وقرئ نكدا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله
نزرا من الريب يعني من وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن
لا يؤثر فيه شيا وعن مجاهد آدم وذريته منه خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب
الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك
وهذا المثل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات على طريق
الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله
وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد ارسلنا جواب
قسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا
للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع
المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك
ابن متوشلخ ابن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي [illegible] وقرئ غيره بالحركات الثلاث
فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم
من اله الا اياه كقوله ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت ما موقع الجملتين
بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية
بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون
الله واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملأ الاشراف
والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق
ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال
كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه
كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت
كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا
رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء
عن الضلالة له وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسولا من رب العالمين والثاني ان يكون
صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز
ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي
حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي

والمواعظ

والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس
وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له
وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له
مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض
من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة
وشدة بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب
قبلهم فكانوا امنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهته اشياء
لا علم لكم بها قد اوحي الي بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف
كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان
رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون
ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم
وليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة
وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن به فان قلت في الفلك بم تعلق قلت
هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يكون
يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين
وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث
ونحوه قوله وضائق به صدرك اخاهم واحدا منهم من قولهم يا اخا العرب للواحد منهم
وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو
هود ابن شالخ ابن ارفخشد ابن سام ابن نوح واخاهم عطفا على نوحا وهودا عطف
بيان له فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة
نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح
قلت كان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان
يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح ~~هود من امن~~
~~به منهم مرثد ابن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن~~
~~في اشراف قوم~~ نوح مومن ونحوه وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا
بلقاء الاخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة
عقل حيث تهجرون دين قومك الى دين اخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد انه

تمكن بينها غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة
بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع
علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل
ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفها وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على
ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم وانا لكم ناصح
فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم
في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما
خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا
واطولهم مائة ذراع فاذكروا الاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما
من عطاياه وواحد الالاء الى نحو انا واناء وضلع واضلاع وعنب واعناب فان
قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفا ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف
اي اذكروا وقت استخلافكم اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص
الله وحده بالعبادة وترك دين الاباء في اتخاذ الاصنام شركا معه حبا لما نشاوا
عليه والفا لما صادفوا اباهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجي في قوله اجئتنا
قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما
كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا قبل المبعث فلما اوحي اليه جا قومه يدعوهم وان
يريدوا به الاستهزا لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم
قالوا اجئتنا من السماء كما يجي الملك وان لا يريدوا حقيقة المجي ولكن التعرض
والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يريد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا
لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا استعجال منهم
للعذاب قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي
لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان
ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له
يا بني مالك فقال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني
قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في اسماء سميتموها في اشياء
ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال
وجوده وهذا كقوله ما يدعون من دونه من شي ومعنى سميتموها سميتم بها
يقال سميته زيدا وسميته بزيد وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن اخرهم وقصتهم ان عادا
قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود

والهبا

والهبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا
عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم
بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق
اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من
اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما
قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم فكانوا
اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية
فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك
اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا
به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون
من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي
ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ
الكبير ولا الغلاما وقد كانت نساؤهم بخير فقد امست نساؤهم عيامى وان الوحش
تاتيهم جهارا ولا تخشى لعادي سهاما وانتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم
يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا
لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم
وتبتم الى الله سقيتم فاظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة
فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قيل
اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ما فخرجت على عاد من
واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم
فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت
ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بايات الله قلت
هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا
دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من امن منهم ليوذن ان الهلاك خص المكذبين
ونجى الله المؤمنين قرئ والى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف
بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام
بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت

مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهد على صحة
نبوتي فكأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال
والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن
له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها
وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما
لشأنها ولانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة ولذلك كانت آية من آيات الله كما تقول
آية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا
وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض
وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم
نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم
فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم
من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان
استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة
فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال
لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي
شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم
المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت
الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم
فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت
الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت
رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاءوا حتى
تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت
مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر
الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم
وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها
واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح

قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم حكم
محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا
ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا
تأكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض
الله فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها
ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله وروي ان رسول الله
حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا
تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم
مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وآله من اشقى الاولين قال الله ورسوله — يا علي اتدري من
اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال
قاتلك وقرأ ابو جعفر في رواية تأكل في ارض الله في موضع الحال بمعنى آكلة وبوأكم
ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا
اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ
الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل
حرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب
قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا
في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري
وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا
للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين
استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين
استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك
ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل
ان استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن
الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية عن العلم بارساله استعجلوا
ارساله امرا معلوما مكشوفا لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به
مؤمنون جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا

مسلمًا لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله
لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك
كان جواب الكفرة إنا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع أرسل
به ردًا لما جعله المؤمنون معلومًا وأخذوه مسلمًا فعقروا الناقة أسند العقر إلى
جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم
كذا وما فعله إلا واحد منهم وعتوا عن أمر ربهم وتولوا واستكبروا عن امتثاله
ائتنا وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل
في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ويجوز أن يكون المعنى وصدر عتوهم
عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في
قوله وما فعلته عن أمري ائتنا بما تعدنا أرادوا من العذاب وإنما جاز
الإطلاق لأنه كان معلومًا واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه
بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الأرض
واضطربوا لها في دارهم في بلادهم أو في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون
موتى يقال الناس جثم أي قعود لا حراك به ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة
التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم
يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال أبو رغال فلما خرج
من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروي أن صالحًا كان بعثه إلى قوم فخالف
أمره وروي أنه مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله
أعلم فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه
وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر أنه كان مشاهدًا لما
جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته
من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت لكم وسعي ولم آل جهدًا
في إبلاغكم والنصيحة لكم ولكن لا تحبون الناصحين ويجوز أن يتولى عنهم
تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي
أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي أنه
خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعًا فعلم أنهم
قد هلكوا وكانوا ألفًا وخمسمائة دار وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فإن قلت
كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو

ميت

ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه إلى التهلكة يا أخي كم نصحتك وكم قلت
لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطًا
والظرف لأرسلنا أو واذكر لوطًا وإذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه أتأتون
الفاحشة أتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية
من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها
عكاشة من أحد من العالمين من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق
والثانية للتبعيض فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولًا بقوله
أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال أنتم أول من عملها أو على أنه جواب لسؤال
مقدر كأنهم قالوا لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به
إنكم لتأتون الرجال بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في أتأتون
للإنكار والتعظيم وقرئ إنكم على الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى
المرأة إذا غشيها شهوة مفعول له أي لأجل الاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة
من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من
جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة
غير ملتفتين إلى السماجة بل أنتم قوم مسرفون أضرب عن الإنكار إلى الإخبار
عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع الشهوات وأنهم
قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء
الشهوات حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد ونحوه بل أنتم قوم عادون وما
كان جواب قومه إلا أن قالوا يعني ما أجابوه بما يكون جوابًا عما كلمهم به
لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل
الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن
معه من المؤمنين من قريتهم ضجرًا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم
إنهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارًا بما كانوا فيه من
القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا
هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين
من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا والتغليب
والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروي
أنها التفتت فأصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة
آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت

الحجارة على مسافرهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا
منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم
فوقع عليه فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء
وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير ممطور حري ان يكون غير ممطور ومعنى
مطرتهم اصابتهم بالمطر كقوله غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت
عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال لشعيب خطيب
الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قد جاءتكم بينة
من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امرتكم به
والانتهاء عما نهيتكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع
العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة
من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان
معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام
ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة
حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا ادم على يده في المرات
السبع وغير ذلك من الايات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت معجزة
لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة
هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل
العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان
كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه
قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقا وهي باخس وقيل انهم
كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه
كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد
وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا قطعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها
بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح فيها الصالحون
من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل
والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف
ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض

اوالي

او الى العمل بها عما امرهم ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه
من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم
الامانة والتسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ولا تقعدوا
بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا
بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق
قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال
اي ولا تقعدوا بكل صراط موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين فيها عوجا فان قلت
صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام
كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت
الى م يرجع الضمير في من آمن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به
وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم
ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون
لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل
كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا
اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول
فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج
واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر
وقت كونكم قليلين عددكم فكثركم الله ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابرهيم
تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا
ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة
فاعزكم بكثرة العدد والعدد كانت عاقبة المفسدين اخر امر من افسد قبلكم من الامم
كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا
فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على
المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله
فتربصوا انا معكم متربصون او هو موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما
كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان
يكون خطابا للفريقين ليصبر المؤمنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم
من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين

لان حكمنا حق وعدل لا يخاف فيه الحيف اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن
في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما
يكون لنا ان نعود فيها والانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الصغائر الا ما ليس فيه
تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا
لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم
التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان
بريا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله والله تعالى متعال ان يشا ردة المومنين وعودهم
في الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها
لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله
وسع ربنا كل شي علما اي هو عالم بكل شي مما كان وما يكون فهو يعلم احوال
عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة
وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا
لازدياد الايمان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود
لان مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة
للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا
ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا احكم
بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان
تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله
وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم قلت هو خبر مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون
كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر
بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله
الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزايد عليه حيث يزعم
انه تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما
على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملا الذين

كفروا

كفروا من قومه اي اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم
شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل
تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية
فان قلت ما جواب القسم الذي وطاته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت
قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره
كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص
كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم
يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي
هذا الاستيناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم
وتسفيه لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الاسى شدة
الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الاسى ثم انكر على نفسه فقال وكيف
يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز
ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم
تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا ياسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى
وقرا يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها بالباساء بالبوس
والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم
يتضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة
الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة
والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم
واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام
واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستاسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض
السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء يعني
وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء
وقد مس اباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم
بالسيئات والحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه
وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل
عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين
كذبوا واهلكوا امنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات

من السماء والأرض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات ولكن كذبوا
فأخذناهم بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس فإن قلت ما معنى
فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما يتيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه
قولهم فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين البيات
يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون
ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز أن يراد أن
يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو بياتا أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتا كأنه قيل
أن يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في
الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرف
عطف دخلت عليهما همزة الإنكار فإن قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء
والثانية بالواو قلت المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن
أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطفت
بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا بعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا
وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف بأو وهم يلعبون يشتغلون
بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون فإن قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله أفأمنوا
مكر الله قلت هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة والبلية
والغيلة وعن الربيع بن خيثم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا
أراك تنام فقال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا
بياتا وقرئ أولم يهد بالياء كان أن لو نشاء مرفوعا بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين
يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء
أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين
وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم يهد الله للوارثين هذا الشأن
أو لم يبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وإنما عدي فعل
الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين فإن قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه
أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن
الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع
على قلوبهم فإن قلت هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا
ويعطف على أصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم
موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير

يؤدي إلى خلوهم من هذه الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص
عليك من أنبائها كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن تكون
القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى نقص خبرا بعد خبر فإن قلت
ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مستقلا مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد
بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فإن قلت ما معنى الإخبار عن القرى
بنقص عليك من أنبائها قلت معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها
ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه
من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين
جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين
لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات
ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن
مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع
الشديد نطبع على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد الضمير للناس
على الإطلاق يعني أنا ما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد
الله وميثاقه في الإيمان والتقوى وإن وجدنا وإن الشأن والحديث وجدنا
أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع
الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن
أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت
زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ
والخبر والأفعال الداخلة عليهما من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم
رسلهم أو للأمم فظلموا بها فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد
إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها
وآذوا من آمن بها ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم
بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع
الإيمان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة فكأنه قال يا ملك
مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على أن لا أقول
على الله إلا الحق فيه أربع قراءات المشهورة وحقيق علي أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق
بأن لا أقول وهي قراءة عبد الله وحقيق أن لا أقول وهي قراءة أبي وفي المشهورة إشكال

لا تخلو من وجوه احدها ان تكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى
الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح والثاني ان ما لزمك فقد
لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما
والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع
وهو الاوجه الادخل في نكت القران ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه
بالصدق في ذلك المقام لاسيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال
اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اي واجب
علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي
بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطنهم
ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب
فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذي دخل
يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام فان قلت كيف قال له ذلك
لما قال بعد قوله ان كنت جئت باية قلت معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك
باية فاتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين
ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر
ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن
احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة
وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه
وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا فان قلت بم يتعلق
للناظرين قلت يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للناظرين ولا تكون
بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس
للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه
فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء
بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد
الادمة ان هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة
من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والادم ابيض فان قلت قد عزي هذا الكلام
الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم قلت قد قاله
هو وقالوه هم فحكي قوله ثمة وقولهم هاهنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ

فقالوا

فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد
منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاص العامة والدليل عليه
انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم
وقرئ سحار عليم ياتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه
مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون من امرته فامرني بكذا اذا شاورته
فاشار عليك برأي وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا
ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل فقال فماذا تامرون قالوا ارجه
واخاه ومعناه اخره واخاه واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما
وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز وارجه من ارجأه وارجاه فان قلت هلا
قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاءوه
فاجيب بقوله قالوا ائن لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على
الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة فان قلت
وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه قلت هو معطوف على محذوف
سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا
وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما
يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه
ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول
من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤسا السحرة ومعلميهم فقال لهم
ما صنعتم فقالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء
فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل
بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل
كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى
الا بما هو منه يعني السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل
الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يخوضوا في الجدال والمتصارعين
قبل ان يتاخذوا للصراع وقوله واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على
رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر
او تعريف الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة
بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا

اعين الناس وها بالحبل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي
امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم
ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر وفي انهم لو لم
يخشهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق ما يأفكون ما موصولة
او موصوفة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه
او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي من الخشب
والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة
او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا
فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم
فاس وقيع فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقي السحرة ساجدين خروا
سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا فكانوا
في اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة وعن ترك الولد في الاسلام وقتا
من المسلمين يبلغ دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا نفوسهم لله
امنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ ءامنتم
بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى
الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني
اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة
في الايمان وروي ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لاتين
بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال
فسوف تعلمون وعيد مجمل ثم فصله بقوله لاقطعن بالتخفيف وكذلك
لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل انه اول من قطع من خلاف وصلب
فرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه وجه ان لا نبالي بالموت لانقلابنا الى
لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على
شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله يوم الجزاء
فيحكم بيننا او انا ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه
وما تنقم منا الا ان امنا وما تعيب منا الا الايمان بايات الله اراد وما تعيب منا
الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم

افرغ

افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض
السلف ان احدهم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مارحتك اي يغمره بالحياء والخجل وصب
علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استعملوا
الصبر كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على ليفسدوا او
اذا تركتهم ولم تمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوا فنا الى تركه وترك الهتك وكانه قيل اتذرهم
لذلك وهو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ان يكون منك تركه موسى ويكون تركه اياك
والهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره وايذرك اي اتطلق
له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك والهتك وقرأ الحسن ويذرك
بالجزم كانه قيل يفسد وكما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ انس ونذرك
بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والهتك اي عبادتك
وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا
بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما
وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما عبدة الاصنام ويقولون يقربونا الى الله
زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محنّاهم
به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون
تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم
العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه فيثبطهم
ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا
بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا تسكينا لهم وتسلية
ووعدهم النصرة عليهم ويذكرهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم
ارضهم وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها
قلت هي جملة مبتدأة مستانفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله
قال الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان يكون اللام للعهد
ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فيتناول ارض مصر
لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه
ان يتناول له والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط
وان المشية متناولة لهم وقرأ ابي وابن مسعود والعاقبة للمتقين بالنصب عطفا
على الارض اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد

حتى الى ان استبقى وأعاد نه عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون ويمتهنون
به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويسومونه من العذاب فبشرهم ربكم
ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون
واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه
وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد
انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة
لعمرو فلم يوجد فقرأ عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال
قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين سني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة
والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم اي اقحطوا وقال ابن عباس
اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم
وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فينتبهوا
على ان ذلك لاصرارهم على الكفر ولتكذيبهم لايات الله ولان الناس في حال
الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة
سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع
او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا
هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام
هي مثلها في قولك الحمد لله وان تصبهم سيئة من ضيق وجدب يطيروا بموسى
ومن معه يتطيروا به ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا
كما قالت الكفرة للنبي هذه من عندك فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم
الحسنة باذا وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه
كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها
ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهلا عددت ايام الرخاء طائرهم عند الله
اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما
يصيبهم من الحسنة والسيئة شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله
ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي
يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم في قوله النار يعرضون
عليها الاية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر
غير تكسير ونظيره السفر والركب وعند ابي الحسن الاخفش هو تكسير مهما هي ما المضمنة معنى
الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج ايما تكونوا يدرككم الموت

فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب
السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما
للجزاء كانه قيل كف ما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت
ما محل مهما قلت الرفع بمعنى اي شيء تأتنا به او النصب بمعنى اي شيء تحضرنا تأتنا به
من اية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ
والثاني انث على المعنى لانه في معنى الاية ونحوه قول زهير ومهما تكن عند امرئ
من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات
التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما
ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في
شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من اية بمعنى الوقت فيلحد في ايات الله
وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه
فان قلت كيف سموها اية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها اية لاعتقادهم انها
اية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان
ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم
مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج
من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل
وبيوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم
فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم
وركد فمنعهم من الحرث والبناء سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري
وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل هو الطاعون
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب ونحن نؤمن بك فدعا فرفع الله
عنهم فما امنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد مثله فاقاموا
شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى
الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى
موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء
فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما
نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول
ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل
البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل

بين ثياب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل احدهم طعاما فيمتلئ قملة
وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد
ابن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في
ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري
فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر
وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت
بيوتهم وامتلأت منها انيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام
ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع
الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف
بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى ارحمنا هذه المرة فما
بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف
الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون
فقال انه سحركم فكان يجمع بين الاسرائيلي والقبطي على اناء واحد فيكون ما
يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي
الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية
اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون
حتى اشرف على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها
الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط
الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة
عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص
النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه
بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث
الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف
وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى
مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر
عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن
فيه احوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما
للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء
اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك

من

من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه
بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا
محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا
هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه
ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم البحر
الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان
المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون
بني اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها
بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاءوا في اطرافها ونواحيها
الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وكلمة ربك الحسنى قوله
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى
تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك
تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر
ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار
الفرج ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله
وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرأ
عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى
ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور
وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشأ جنات معروشات او وما كانوا
يرفعون من الابنية المشيدة بالسماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر
والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قيل لبعض الناس يعرشون من
غير المجال ما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون
والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني
اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من هلكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات
العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب الرؤية لله جهرة وغير ذلك من
انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصف ظلوم كفار جهول كنود
الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله ص وآله عما راى من بني

اسرائيل بالمدينة وروي انه عبرهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون
وقومه فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم
يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك
اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين
امر موسى بقتالهم وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه
كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها
وعن علي عليه السلام ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف
ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من
قولهم على اثر ما راوا من الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق
واكده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل
متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فتاتا ويقال
لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم
اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي في زعمهم تقربا الى
الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما
لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم
الموسومون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة
ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا اغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب
لكم معبودا وهو فضلكم بما فعل بكم دون غيركم من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها
احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة للانكار والتعجب من
طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب
يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت
هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون
وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة والمحنة وقرئ يقتلون
بالتخفيف وواعدنا روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان
اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما
هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة
فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة
المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي
من

من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره
ان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة في
العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها هاهنا وميقات
ربه ما وقت له من الوقت وضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا
هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي
كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم
الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا
له ومعنى اللام للاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته
لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق
الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان
موسى عليه السلام كان يسمع الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين
ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين والاول اوجه ارني
انظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية
عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني
متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن
تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا
من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك
معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى ذلك وهو
من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك
ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون
في جهة ومنع المجبرة احالته في المعقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم
فكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذتهم الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرا من فعلهم ودعاهم سفهاء
وضلالا قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء
وضلالا وتبرا من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر
عليهم واعلمهم الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله
لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر
اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام

فلما سمع كلام الله تعالى اراد ان يرى ذاته فيبصره معه كما اسمعه كلامه فسمع
منه ارادته على قياس فاسد فلذلك قال موسى ارني انظر اليك ولو لم يزجر
عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل لن
يكون ذلك كان عنه اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان ما يخاطب
به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي
هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم
وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة البصر فكيف بمن هو
اعرق في معرفة الله من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل
والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه
لا وذلك ان لا ينفي المستقبل تقول لا افعل غدا فان اكدت نفيها قلت لن افعل
غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله
لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان
المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر
الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه
ولكن عليك بنظر اخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت
الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية
ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن
ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا في جهاته فسوف تراني تعليق
لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه
بالارض وهذا الكلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع
الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد
بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان
استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له
امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك
والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكا والدكا اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة
او ارضا دكا مستوية ومنه قولهم ناقة دكا متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي
الربيع بن خثيم ابسط يدك دكا اي مدها مستوية وقرئ يحيى بن وثاب دكا
اي قطعا دكا جمع دكا وخر موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل
يقال

يقال صعقته فصعق وصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه
اذا ضرب راسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه
وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في اطمعت
رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك
من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية وانا اول المؤمنين بانك
لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض
الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان
لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية
في هذه الاية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من
نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من
اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين
بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرك
تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية
فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفه قد شبهوه بخلقه وتخوفوا
شنع الورى فتستروا بالبلكفه وتفسير اخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك
عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها باية مثل ايات القيامة
التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما
جاء في الحديث سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه
معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني لن
تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الاية المضطرة ولكن
انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له اية من تلك الايات فان ثبت لتجليها
واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل
فلما ظهرت له اية من ايات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا
لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت طلبت
وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك
وباسك اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك واثرتك عليهم برسالاتي
وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اي ما اعطيتك من شرف
النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل
خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك

على الناس كان هارون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان تابعا له وردءا
او وزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الالواح وفي
جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من
زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى
بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من
خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء
في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء
كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل
انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر
موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن
الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف
باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا
له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما اتيتك والضمير
في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة
بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا باحسنها اي فيها
ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا
على انفسهم الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل
اليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد
يأخذوا بها وباحسنها كما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء
ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف اقفرت
منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل
منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله تع لفسقهم في ممركم عليها
في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرئ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية
بالحجاز يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من اوريت الزند كان المعنى
بينه لي وانره لاستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا
القوم الذين يستضعفون سأصرف عن اياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم
فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من
شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا رسول الله صلعم واذا عظمت الدنيا
نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت امتي بركة الوحي

وقيل

وقيل سأصرف عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى
بان جمع لها السحرة فابى الله تع الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها
وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين
من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم
فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون
غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي
يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل اية من الايات المنزلة
عليهم لا يؤمنوا بها وقرئ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل
الرشد والرشد والرشاد كالسقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة
فان رأى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا اخذ فيه
فسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع والنصب على معنى ذلك
الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه ولقاء الاخرة يجوز ان
يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الاخرة ومشاهدتهم
احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة من
بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى من
حليهم عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب
الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم
قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد لانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين
به فكأنهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه واعبدوه وقرئ حليهم
بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي
ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان
قلت لم قال من حليهم ولم تكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم قلت
الاضافة تكون بادنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة
على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الدليل قوله
عز وجل فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها
بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد له خوار صوت البقر قال الحسن ان السامري
قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل
فكان عجلا جسدا له خوار وقرئ على غير ذلك لكلام جؤار بالجيم والهمزة من جأر اذا
صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا لم يروا حين اتخذوه الها انه لا يكلمهم

على كلام ولا يهديهم سبيلا حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا للكلمات لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق و مناهجه بما ركز
في العقول من الادلة و بما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما
اقدموا عليه من الامر المنكر و كانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم
يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد
ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شأن من اشتد ندمه وحسرته ان يعض
يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها و سقط مسند الى في ايديهم
وهو من باب الكناية وقرأ ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع
العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم
كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في
القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا
ضلالهم كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم تغفر لنا وترحمنا بالتاء وربنا
بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحوا وان لم تغفر لنا
وترحمنا الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين
خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون
لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون والمؤمنون
معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم
العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما
تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني
والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها قلت معناه من بعد
ما رأيتم مني توحيد الله و نفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما
كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر
حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف
من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين
بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله
عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم
امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد
قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي
ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع
لم

لم يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين
ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر
عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا
شديد الغضب وكان هارون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني
اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت
فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى
والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه
من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا بأخيه انه فرط في الكف ابن ام قرئ
بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر
الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة
الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب
ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد
فذكره حقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يأل جهدا في كفهم بالوعظ
والانذار وبما بلغته طاقته في مضادتهم حتى قهروه فاستضعفوه ولم يبق الا
ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة
الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون
لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك
لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن
ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي
اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه
الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته
ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة غضب من ربهم وذلة هي ما امروا به من
قتل انفسهم فالذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو
ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة
بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله تع ولا فرية اعظم من قول السامري
هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد
سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباءوا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم
رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا واخلصوا الايمان ان ربك من

بعد ما من بعد تلك العظائم لغفور رحيم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم
منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جناياتهم
اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه
اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه
طمع فارغ واشعبية فارغ باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا
مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعله ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح
وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم
يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة
والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا
من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ لما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه
باعتذاره اليه وتنصله والمعنى لما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي
نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم
يرهبون ثم دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله بليه
ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه اي من قومه
فحذف الجار واوصل الفعل كقول الفرزدق ومنا الذي اختير الرجال سماحة
وجودا اذا هب الرياح الزعازع وقال اخترتك الناس اذا رثت خلائقهم
واعتل من كان يرجى عنده السول اي من الناس قيل اختار من اثني عشر سبطا
من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاحوا فقالوا ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي
انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم
فاصبحوا شيوخا وقيل كان لكل سبط ابناء ما عدوا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب
عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم
ثم خرج الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من
بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل
كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في
الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم
انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم
فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد
ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجفت بهم الجبل فصعقوا ولما

كانت

كانت الرجفة قال موسى لو شئت اهلكتهم جميعا واياي وهذا تمن منه للاهلاك
قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء
المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا
يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها
وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا
فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل
بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك
وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا لانه من
الله منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم
بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب
لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة منه وحيوة طيبة وتوفيقا
للطاعة وفي الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع
وتاب ولذا سمي اليهود وهو جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد
كانك هدهد وقرا ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده
اذا حركه وامال ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى
حركنا اليك انفسنا وامهلناها وحركنا اليك وامِلنا على تقدير فعلنا كقولك
عدت يا مريض بكسر العين بمعنى العيادة ويجوز عدت بالاشمام ونام وعدت
بالخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القائل القول ويجوز على هذه
اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده قال عذابي من حاله وصفته
اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة في المعنى ولم يكن تعذيبه عنه
سائغ لكونه معذبا ورحمتي من حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من
مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اساء
الاساءة فساكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يكونون
في اخر الزمان من امة محمد صلعم والذين هم بجميع اياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القرآن
النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه من بني
اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم
من الاشياء الطيبة كالشحوم ونحوها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله
عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من

نحو الدم والميته ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوه
وغيرهما من المكاسب الخبيثه • الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم
وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقه نحو بت القضا
بالقصاص عمدا كان او خطا من غير شرع الديه وقطع الاعضا الخاطيه وقرض
موضع النجاسه من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم
السبت وعن عطا كانت بنو اسرائيل لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما
ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسله واوثقها الى الساريه يحبس نفسه
على العباده وقري اصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقري
بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاوده
القبيح الا ترى الى تسميته حدا والحد هو المنع والنور القران فان قلت ما معنى قوله
انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه
كان مصحوبا بالقران مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القران
المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القران
كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول
موسى ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ
بني اسرائيل على استجازتهم الرويه على الله وعلى كفرهم بايات الله العظام التي اجراها
على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم باياتنا يومنون واريد ان يكون
استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن
سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا بهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل
الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم في رحمة الله التي
وسعت كل شي اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصه
وبعث محمد الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم
فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون
منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف
وان حيل بين الصفه والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من
الصله التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو
بيان للجمله قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقه وفي يحيي ويميت بيان
لاختصاصه بالالهيه لانه لا يقدر على الاحيا والاماته غيره وكلماته وما انزل عليه

وعلى

وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقري وكلمته على الافراد وهي القران او اراد جنس ما كلم به
وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمه التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن
وانما قيل لعيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمه ولم يكن من
نطفه تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي
بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات
التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغه وليعلم ان الذي وجب
الايمان به واتباعه هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته
كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفه وتفاديا من العصبيه لنفسه ومن قوم موسى
امة هم المومنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا
حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رويه الله ذكر ان منهم امة موقنين
ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامه ويرشدونهم وبالحق
يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم
وامن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياهم وكفروا وكانوا اثني
عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين
اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء
الصين وهم هنالك حنفا مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
جبريل ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون
قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرا عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقراهم
عشر سور من القران نزلت بمكه ولم تكن نزلت عليه فريضه الصلوه والزكوه وامرهم
ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن ... وفي
قري بني بني عبد الله فقال رجل ... منهم فقال عبد الله لمن كان في مجلسه
من المومنين وصل ... صلاح ... عليهم من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا
في طرف من الدنيا متمسكين بشريعته ولم تبلغهم سمعا لا ... وهذا من باب
الفرض والتقدير ... فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في
كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق
الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا به اسماعهم والزمهم به الحجه وهو سائلهم
عنه يوم القيمه وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة
الالفه بينهم وقري وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط

اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا كقبائل اثني عشر قبيلة ولدا
من ولد يعقوب فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا
قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط
فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره قوله بين رماحي مالك ونهشل
وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة
العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤم الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة
بكسر الشين فانبجست اي فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج
وانبجست عيناه من فرط الاسى وكيف عيناي [illegible] فان قلت فهلا قيل فضرب
فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة
على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث
لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل
امة من تلك الامم الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات
لها ويجوز ان يكون قيل الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت
في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه
وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا
يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم وقيل لهم واذكروا اذ قيل لهم والقرية بيت
المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس
باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله وكلوا بالفاء
وبين قوله وكلوا بالواو لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا
في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها
فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم
خطاياكم وسنزيد المحسنين موعد بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو لا يخل
بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له
سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون
من واد واحد وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم تغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم
على البناء للمفعول واسألهم وسل اليهود وقرئ واسلهم وهذا السؤال معناه التقرير
والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا
تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره
هذه الاستفهام التقريري [illegible] والمراد بالقرية ايلة وقيل مدين

وقيل

وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن
الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون
في السبت اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه
وقرئ يعدون بمعنى يعتدون وادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون
من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا
فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال
بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم
تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقرأ عمر بن عبد
العزيز يوم اسباتهم وقرئ يسبتون بضم الياء وقرأه علي عليه السلام لا يسبتون بضم
الياء وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون
بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول
فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كأنه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت
عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة
واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك
واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن
الحسن تشرع على ابوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا
واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل
ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون
وحكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب
والذلول في موعظتهم حتى ايسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا
شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة
الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله لئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض
التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب
اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا
ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين
هم أمن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين
وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم

القوم وقالوا لهم هذا الناصح حال المنهي عنه وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه وربما وجب الترك
لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين
المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منكرا ولم يكن الا سببا
للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا اعراض اولئك لانهم لم يستحكم يأسهم كما استحكم يأس الاولين
ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون
منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري
ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك
الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل
اذكر به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم
الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرتم به وهو يوم الجمعة
فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت
تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا ترى الماء من كثرتها ويوم لا
يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم
عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر
على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه
خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع
في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم ير عذابا اخذ في السبت القابل
حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا
نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا
وثلث قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا
قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب
وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم
ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا
هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباءها من
الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القردة فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه
فيبكي فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير
• وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في
الآخرة آه والله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن
الله

الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بعذاب بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد فهو بئيس
وقرئ بئس بوزن حذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال
كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها
وبيس بوزن ريس على قلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف
بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا
عنه اي ابوا ان يتركوه قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد
فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس
هو المسخ واذ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على
الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله
ولذلك اجيب بما اجيب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب
على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون
الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة
عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي بأس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد
يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة او الذين
وراء الصين ومنهم دون ذلك اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة
لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له
مقام معلوم وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم
لعلهم ينتهون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب التوراة بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها
من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى
اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى
تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من
دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام
وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله
بما اخذنا والفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي يأخذونه
يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم عائدون الى

الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يكون الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم
يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر
الا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي
عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار يأتي على الناس
زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع
خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا هذه
الاية والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم
الله وفسقهم ودرسوا الكتاب افلا تعقلون بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا افلا يعقلون
بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت هو
عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب المذكور في الكتاب
وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله
وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا
مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا
كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله
ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان
يكون مرفوعا بالابتداء وخبرها انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا
نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين
يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر
من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون
قوله انا لا نضيع اعتراضا ويكون وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة ابي
والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها
اقامة الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة فكيف افردت
قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان
وقرا ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه
ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقا اذا نفضه ليقتلع
الزبد منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل
عليه اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا

في

في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل
منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل من فرق سقوطه
فلذلك لا ترى يهوديا الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها
العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق شجر ولا جبل ولا حجر الا اهتز
فلذلك لا تجد يهوديا تقرا عليه التورية الا اهتز وانغض لها راسه خذوا
ما اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه
من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض بالتكليف للثواب
العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة
ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات فانفذوا
اذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون
ما انتم عليه وقرا ابن مسعود وتذكروا وقرا واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم
بدل من بني ادم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم
من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا
من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته
ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها
مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم
الست بربكم فكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك
وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره
قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحقي
فقالت لمريح الصبا قرقار ومعنى انه لا قول وانما هو تمثيل وتصوير المعنى
ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها
العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او
كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فلا عذر
لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم
في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنوا ادم وذرياتهم من هم قلت عني
ببني ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين
كانوا في عهد النبي صلعم من اخلافهم المقتدين باباهم والدليل على انها في المشركين
واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود
الايات التي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسالهم عن القرية

واذ قالت امه واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا
افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك وتقدمهم
فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم
يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم علي التوحيد وان
يقولوا بابا واتل عليهم علي اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها هو عالم
من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعورا وتي علم بعض
كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان
فادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من
الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو
علي موسي ومن معه فابي وقال كيف ادعو علي من معه الملائكة فالحوا
عليه ولم يزالوا به حتي فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الي منازل
الابرار من العلماء بتلك الايات ولكنه اخلد الي الارض مال الي الدنيا ورغب
فيها وقيل مال الي السفالة فان قلت كيف علق رفعه علي مشيئته ولم يعلق بفعله
الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه
بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الايات فذكرت المشيئة والمراد
ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الي قوله ولكنه
اخلد الي الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون
ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام علي ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا
لرفعناه ولكنا لم نشا فمثله كمثل الكلب فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة
كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سوا
حمل عليه اي شد عليه وهيج وطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان
سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب
يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها
ولكنه اخلد الي الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب
موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك
وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل وقيل ان وعظته
فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فيلهث وان تركته
علي حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب علي الحال كانه قيل كمثل
الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعام علي موسى خرج لسانه
فوقع علي صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل الذين كذبوا باياتنا من اليهود بعدما

قر

بعد ما قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القران المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب
مبعثه فكانوا يستفتحون به فاقصص القصص بلعام الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة
الوحي فتزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب
مثل القوم فحذف المضاف والاعمش ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا
علي كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما
ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص
كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الي غيرها فهو المهتدي حمل علي اللفظ واولئك
هم الخاسرون حمل علي المعنى كثيرا من الجن والانس هم المطبوع علي قلوبهم الذين علم انه لا لطف
لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الي معرفة الحق ولا ينظرون باعينهم الي ما
خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من ايات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم
القلوب وابصار العيون واستماع الاذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا
ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة علي توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما
يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر الي خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا
لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في
بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه
من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذي
لا يكاد الايمان يتاتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر
للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر
اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها
فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم علي النار ولله الاسماء الحسنى
التي هي احسن الاسماء لانها تدل علي معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير
ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا
تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان
يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي
او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد
قال الله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز
ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء
شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه بمشبهة القبائح

وخلق الحشا والمنكر وبا يدخل في التشبيه كالوقيد ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم
الاصنام الهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز مما فيه قال ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا واخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا
امة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قراها هذه لكم وقد اعطي القوم
بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
يقول ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وعن الكلبي هم الذين امنوا
من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والاستدراج استفعال من الدرجة
بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى ولو كنت في جب
ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني
عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا
بعد شي ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعناه سنستدنيهم
قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك
ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا
بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان
مواترة النعمة اثرة من الله تعالى وتقريب انما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج
الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو حكم السين ان
كيدي متين تسميته كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي
الحقيقة خذلان ما بصاحبهم يعني محمدا من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر
مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم
باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح اولم
ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وفيما يدلان عليه من عظم
الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع
عليه اسم الشيء من الاجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان هي المخففة
من الثقيلة والاصل انه على ان الضمير ضمير الشان وكذا اسم يكون
الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب
فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز
ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التامة فيها ضمير الشان
فان قلت بم يتعلق فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد
اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن

قيل

قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
قرئ يذرهم بالياء والنون على الرفع على الاستيناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا على
محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسألونك قيل
ان قوما من اليهود قالوا اخبرنا يا محمد عن الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي
وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون
من قريش والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها
بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة
من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه
لان معناه اي وقت وهو فعل من اويت اليه لان البعض اوى الى الكل متساند
اليه قاله ابن جني واصله ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرئ
السلمي ايان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها
وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر
للنجر الذي ترسى به ولذا يقال الساعة بليل فقوله ثقلت في السموات
والارض ويسألونك متى يرسيها الله انما علمها اي علم وقت ارسائها عند ربي قد استأثر
به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل لكن اخفاها من نفسه لتكون
ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك
لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر امرها الا الله ولا يكشف خفاها
عليها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة او لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها
احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات
والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويتمنى
ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقلت عليه او ثقلت فيها لان اهلها
يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم بها
فهي تثقل عليها الا تأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان
الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفي عنها عالم بها
وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه
استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء
البقل استئصاله والحفي في المسألة الالحاح وحفي لفلان وتحفى به بالغ في البر
وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها

اي عالم بها

وعنها متعلق بيسألونك اي يسألونك عنها كأنك حفي بها وقيل ان قريشا قالوا له
ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم
فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها
لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص
كسائر ما يوحى اليك وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره
السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به فلم يؤته احدا من خلقه فان
قلت لم كرر يسألونك وانما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة
قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من
فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم
بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص
بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر
كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني فلو كنت اعلم الغيب
كانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء
والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا
في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما
شأني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة
والبشارة انما تنفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير
محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس
ادم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد ادم من ضلع من اضلاعه او من
جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان
الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن
الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعد ما انث
في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم ولان الذكر
هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها وكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية
عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى
بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن
تقول في ولدها ما كان اخفه علي كبدي حين حملته فمرت به الى وقت ميلاده من غير اخراج
ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت
به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه

فلما

فمعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت
وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء
ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت
لنا ولدا سويا قد صلح بدنه وبري وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح
والجودة والضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما اتاهما ما طلباه
من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له شركاء على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك اتاهما اي اتى اولادهما وقد
دل على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحواء بريئان
من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة
وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم
ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد فيال قصي ما زوى الله عنكم
به من فخار لا يجارى وسؤدد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل
من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من
الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة
بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون
لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن
لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا
في الولد اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقاد
فيها وتسميتهم اياها الهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله
وهم يخلقون لان الله خالقهم فلا يقدرون على اختلاق شيء لانهم جماد وهم
مخلوقون لان عبدتهم يخلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم
لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث
بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا
هذه الاصنام الى الهدى اي الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى
وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم
ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان
كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام صمتم عن دعائهم
في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية

قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم لقوله واذا مس الناس ضر دعوا
حالتهم المستمرة ان يكونوا صامتين من دعواهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق
الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه عادة من صمتكم عن دعائهم ان الذين
تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم الهة من دون الله عباد امثالكم
مستهزء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد
امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون
بها وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقري سعيد بن جبير ان الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم على اعمال ان
النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم فاستعينوا بهم في عداوتي
علاوتي ثم كيدون انتم جميعا وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم وكان
يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه الهتهم فامره ان يخاطبهم بذلك
قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال لهم اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله اي ناصري عليكم الله الذي
نزل الكتاب الذي اوحي الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين
ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبياءه فلا يخذلهم ينظرون اليك
يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء
ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو ضد الجهد اي خذ
ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا
تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله يسروا
ولا تعسروا قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين
اغضب وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول اية الزكوة
فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها وامر بالعرف المعروف والجميل من الافعال
واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على
ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الاية سال جبريل فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع
فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وعن الصادق عليه السلام امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم
الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله واما ينخسنك ينخس
بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ
الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي فجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده

وروي

وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك
ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر ان لي شيطانا يعتريني طيف
من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال انى الم
بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكرة وشعوف او تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف
كلين او من طاف يطوف كهين وقري طائف وهو يحتمل الامرين ايضا ان يكون من يطيف او يكون من
يطوف وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان
كان المتقين هذا عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم
واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي ويمدونهم
ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم
يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها فوارس الخيل لا ميل ولا قزم
فان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير
المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم
في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان قلت المراد به
الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه
او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها
هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى
او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للايات
او لست بمقترحها هذا بصائر هذا القران بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون
بها بعد العمى وهو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القران فاستمعوا له
وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القران في صلوة وغير صلوة
وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت
القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القران
عند نزوله فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام
في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغير
ذلك تضرعا وخيفة متضرعا خائفا ودون الجهر متكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء
ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال لفضل هذين
الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات
وقري والايصال من اصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا

ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله واللهو عنه ان الذين
عند ربكم هم الملائكة ومعنى عند دنو المنزلة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم
على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون غيره
وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله ﷺ وآله من قرأ سورة الاعراف
جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال ست وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل
وباذن الله ريثي والعجل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو
ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية
ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد
منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم
بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله ﷺ وآله وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها
للمهاجرين ام للانصار ام لهما جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله ﷺ وهو الحاكم
فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك
اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح
اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ الرايات
والوجوه الذين كانوا عند كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا
لرسول الله ﷺ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت
اصحابك فنزلت وعن سعد بن وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد
ابن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله ﷺ فقلت ان الله
قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه
في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الا قليلا حتى جاءني رسول الله ﷺ وآله وقد نزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك
~~سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه يا سعد انك سألتني السيف~~
وليس لي فانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا
معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله
من

من ايدينا وجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله
وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال
اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله
والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله
يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في
قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر رسوله
ان يواسي المقاتل المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات
فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح
ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم
وكونوا متحدين متآخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتواسوا وتساعدوا فيما
رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا
غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة
قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة
ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة
للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من الشراب
وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان
وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله
ان كنتم مؤمنين كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما
الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم
المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ابي الدرداء الوجل في القلب كاحتراق
السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قال فادع الله فان الدعاء يذهب بذلك يعني
فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه
وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان
ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال
له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله
فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول
عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان

وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن
لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم
لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال
الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون
ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقوله هو عبد الله حقا
اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان
كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث
والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله ما ادري أمنهم انا ام لا
وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية
وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع انه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا
تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة
لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا
اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة
وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم يعني نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم
وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه
خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة
ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه
صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله
والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم
كارهون من بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي
في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا متلبسا بالحكمة والصواب
الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك
في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها ار
بعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله ﷺ
فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة
خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول
عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بنت عبد
المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة
من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها

العباس

العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل
مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق
الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزر
ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان
محمدا لم يصب العير وانا قد اغضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع
فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا فاستشار النبي ﷺ اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة
على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء
العدو فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل
البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام
عند غضب النبي ﷺ ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر
امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد
ابن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قال
بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت
وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ﷺ ثم قال
اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة
انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك
مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وآله يتخوف ان لا تكون الانصار ترى
عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا
يا رسول الله ﷺ قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا
رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح
رسول الله ﷺ ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني
احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله ﷺ
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا
يصلح فقال له النبي ﷺ لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك
وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه رسول الله ﷺ

من مكة

تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين لهم باعلام رسول الله صلعم بانهم
ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب
وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة
بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو شاهد لاسبابه
ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي
انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى
الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن
فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة
مستعارة من واحدة الشوك يقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح
اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون
الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة
ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم
وطرحهم في قليب بدر والدابر الاخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع
الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف
الامور وان لا تلقوا ما يرزأكم في ابدانكم واحوالكم والله يريد معالي الامور
وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان
ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم
وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما
فيها وقرئ بكلمته على التوحيد فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف
تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام
واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين
متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل
من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل
اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف
متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع
فان قلت بم تعلق اذ تستغيثون قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق
الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون
الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي
الله عنه ان رسول الله صلعم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل

القبلة

القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه
من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي
عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان
الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه
فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة
على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم
بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل
يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين ذلك الصوت
الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا فقال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا
انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ
سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك فقد خر مستلقيا وشق وجهه
فحدث الانصاري رسول الله صلعم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي
داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل
ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون
المؤمنين والا فملك واحد كان في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة
من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين
بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا اتبعه ويقال اردفته كقولك اتبعته
اذا جيت بعده ~~فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين اياهم المؤمنين~~
فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى
متبعين المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم
ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى
متبعين انفسهم ملائكة اخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه
قوله تعالى في سورة آل عمران ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وقراءة من قرأ بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء
وضمها وتشديد الدال واصل مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت
بالالف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت فبم يعضد من قرأ
على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة اخرين والمردفين بارتدافهم

ابابهم

غيرهم قلت ان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم
فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى الى مريم
فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت فبمن قرا بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه
مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه
ممدكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم
لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على
قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم
وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من
نصره الله اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى
الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب
النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون
فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس
تنعسون انتصب امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومن صفة لها اي امنة خالصة لكم
من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان
اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشاكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان
ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنه
على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على
انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على
غشيانكم وانما غشيكم امنة منه حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة
التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن من احتماله وله فيه نظائر ولقد
الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون
الميم ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم النوم
من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس
النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل وقرئ
بالتخفيف والتثقيل وقرا الشعبي ما ليطهركم قال ابن جني ما موصولة وصلتها
حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه
اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخيله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس
تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر
تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون

انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى جنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء
على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من
احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى
جرى الوادي واتخذ رسول الله واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا
وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت
وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان
القلب اذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان
يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر
على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على
التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا
ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما
غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى
به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به
انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي
فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين
الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه
وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل
فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد الرؤوس لانها فوق الاعناق
يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح غشيته وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب
سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى
لان الضرب اذا وقع على مقتل او غير مقتل فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز
ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة
ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم
قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك
اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء
وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق
لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت
لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في
جانب وذاك في خصم وهذا في شق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما

قبل المخاصمة والمشاقة لان هذا في حيز اي في جانب وذلك في حيز وهذا في شق وذاك في
شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل واحد منكم وفي ذلكم للكفرة على طريقة
الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب والعقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون
نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم
في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم
الاخرة فوضع الظاهر موضع المضمر وقرئ بكسر وان للكافرين زحفا حال من الذين
كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من
زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا
لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد
تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المومنين
كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف
الزحوف اثنا عشر الفا ونقل عنه نهي الحتم عن الفرار بقوله ومن يولهم يومئذ دبره الا
كلمته الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب
من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى
الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا
الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم
العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه
فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان
الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا فان قلت على الحال والا
لغو او على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا
ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل
منه متحوز لما كسر اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت
واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي عليه السلام اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى
بها في وجوههم فقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم
المومنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم الفاء جواب شرط محذوف تقديره
ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بانزال الملائكة والقاء
الرعب في قلوبهم وشد النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت يا محمد اذ

الواو للحال ح

قوله ج

رميت

اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها
لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكن الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت
الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه
البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول
اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المومنين
وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان
الى المومنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم
اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف
على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد
وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم
الله خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم ارادوا حين ان ينفروا تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق
فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين
واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايّنا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم
اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا
عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته
عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان الله معين المومنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه
اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المومنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء
لفصل ولا تولوا قرئ بطرح احدى التائين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله لان
المعنى اطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة
الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله وكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما
كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا
عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه اي ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه وانتم
تسمعون اي تصدقون لانكم مومنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى
انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة
الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان
شر الدواب اي شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق
لا ينطقون به لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هولاء الصم البكم خيرا

اي اسمعها باللطف لا يسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدق فيّ ثم قال ولو اسمعهم لتولوا
يعني ولو لطف بهم لما نفع منهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا
لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم
منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم
عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن
ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير
فيما قبله لان استجابة رسول الله صلعم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد
بالاستجابة الطاعة والامتثال والدعوة البعث والتحريض وروي ابي هريرة ان النبي صلعم
مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك
من اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال
لاجرم لا تدعوني الا احببتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلعم
والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع
صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم
لا يعجبن الجهول حلته فذلك ميت وثوبه كفن وقيل مجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها
لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل الشهادة لقوله بل احياء
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة
التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوايه وعلله ورده
سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا
انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه
ان الله قد يملك على المرء قلبه فيفسخ عزايمه ويغير نياته ومقاصده ويبدل
بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما
هو جاير على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب
فلا وللمجبرة على ان يحول بين المرء وبين الايمان والكفر وبينه وبين الكفر اذا ان قادر
عليه مما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى
عليه شي من ضمايره فكانه بينه وبين قلبه وقري بين المرّ بتشديد الراء وجهه
انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول
مررت بعمرّ فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا
وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت
جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة لكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء

لا يتهالك النهي عن المنكر فيعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا
ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم
خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا
تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رايت الذيب قط
اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذيب
ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن الذين ظلموا على جواب القسم وعن الحسن
نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها
زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر
فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يسايرا النبي صلعم اذ اقبل علي عليه السلام فضحك
اليه الزبير فقال رسول الله صلعم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله صلعم بابي انت
وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان
قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي
اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا يصيبن
ولا يحطمنكم فان قلت ما معنى منكم في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على
الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم
اقبح منكم منه من سائر الناس واذ انتم نصب على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا
وقت كونكم اقلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش
تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا اعداء لها منافين مضادين فاواكم
الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملايكة يوم بدر ورزقكم
من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة
كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا
لا يأكلون ولا يوكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنايم وجعلهم ملوكا
معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا انتقصه ثم استعمل في ضد
الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شي فقد ادخلت عليه النقصان منه وقد
استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف
له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله
بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله
وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم
علماء تعلمون قبح القبح وحسن الحسن وروي ان النبي صلعم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين

وبحسن الجهول
حالته فذاك
ميت وثوبه كفن
البيت من السحر
بحرا رجوز
مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن
مستفعلن مستفعلن
لو حاليته مستفعلن
فذاك في مستفعلن
ميت وثوبه مستفعلن
كفن مستفعلن

فمالوا الى الصلح كما صالح اخوانهم بنو النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام
فابى رسول الله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان
ابن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة
ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله
لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلعم
يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان وقيل
اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام
نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله
وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد
فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم
كيف تحافظون ولا تخونوا فيهم على حدوده والله عنده اجر عظيم فعليكم ان
تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال
وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون زينة وقيل هي من
جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه
يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه
قوله يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار
الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات
وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية
في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكر مكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في
نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى
واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار فرقوا ان يتفاقم
امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ
فقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم
ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه
وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون

فقال

فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام
بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال ابليس بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فتضربوه ضربة رجل
واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا
طلبوا العقل عقلنا واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا
فتفرقوا على راي ابي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله وامره ان
لا يبيت في مضجعه واذن الله في الهجرة فامر عليا عليه السلام فنام في
مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين
فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا عليه السلام فبهتوا وخيب الله سعيهم
واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب
والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا
وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس
ليقيدوك وهو دليل لمن قرأ بالايثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر
الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره
انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما
هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم
لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين
ان شاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه من
قطاعنهم واستنكافهم ان يغلبوا في البيان خاصة وان عاشهم واحد فيتعللوا
بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلعم
وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع
اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء
من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من
جملة تلك الاساطير وهو القائل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود
بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب
الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب
منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال
في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول

على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا
غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت
ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب فان
قلت ما فايده قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها قلت كانه يقال فامطر
علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل
كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم بنوع اخر من
جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع
اخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا
عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق
ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا
له اللام لتاكيد النفي والدلالة على تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم
في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال
ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجرت عنهم والدليل
على هذا الاشعار قوله وما لهم الا يعذبهم الله ولا يصح هذا بعد اثبات التعذيب
كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم
الا يعذبون وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو
كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع
ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المؤمنون
المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلعم من المستضعفين وما لهم
الا يعذبهم واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم
معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد
الحرام كما صدوا رسول الله صلعم عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين
من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشا وما كانوا اولياه
ان اولياوه اي وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره
وارباباه ان اولياوه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ممن يصلح لان يلي امره
انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن
اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع
كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو كانه سمي بذلك لكثرة

مكايه واصل ما الصفة عن الوصفا والقياء وقرا مكا بالقصر ونظيرهما البكا والبكاء والتصدية
التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اداق مكه منه يصدون وقرا الاعمش
وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام
قلت هو نحو قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاوه اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى
انه وضع القيود والسياط موضع العطا ووضعوا المكا والتصدية موضع الصلوة وذلك
انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله صلعم في صلوته يخلطون عليه
فذوقوا عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزاير وقيل
قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك
منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد
الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية
اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد
عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي
تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم
يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المومنين سجالا قبل ذلك فيرجعون
طلقا كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى جهنم
يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث
من الكفار من الفريق الطيب من المومنين فيجعل الخبيث الفريق الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون
عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز
المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلعم من المال الطيب الذي
انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون
به فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون
عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرى ليميز
على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان واتباعه اي قل لاجلهم هذا القول
وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن
مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلعم وقتاله

وقاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من العداوة وان يعودوا لقتاله
فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت
سنة الاولين الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان
لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم
من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عم الاسلام
يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه
قضاء حقوق الله تع وتبقى حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد
اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وحسم وان يعودوا
بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله تع وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم كل دين
باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان
الله بما تعملون بصير من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من
ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا
فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته انما غنمتم ما
موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف
والتقدير فحق او فواجب ان لله خمسه وروي الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر
ويقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهور آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا
بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف
الخبر واحتمل غيره واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبهه
ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف
قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلعم على خمسة
اسهم سهم لرسول الله صلعم وسهم لذوي قرابته من بني هاشم وبني المطلب دون
بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان
وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر
فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا
وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام
وانما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين
وابن السبيل واما بعد رسول الله صلعم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما
يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن

السبيل

السبيل واما عند الشافعي فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلعم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من
مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم
يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين وعند مالك الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان
رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضهم وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى
ذكر عطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه
القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص
من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال
الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم منها
يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلعم ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فياخذ
منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تع ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله
لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك ابن انس وعن ابن عباس انه كان على ستة لله
وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض ابو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن
بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج
ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل غني لا يعطى شيئا من الصدقة
ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب
منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي عليه السلام انه قيل له ان الله تع قال واليتامى
والمساكين وابن السبيل فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلعم
انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس
في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من
الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا
المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه
اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المضمن
بالعمل والطاعة لامره لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما انزلنا
معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله
وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكفار
والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على ان
ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان
والعدوة شط الوادي بالضم والكسر والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان

بينها وبين الكسر حاجز عن حصين كما في الصحيحه والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى
فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديها بالياء والثانية بالواو قلت
القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء
القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت
مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة القصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب
الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف
معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر المبتدا فان قلت ما فائدة هذا
التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم قلت الفائدة فيه الاخبار عن
الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف
شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا
على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى
التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة ومع كثرة
عددهم وكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت
العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل
جهيداهم في القتال لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم اي المثل ويبذلوا منتهى نجدتهم
وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا
العير راغبين في الخروج وشخص قريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله
لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هولاء بالعدوة الدنيا
انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم
فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله
والمسلمين لم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي
امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك
بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح
بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن
يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب فيه الدخول والتمسك به وذلك ان ما كان
من وقعة بدر من الايات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا
لها ويحيى بفتح اللام ويحيى بابراز التضعيف واظهاره لسميع عليم يعلم كيف
يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من امن وثوابه
اذ يريكهم الله نصب باضمار اذكر وهو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم

اي

اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك قليلا وذلك ان الله تعالى اراه اياهم في
رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان ذلك تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن
الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها
وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية الصحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام
العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الراي وتفرقت فيما
تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة
من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من
الجراة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا
ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم فقال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال
قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين
ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم في اعينهم قبل اللقاء
ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجاهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل
شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم
راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الاية البينة
من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت
بان يستر بعضهم بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في
اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين
وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم
فئة اي اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واللقاء اسم القتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا
في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم
اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون اي لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه
اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون
هما وان يكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب
امير المؤمنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان
ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم لا يشغلهم عن
ذكر الله شاغل وان تفاقم ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان
او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على الجزم قراءة من قرا وتذهب ريحكم بالتاء والنصب

وتذهب: من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح
وهبوبها وقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله يا صاحبي
الا لا حي بالوادي الا عبيد قعود بين اذواد اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان
الريح للعادي وقال عبيد الابرص كما حميناك يوم النعف من شطب والفضل للقوم من ريح
ومن عدد اي من البأس والكثرة وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور جزمهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما
وقع لهم اذ نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مثلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم اهل
مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت
عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات
ونطعم بها من حضرنا من العرب وذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها
فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القينات فنهاهم ان يكونوا
مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن
من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي
عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم
ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرا منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن كان ذلك على سبيل
الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين كنانة من
الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر
الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم
واني جار لكم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث
ابن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث ابن هشام فلما نكص قال له الحارث وانطلقوا وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسير
كم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما
اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما روي يوم بدر
فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كان الجار لغالب قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب
كائن لكم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون
من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام
وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون قلت

بعد

به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم
ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم عزيز اي غالب يسلط القليل الضعيف
على الكثير القوي ولو ترى اي ولو عاينت وشاهدت يتوفى بالياء والتاء
والملائكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله
والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد ادبارهم استاههم ولكن الله
يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل
الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يصرح الرجل القوي البطش على ظهره ثم جريد
مقيدا بالطبق بسير زانه وله مقبض يضرب به على دبره ضربة واحدة تقع بثقل في
مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة
القول اي يقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار وذوقوا عذاب
الاخرة بشارة لهم وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار
او يقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا
ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع
بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب
كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة
المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق
لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف محل الرفع اي داب هؤلاء مثل
داب آل فرعون ودابهم عادتهم وعملهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه واظبوا
وكفروا تفسير لداب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب
والانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى
يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير
الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير
الحال المرضية الى المسخوطة تتغير المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول
اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا
عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم
من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون
كداب آل فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران
النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم
من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا

يؤمنون اي اصروا على الكفر ورسخوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم
رسول الله صلعم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا
نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب ابن
الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا واي الذين
عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار
المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون اي لا يخافون عاقبة الغدر
ولا يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم
فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية
فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجترئ عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم
وقرا ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى تفرق وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا
شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرا ابو حيوة من خلفهم والمعنى
فافعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد
في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد
فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين
من وراءهم يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح
لك فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك
ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم
ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب
الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على الاستواء في العلم بنقض
العهد وقيل على الاستواء في العداوة والجار والمجرور في محل موضع الحال كانه قيل فانبذ
اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاجا مستويين على الاستواء في العلم والعداوة
على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم جميعا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر
بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرا
انهم بالفتح اي لانهم كل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة
على طريق الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرا ابن محيصن
يعجزون بكسر النون وقرا الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على حذف
النون الخفيفة وقرا حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل الذين كفروا وقيل انه
اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة
ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في

محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا
فحذف الضمير لكونه فحذفنا الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين
كفروا وسبقوا وهذه الاقاويل كلها محتملة وليست هذه القراءة لحنة تفرد بها حمزة
وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من قتل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب
من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلعم يقول على المنبر الا ان القوة
الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون
والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة
ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم
الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ورباط الخيل تخصيصا للخيل من بين
ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث
ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل انما
اوصى في الحصون قال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون
قرئ بالتشديد وقرئ ابن عباس تخزون به والضمير في به راجع الى ما
استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة واخرين من دونهم اليهود وقيل المنافقون
وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب
صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن وان جنحوا
اذا مالوا للسلم تونث تانيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية
منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين
والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب
او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا ويجابوا الى الهدنة ابدا وقرئ ابو الاشهب العقيلي
فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم
الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد
قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم
حسبكم ان تلبسوا اجل الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب
من بعث اليهم رسول الله صلعم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من العصبية
والحمية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا
لا يكاد ياتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلعم واتحدوا
شيئا وايرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم اليه من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث

منهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في
الله ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما يشاء ويصنع فيها ما أراد
وقيل هم الأوس والخزرج وكان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم
ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي
يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتشاجر وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة
تجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله ذلك كله حتى
اتفقوا على الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وتصافوا وصاروا أنصارا وعادوا أعوانا
وما ذلك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده
منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى
ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند ومثله قوله إنا منجوك وأهلك والمعنى
كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا أو يكون في محل الرفع أي كفاك الله
ناصرا وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال
وعن ابن عباس نزلت في إسلام عمر وعن سعيد بن جبير أسلم مع النبي صلى الله عليه وآله
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث
على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت أو أن
تسميه حرضا له بما أراك إلا حرضا في هذا الأمر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه
وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الأخفش من الحرص ويقال حركه وحرصه وحرشه
وحرضه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا
غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده ثم قال بأنهم قوم لا يفقهون
أي أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل
ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل
على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والإظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم
أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث حمزة في ثلاثين
راكبا فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا وذلك بعد
مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة
في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث
والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند إلى المائة بالتاء والياء في
موضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين
وكانوا متفاوتين في ذلك فإن قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها

مرتين قبل التضعيف وبعده قلت للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت
لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين
مقاومة المائة المائتين والألف الألفين وقرئ للنبي على التعريف وأسارى ويثخن بالتشديد
ومعنى الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم أثخنته الجراحات إذا أثقلته
حتى يثقل عليه الحركة وأثخنه المرض إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ
والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ويعز الإسلام ويقوى
بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان
هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فإما منا بعد وإما فداء وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله
أتي بسبعين أسيرا منهم العباس عمه وعقيل بن أبي طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال
قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك
وقال عمر كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر
وإن الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان
لنسيب له فنضرب أعناقهم فقال عليه السلام إن الله ليلين قلوب رجال حتى
تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن
مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم
ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم قال لأصحابه
أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق وروي أنه قال لهم إن
شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء
فاستشهدوا بأحد وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية
وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والأوقية أربعون درهما وستة
دنانير وروي أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله
فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت
وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي
عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي أنه قال لو نزل
عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الإثخان في القتل
أحب إلي عرض الدنيا حطامها سمي بذلك لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله
يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل وقرئ
يريدون بالياء وقرئ بعضهم والله يريد الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف
إليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة

وكان فداء الأسارى [illegible]

على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنون منهم قتلا
واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم
يعجلون ولولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو
انه لا يعاقب احدا بخطإ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم
ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي
عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه يحل
لهم الغنيمة التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما
الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي
انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء
لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت
ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما
غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله
ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل
ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة
عليهم وقرئ من الاسارى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة
وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال
رسول الله ص ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا
وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان
رسول الله ص قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث
فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان
حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل فقال العباس وما
يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل
ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله
خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم
ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم
على رسول الله ص مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر وما

صلى

صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير
مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل وان
يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين
ابائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن
الله منهم كما رايتم يوم بدر فيمكن منهم ان عادوا الى الخيانة وقيل المراد بالخيانة
منع ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله
ورسوله وهم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم
هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون
والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ بالعمل كالصناعة ومن ولايتهم بالفتح والكسر
اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل
والصناعة كانه بتوليه امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان
تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فانه لا يجوز نصركم عليهم
لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين
عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب
وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي ان لا ما امرتكم به من
تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة
القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفر ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل
فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان
الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء اولئك هم المؤمنون حقا لانهم
صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ
من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة
لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين
بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا
واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة
في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهي آية المواريث
وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام وعن رسول الله ص من قرأ سورة

الانفال فانا له شفيع الى يوم القيمة وشاهد انه بري من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة اسما براءة والتوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة
المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة للمؤمنين وهي
تقشقش من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها
وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم
تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت
هلا صدرت بآية التسمية كما في ساير السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان فقال
ان رسول الله صلعم اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي
يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلعم واله ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها
شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب
انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة
فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلعم واله قد كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم
الا تراه يقول سلم على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى
الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب
لا يسلم عليهم ولا يقال لا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل
سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة
من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان
وست فهما بمنزلة احدى الطوال وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلعم فقال بعضهم الانفال
وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما
سورتان فتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا
محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في
قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصيصها
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة
بالنصب على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف

لكثرته

لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم
فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله
في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلعم فعاهدوهم فلما نقضوا العهد
اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله
ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي انهم عاهدوا المشركين من اهل
مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وكنانة فنبذ العهد
الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا ولا يتعرض
لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم
من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان
وكان اميرها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلعم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه
عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت الى ابي بكر فقال
لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي عليه السلام سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال
هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي
ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل وقال يا محمد لا يبلغن
رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله
اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل
يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي عليه السلام يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا
فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال امرت باربع
ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن
عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح
وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب
عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه ابو
بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية
علي عليه السلم ذلك فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان براءة
نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي
عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر
وكانت حرما لانهم امنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذي الحجة

والمحرم منها وقيل لعشرين من ذي القعدة الى عشرين من شهر ربيع الاول لان الحج في
تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان بينهم ثم صار في السنة الثانية في
ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر
الحرم وقد نهى الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة واحل قتال
المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا
بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة
معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو
معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو
الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين
معنى الجملة الاولى والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب
الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم
واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين
ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله
من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف يوم النحر
عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة
تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا
فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج
فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته
لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر
حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان
في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل اسم ان المكسورة وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر
على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال
ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي
قراءته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم فان توليتم
عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير
سابقين ولا فائتين اخذه وعقابه فان قلت مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم
قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين
ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا

الا الذين عاهدتم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم والمعنى الاستدراك كانه قيل
بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم
مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى
ان لا يسوى بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم
احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على
خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد
عمرو بن سالم الخزاعي فانشده لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا كنت
لنا ابا وكنا ولدا ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا
ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فانصر هداك
الله نصرا عتدا وادع عباد الله ياتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا
ابيض مثل الشمس ينمو صعدا ان سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجري
مزبدا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم
بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه تاما كاملا قال ابن
عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم انسلخ الاشهر
كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا
فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل
او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم
من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد
الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر
والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله شعر خل السبيل لمن يبني المنار به
وابرز ببرزة حيث اضطرك القدر وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم
واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف من الكفر
والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك
ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك
احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك
ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك ما بعثت له فامنه
حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي

يامن منها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في
كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد ابن جبير جاء رجل
من المشركين الى علي عليه السلم ان اراد رجل منا ياتي الى محمد بعد انقضاء هذا
الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من
المشركين استجارك وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين
ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة
لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى
يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الانكار والاستبعاد لان يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت
لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم
ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند
المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم
فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني
ان التربص من اعمال المتقين وكيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد
وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف
وهاتان هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم
انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا
في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا اي لا يراعوا حلفا وقيل
قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام
وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال
بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم
اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل
اي انين يرفع به صوته وقد عنت اللهبا اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال
وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم
كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات
منهم على العهد وتابى قلوبهم مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم
من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم ولا شمائل مرضية
تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف
عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا

وهو

وهو اتباع الاهوا والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن
الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في
الدين ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم
بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم
وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا
بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادة الكرام الاوفياء من العرب
ثم امنوا ثم اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين رجعوا فارتدوا
عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في
دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق
كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد
معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان
لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة
والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم
ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة
وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا تكون يمينا
وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها
بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في
مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في
انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما
عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة
والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما
التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف
الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها
على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول
من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله تعالى له في الهجرة فخرج
بنفسه وهم بداوكم اول مرة وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال
فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بشرهم

بالشرك لا صدعوكم ويحثهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها وتقرير
ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب
حقيق بان لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم
وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مومنين فان قضيته
الايمان الصحيح ان لا يخشى المومن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا
الله قاتلوهم يعذبهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت
قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا وينصركم عليهم والغلبة
عليهم ويشف صدور قوم مومنين طائفة من المومنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من
اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من
المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق
رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل
مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب
بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله
عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه
حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا
وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمومنين ولما معناها التوقع
وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا
دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل
في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين
وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي
العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان
للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة
المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل
مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة
منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت
ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقه
طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من
تصريحك

تصريحك بذلك فانا بدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين
امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم
بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون
لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل
هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون
والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب عليه السلام يوبخ العباس
بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر
واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبتها فما ظنك بالمقارن
والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين
العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحد وذلك محال غير مستقيم انما يعمر
مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم عمارة هولاء وتكون معتدا بها
والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها
واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها
مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم
الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد
ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله ان بيوتي في ارضي
المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا
رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج
في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد
ضوؤه فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لما علم واشتهر ان الايمان
بالله قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها
عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى
تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه ذكر اقامة الصلوة وايتاء
الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمومن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان
لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضاء الله
رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه تنوقع حق الله على حق

نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان
يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين من مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع
باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم
العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين
يقطعون بانهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف
للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجا ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران
من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير
وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان
يشبه المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل
تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار
المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا
عليه السلام قال للعباس يا عم رسول الله الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله
فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت
قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان
لكم فيها خيرا هم اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم
الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير
المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين
خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع
موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا
وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت
فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا
ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه واله لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب
في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس منه ويبغض في الله اقرب الناس
اليه وقرئ وعشيراتكم وعشائركم وقيل لحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد
عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او اجلة وهذه اية شديدة لا
ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل
اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله

والثبات

الرجا يرجح على الخوف ... [illegible]

والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشائر والمال
والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته
فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي
كانما وقع على انفه ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي
طحت كما هوى باجرامه من منهوي قلة النيق وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى
صيغة لم يات عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية
وخيبر وفتح مكة فان قلت كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على
المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز
ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا
بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين
فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن
ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ
باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم
اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين
هوازن وثقيف وهم اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا
الجم الغفير فلما التقوا قال رجل منهم من المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فساءت
رسول الله صلعم وقيل قائلها رسول الله صلعم وقيل ابو بكر وذلك قوله اعجبتكم
كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم
ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلعم
وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته
بغلته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق
على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من ايات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني
وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى
يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك
ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلعم الى قتال المسلمين
فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة
فانهزموا فقال العباس كاني انظر الى رسول الله صلعم يركض خلفهم على بغلته بما رحبت
ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور
في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب

السعة والمعنى لا تجدون موضعا تصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت
عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين
الذين انهزموا فقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلعم حين وقع الهرب وانزل جنودا لم تروها
يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين
كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس
منهم وروي ان ناسا منهم جاءوا فبايعوا رسول الله صلعم على الاسلام وقالوا
يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل
سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الغنم والابل ما لا يحصى فقال ان عندي
ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا
ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلعم فقال ان هؤلاء جاءوا مسلمين وانا
خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا
فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا نجس
مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لان معهم الشرك الذي
هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات
فهي ملابسة لهم او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن
عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا
توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون
وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس او
ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد وكبد فلا يقربوا
المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم هذا
بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم وهو مذهب ابي
حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد
عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد
عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه
ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا
يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه
وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان

خفتم

خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق
والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه اخر فارسل السماء
عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام
وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس
القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب
الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر
كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان
مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله
لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف
ما يجب ويحرم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم الله في الكتاب والسنة
وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل ولا يدينون دين الحق ولا
يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه باطل وقيل دين الله يقال فلان
يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده الجزية سميت به جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة
ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد
اما ان تراد يد المعطي او الاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي
عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد
لذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة
كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير
نسيئة لا مبعوثا على يد احد وان اريد يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن
يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم
لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل
وهو ان ياتي بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل
تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط
بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلفوا فيمن يضرب
عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي
لا على مشركي العرب وحدهم وروى الزهري عن رسول الله صلعم انه صالح عبدة الاوثان
على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت
لكم بها العرب وادت اليكم العجم الجزية وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والماخوذ عنه

حنيفة في اقل كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى
ضعفها ومن المكثر ضعف الضعيف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من غير كسب فقير
لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا
كان له كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي
كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا
واما سقوط التنوين لالتقاء الساكنين من قرا احد الله او لان الابن وقع
وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه سند وصحة وهو قول ناس من اليهود
ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلام ابن مشكم ونعمان ابن اوفى وشاس ابن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
ذلك وقيل فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام
فرفع الله عنهم منذ وحده وهو قول من ناس من اليهود التورات ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب
فقال اطلب العلم فحفظه التورات فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم
حرفا فقالوا ما جمع التورات في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا
القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم في
التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ
يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل
على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في
القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب
كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم
ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب
وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون
لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان قول الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول
اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون بالهمز من قولهم امراة ضهيأ على
فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله
اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله

ما

ما العجب منهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل
ما حرم الله وتحريم ما احله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس
به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي ابن حاتم قال
انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليس يحرمون ما احل الله فيحرمونه
ويحلون ما حرمه فتستحلونه قلت بلى فقال تلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا
في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة
الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك ان يكونوا اربابا وهم مامورون
مستعبدون مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من
يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى
من الاشراق والاضاءة ليطفيه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله
على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا
ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل
يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان
يتم نوره ومعنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم
اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله
ان لنا احمرة عجافا ياكلن كل ليلة اكافا اي ياكلن بها علفا يشترى بثمن الاكاف ومعنى اكلهم
بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة للشرائع والذين
يكنزون الذهب يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة
على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها
على الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين
ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من
ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب
الاليم وقيل نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عيب بترك الانفاق في
سبيل الله منع الزكوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا
وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا
ساله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش
امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان

تحت سبع ارضين وكلما لم يؤد زكوته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض
فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله ﷺ تبا
للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا
خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلم من ترك صفرا او بيضا كوي
بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله ﷺ كية وتوفي آخر
فوجد في مئزره دينارا فقال كيتان قلت كان هذا ولقد كان كثيرا من الصحابة
كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها
وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل
في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شي حد وعما روي
عن علي عليه السلم اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان
قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون
اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال
وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار
كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول
واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى
يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكرهما دليلا على ما سواهما
فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول
احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمى وحر شديد
من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار
فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت
النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير
فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة
فيكوى بالياء فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها
في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم
مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات
يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعم من الثياب يطرحونها على ظهورهم
كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول
رسول الله ﷺ ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا

قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه صح

ولذا

واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون
على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله
لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها
وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما
كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزون او وبال
كونكم كانزين في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا
وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو
رجب ومنه قوله عليه السلام الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات
والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الحرم الى ما
كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت
حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم
يعني ان تحريم الاشهر هو الدين المستقيم دين ابرهيم ودين اسمعيل وكانت العرب
قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو
لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى
احدثت النسيء فغيروا ولا تظلموا فيهن انفسكم اي لا تجعلوا حرامها
حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا
ان يقاتلوا وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله
وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن
فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور
كافة حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان
النصرة لاهلها النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب
وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون
مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور
العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي
الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في
عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه
للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي انه
حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني

مقاما في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء
زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما
ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ
يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله عز وجل
وقرئ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نسأه اذا اخره يقال نسأه نسأ ونساء
ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي
والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله
قلت معناه فيحلوا بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم من القتال
او من ترك الاختصاص لله شهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم فحسبوا اعمالهم
القبيحة حسنة والله لا يهدي اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء
اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي
تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى يعني ملتم الى الدنيا
وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل
ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه
الانكار والتوبيخ فان قلت ما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعه ان يعمل فيه
قلت ما دل عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله
في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم
من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو
فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة
تبوك في سنة عسرة بعد رجوعهم ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة
كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض في جنب الآخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين
حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل
بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا
وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد
الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر
مستغن عن التخصيص فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط
قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد
ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك

الوقت

الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده
واسند الاخراج الى الكفار كما اسند اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم
حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين
كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وابو بكر الصديق وروي ان جبريل عليه السلام
لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر والضمير على الصاحب وقرئ ثاني
اثنين بالسكون وهما بدل من اذ اخرجه والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في
يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون
فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان تصب اليوم ذهب
دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث
الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله
اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله
بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك
لساير الصحابة سكينته ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون
اليه والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا
دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوتها الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب
والرفع اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها
المختصة به دون سائر الكلم خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا
عنه لمشقته عليكم وقيل خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا
من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او
صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اعلي ان انفر قال
نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء
ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط
حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع
حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن
الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل
صاحب ضر فقال استنفر الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت
المتاع وجاهدوا باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب
الحال والحاجة لو كان عرضا ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر
والفاجر لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا والشقة

للسان الشاطة الشاقة وقرئ عيسى ابن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين وسيحلفون
يقولون لا يبعد وهيهم بن تنوين ولا بعد الا بما توارى البعيد والصفايح بالله متعلق
بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني
المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم او وسيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جواب القسم
ولو جميعًا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من
جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا
وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيهًا لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم
اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في
الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله
لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير
في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغايب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون
بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا فقال حلف بالله ليفعلن او لافعلن فالغيبة
على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفى الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها
ومعناه اخطأت وبيس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه
مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم
وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل
شيئان فعلهما رسول الله صلعم ولم يومر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه
الله لا يستاذنك ليس من عادة المومنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان
الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلعم ابدا ولنجاهدن معه
باموالنا وانفسنا ومعناه ان يجاهدوا وفي ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة
لهم بالانتظام في زمرة المتقين ووعد لهم باجزال الثواب انما يستاذنك يعني المنافقين
وكانوا تسعة وثلاثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير
كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر قرئ عدة بمعنى فعل بالعدد ما فعل بالعدة
من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا فحذف تاء التانيث وعوض
المضاف اليه منها وقرئ عده بكسر العين بغير اضافة وعدة باضافة فان قلت كيف
موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم
واستعدادهم للغزو وقيل ولكن كره الله انبعاثهم فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج
لكراهة انبعاثهم يقول ما احسن الى زيد ولكن اسى اليه فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعفهم رغبتهم

في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو
قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله لهم في القعود
فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله
عن الهام القبايح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا
فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت لم خطأ رسول الله صلعم
في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت لان اذن رسول الله صلعم وآله لهم لم يكن للنظر
في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا
اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثمة اتاه
العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلعم واله الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة
اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم فلم ينبعثوا وكان
قعودهم بغير اذن من رسول الله صلعم قامت عليهم الحجة ولم يبق لهم معذرة ولقد تقيها
ترك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم
لا يومنون بالله واليوم الاخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم
لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم
في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تع رضوا ان
يكونوا مع الخوالف الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء
المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا
والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام
الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم
شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ولا وضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم
وافساد ذات البين والمراد الاسراع بالنمايم لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير
ولا رقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها قال والراقصات
الى منى فالغبغب وقرئ ولا اوفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة
الف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول
القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحها
الفا اخرى ونحوه اولا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف
فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه
اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب
الغوائل والسعي في تشتت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين

انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم
اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل
والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو
تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ائذن لي في القعود ولا تفتني
ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت
وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد
ابن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني بنات
الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا
اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط
لان من موحد اللفظ مجموع المعنى لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي
محيطة بهم الان لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات
حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم
احد يفرحوا بحالهم في الانصراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن
متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل ما وقع وتولوا عن مقام التحدث
بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ طلحة هل يصيبنا بتشديد اليا
ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم
يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه
الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات
والصيبات واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا
الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله
هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير
الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين التي كل واحدة منهما
هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب
اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او
بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون
ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه
البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق
ثم

قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن
ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله
اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسات
الينا ام احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك
رحم الله زيدا وغفر له فان قلت فلم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول
لمن امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك عاملني بالاساءة والاحسان وانظر
هل يتفاوت حالي معك مسيئا كنت او محسنا وفي معناه قول القائل اخوك الذي
ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا وانظروا
هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار
وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله منهم ورده
عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت
يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله
او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم
كالاكراه او طائعين من غير الزام من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون
على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في
الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك
به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان
يقبل مفعولاه وقرئ ان يقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على
الجمع والتوحيد وقرئ المسلمين ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل كسالى بالضم
والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون
بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم لقوله وانها لكبيرة الا على
الخاشعين وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت
كانه ذهب الى هذه الاية فان الكسل من صفة المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن
الى نفسه فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله
طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من
غير الزام من رسول الله او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهية واضطرار لا
رغبة واختيار الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن
ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم
للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالافات والمصائب وكلفهم الانفاق منه

في ابواب الخير فهم كارهون له على رغم انوفهم ولان اتهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه
واكتسابه وفي تربيته اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما
بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن
النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون
بالاسلام تقية ملجأ مكانا يلجأون اليه متحصنين من راس جبل او قلعة او جزيرة
او مغارات او غيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو
تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من
اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفر وقرئ ابي بن كعب متدخلا وقرئ لولوا
اليه لالتجأوا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي
اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون
واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل
هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا
رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين
قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل
فقال رسول الله صلعم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب
قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمّزك ويلامزك
التثقيل والبناء للمبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم
لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلعم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ
بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة اي وان لم يعطوا منها
فاجأوا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو
انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطاب به نفسهم وان قل نصيبهم وقالوا
كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله
اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنينا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات
للفقراء قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا يتجاوزها
الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش لا تتعداهم
ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه
مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين انهم قالوا
في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين

فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة
انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات
على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من
العرب كان رسول الله صلعم يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين
قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل يبتاع الرقاب فتعتق والغارمين
الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات
فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن
السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر
المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة
بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت
للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على
انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك
الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ
ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل
جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن
السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت
هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف
مصارف الصدقات خاصة على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم
الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم
فيها ولمز قاسمها الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد
سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين
وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة
والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون اراد هو اذن في
الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة
حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله
ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين
الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون
حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما
يفعل بالمشركين مراعاة لما راى من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه

اذن خير لكم لا اذن سوء سلّم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا
قصدوا به المذمة والتقصير لفطنته وشهامته فانه من اهل سلامة القلوب يعني
انه ينفع من ينبه اليه ويسمع عذرهم ايضا ويرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير
لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير لذلك اي هو اذن خير لكم يعني ان كان
كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء خلتكم وقرا نافع بتخفيف
الذال فان قلت لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام قلت لانه
قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين
وان يسلم لهم ما يقولون ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى
قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما امن لموسى
الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون امنتم له قبل ان اذن لكم فان
قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف
تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف لان قوله اذن لكم يدل عليه لكم ليرضوكم
الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم
ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم
فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق
وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي
واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبرني او والله احق ان يرضوه ورسوله
كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق
ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه للتوكيد ويجوز ان
يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من
يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون
بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم
والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان
لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين
ويصح ذلك لان المعنى يقرا عليهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين
لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومنبئة لهم بما في قلوبهم كانها
تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة
منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون
فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
فا

فما معنى قوله مخرج ما كنتم تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله
مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله يسير في
غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد
ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا
على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك
ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه
فجعلوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزا به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم
بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها
لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد
اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان
بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين
منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلم نعذبهم
في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله
مستهزئين وقرا مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التانيث
والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت
بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو
غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتاء
وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم
من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون
بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم
لحال المؤمنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان
والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله
اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في
الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ من كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه
هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله
للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك
بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ
منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم

مع التعذيب وجعلهم ملعونين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة
والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي
بالنار دايم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون
عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من
المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم
الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين
من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم
مطلوبا ولا طلبا ما ضارعا ار وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل
فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما يقال له
قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو
كالذين خاضوا كالفوج الذين خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي
فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن
عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا وخضتم كالذين خاضوا
قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم
بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة
وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين
بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون
كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذين
خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات
مداين قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وايتفاكهن انقلاب احوالهن
عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز
عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم بان كفروا به فاستحقوا عقابه
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله
السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في
قولك سانتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل
لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شيء
قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق

ومساكن

ومساكن طيبة من الحسن تفصيلها من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله
جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر
جنانها جناتهم على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله
لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته
والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر
في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت
عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت سمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة
من مشايخنا لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح
وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما
وعد او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي
ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا
واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا
جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا
ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد
بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه اراد الكراهة والبغضاء
والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا
اسبابها اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب
المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله
لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا
فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا
صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال
فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق
الكاذب في تكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله
لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت
توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا

وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان
يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام
راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع
اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء
الله فهربوا او بقتلهم المنافقين بقتل عامر لرده على الجلاس او بان يتوجوا
عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما عابوا
الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا محتاجين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من
العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الاية التي تاب
عندها الجلاس في الدنيا والاخرة بالقتل والنار روي ان ثعلبة ابن حاطب
قال لرسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها
المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر
ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واله مصدقين
لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة
واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت
الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه
يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل
منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله
فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان
وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد
الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا
في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى
خذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب
اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين وقد يحتمل خلف
الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد والم يعلموا عن علي عليه السلام سرهم
ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما
بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون

العيب

العيب اي المرفوع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون
بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين روي ان رسول الله حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
ابن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف
فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت
وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امراته على ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق
عاصم ابن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال
بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء
وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى
من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فيسخرون منهم كقوله
الله يستهزئ بهم في انه جزاء سخريتهم الى قوله ولهم عذاب اليم استغفر لهم روي ان عبد الله
ابن عبد الله ابن ابي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه
ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى
الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط
وقد ذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم
للتكثير قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا
عاقدين النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم
باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف
وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال
قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال
اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم ومن عصاني
فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرأفة والرحمة لطف لامته ودعاء لهم
الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استاذنوا رسول الله من المنافقين فاذن
لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم او الشيطان
بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى
بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم ويشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعد وا ونهض فانتصابه على انه مفعول له او
حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له او جاهدوا بلوا لهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين

ويتحملون المشاق العظام لوجه الله وما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم
ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين
من باعث الايمان وداعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون
من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل
ولبعضهم مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان يلقى مسرة
ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب معناه فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج
على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق
يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال الى طائفة
منهم لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل
لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك للخروج
يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان
اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم
اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد تقدم تفسيره وقرأ مالك
ابن دينار مع الخلفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم
ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين
هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن
هي اكبر امرأة واول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا
فقيل فيهم ما قيل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على مقابر المنافقين ويدعو
لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله ابن أبي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه
قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني
وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب
الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله ابن عبد الله الحباب اسم شيطان
فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان
يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس
عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طويلا فكساه عبد الله
قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي
في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك له واجابه الى مسألته اياه وقد كان
عليه السلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل

الصالح

الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت
به الاعداء او علما بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من
الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك
وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام
كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب
رسول الله ولكن ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا
رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم على ان يتعطف
على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة عليه
قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر اسلامهم
لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي
والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة
انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له
شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب
لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما
اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في
اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه
يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع
القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد
ان آمنوا هي المفسرة اولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طوله مع
القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من
الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف
هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات
يتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان
المعذرون من عذر في الامر اذا توانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان
له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها
الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم
يثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم

اليم وقرى المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه وقيل هم اسد
وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن
الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال
عليه السلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن
قتادة اعتذروا بالكذب وقرى المعذرون بتشديد العين والذال وهو لحن لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء
والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصدق وهو قول ابن عباس
المعذرون والمعتذرون على قراءة ابن عباس لم يفرطوا في العذر وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيبوا ولم يعتذروا وظهر
بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرى الى كذبوا بالتشديد
سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة
بالنار للضعفاء المرضى كالشيوخ والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة
وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلانية وتوليهما
والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين
الناصحين وهم ان لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت
حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمر كما قيل في قوله اوجاؤكم حصرت صدورهم
اي اذا ما اتوك قايلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف في
الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا الة الخروج والذين سألوا
المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى واصحابه وقيل البكاؤون
تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من
يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك
من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا ومحل النصب
على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت هل ما فيه
فلت هو متسابقان لانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة
والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم
رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت
لا احد استينا فا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا
باكين قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت مستانف
نعم ويحسن ان نوعين لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر
بر

به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة
لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم
وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى
الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم الغيب والشهادة
كل غيب وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم
فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع
فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة ليتطهر منه
ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم
ومأواهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي
غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان
رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته
واجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا
الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا
منافقين فقال النبي صلعم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء
عبد الله بن ابي يحلف الا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشأتهم في بعد من مشاهدة العلماء
ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل
الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين
والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم
ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس
يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله والابتغاء المثوبة
عنده ويتربص بكم دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص
من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به
لقوله غلت ايديهم وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرى السوء بالضم
وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح هو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض
قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون
اذا توجهت اليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم
قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات
الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم

صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق
قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات
وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة المؤذنين
بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل
هذا الكلام على رضاء الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت
النية من صاحبها وقرى قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه
السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين
شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين
ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب ابن عمير فعلمهم
القرآن وقرأ يعقوب والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر انه كان يرى
ان قوله والذين اتبعوهم باحسان واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو
فقال ايتوني بأبي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط
الحشر والذين جاءوا من بعدهم واخر الانفال والذين امنوا من بعد وروي
انه سمع رجلا يقرأ بالواو فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه
رسول الله وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا
وغبتم ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارى رفعنا رفعة
لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم بقبول
رضيا عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما فاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية
وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف
تجري تحتها الانهار وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم
جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف
على ممن حولكم او خبر لمبتدأ والذي على ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر
اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف
محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يجوز ان يكون كلاما مبتدأ او صفة
لمنافقون فصل بينها وبينه بعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان
على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مهارتهم فيه
بقوله لا تعلمهم اي لا تعلمهم اي تخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق
فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا
يطلع

يطلع عليهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا
كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا
فيه ولهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر او الفضيحة
وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ
الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا
بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا
على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة
مروان ابن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام وقيل
كانوا عشرة فسبعة منهم او ثقوا انفسهم لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا
بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل
المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل
عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي
يحلهم فقال وانا اقسم لا احلهم حتى اؤمر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم
فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا
فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم صدقة خلطوا عملا صالحا
خروجا الى الجهاد واخر سيئا عدل عنه من نحن وعن الكلبي التوبة والاثم
فان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما
مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن
تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن
لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء
واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز
ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما فان قلت كيف قيل ان يتوب عليهم
وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد
ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة
المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل
عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا

اخذها وعن الشافعي ان يستحب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت
وجعله طهورا وبارك الله لك فيما ابقيت وقرئ ان صلواتك على التوحيد سكن
لهم سكنون اليه وتطمئن قلوبهم فان الله قد تاب عليهم والله سميع باعترافهم
فدعاءهم عليهم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم فرق الم يعلموا باليا والتاء
وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم
ويقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت
عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد فان الله من شانه قبول توبة التائبين
وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل
التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل لهولاء التائبين اعملوا فان
عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم والثاني ان
يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين لم
يتوبوا هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت
فان قلت ما معنى قوله وياخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن
ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى
انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى وعيد لهم وتحذير من عاقبة الامر
والذهول عن التوبة وقرئ مرجون ترجيون من ارجيته وارجاته اذا اخرته
ومنه المرجية يعني واخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا
على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثه كعب ابن مالك وهلال
ابن امية ومرارة ابن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع
والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت
توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد
اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة في مصاحف اهل المدينة والشام
الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة
مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن
عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم
اخوتهم بنو غنم ابن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي
فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك

معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين
ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا
واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي
العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا
بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شا الله صلينا فيه فلما قفل من
غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك ابن الدخشم ومعن بن
عدي وعامر ابن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة يلقى فيها الجيف والقمامة
ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعازة وكفرا
وتقوية للنفاق وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا
فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه ويختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل من حارب
الله ورسوله وهو الراهب اعدوه ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل
مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو
لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل
له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار
او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطا لما فتح
الله الامصار على عمر امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين
يضار احدهما صاحبه فان قلت والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله
النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدا خبره محذوف
معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فان قلت
بم يتصل قوله من قبل قلت باتخذوا اي اتخذوا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف ان
اردنا ما اردنا ببنا هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة
وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يصلي فيه ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين والثلثا والاربعاء
والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصا فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت
مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس

فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا
معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال تصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام أنتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله
عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الأحجار الثلاث ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن
يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها
وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن الحسن
هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن
آخرهم فإن قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه
حرص المحب للشيء المشتهى له على إيثاره ومحبة الله إياهم أن يرضى عنهم ويحسن إليهم
كما يفعل المحب بمحبوبه وقرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس
بنيانه جمع أساس على الإضافة وأسس بنيانه على الفتح وبالكسر جمع أس وأساس بنيانه
على أفعل جمع أس أيضا وآساس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية
محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي
أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل
شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك ووضع شفا الجرف في مقابلة التقوى
لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى فإن قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم
قلت لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى
فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف
وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك
الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر
أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشفى
على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف عن خالف ونظيره شاك
وصات في شائك وصائت وألفه ليست بألف فاعل إنما هي عينه وأصله هور
وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه
أمره وقرئ جرف بسكون الراء فإن قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر
على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى
فيمن نون ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد
الضرار فرئي الدخان يخرج منها وروي أن مجمع بن جارية كان إمامهم في مسجد الضرار

فكلم

فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم
فقال لا ولا نعمة عين أليس بإمام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله
لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت
غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره وصدقه
وأمره بالصلاة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وإنما
حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما
هدمه رسول الله ص ازدادوا لما غاظهم ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق
ومقتا للإسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه
سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه ولا يضمحل أثره إلا
أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة
مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال
زوال الريبة عنها ويجوز أن يكون حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم
أو في القبور أو في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح
التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول عليه السلام أي إلا أن تقطع
أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم
وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه
إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم مثل الله إثابتهم
بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشراء وروي تاجرهم فأغلى لهم
الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها
وأموالا هو رزقها وروي أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن
رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا
به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فإذا فعلنا
ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله ص
أعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله
ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الأمر كقوله تجاهدون
في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الأول للفاعل
والثاني للمفعول وعلى العكس وعدا مصدر مؤكد وأخبر بأن هذا الوعد الذي وعده
للمجاهدين في سبيل الله وعد ثابت قد أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن
ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من

مع حوائج عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يعوزه شيء قط ولا ترى ترغيبا
في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح ايهم التائبون رفع على المدح يعني
المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء
والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين ويجوز ان يكون الزجاج
المرفوع مبتدأ خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان
لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في
يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي
التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين
تابوا من الشرك وتبرأوا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده
واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا بذوي السياحة
في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه
في مظانه قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل
كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت
وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك امنة فزار قبرها
بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبرها فاذن لي واستاذنته
في الاستغفار لها فلم ياذن لي ونزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة
وهذا اخرها نزل بالمدينة وقيل يستغفر بالمدينة لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا
ان نستغفر لابائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر
لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وما استغفر ابرهيم لابيه
وعنه وما استغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي
وعدها ابرهيم اياه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد
الراوية وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز
حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له
على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان الكافر يجوز مع العقل
ان يغفر الله الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن
الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لابائه المشركين فقال ونحن نستغفر
لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت اتفعل
اليس قد استغفر ابرهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قلت
معناه

معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا او انقطع رجاؤه عنه قطع
استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم من اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه
كلال من اللال وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه
كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعني
ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين ونحوه مما نهي عنه وبين انه محظور
لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا
اقدموا عليه بعد حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما
قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا بيع الصاع بالصاعين
قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود
النهي عنه وفي هذه الاية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام
اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون
ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة
فغير موقوف على التوقيف تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما
من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار
وابانة فضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين صفة
الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه
من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في
وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية
واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام وحمير اذا جاء يوما
وارثي يبتغي الغنا والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب
العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس
والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا
عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة
القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشان
وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ بلا يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من
بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله وامثاله
ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للذين تاب عليهم لكيدودتهم

الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وهي خلفوا خلفوا عن
الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا
اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا عن الخالفة وخلوف الفم وقرئ
خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخالفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل
للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه
وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط
الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره ثم تاب عليهم
ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب
على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني
انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني
الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال
يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز
حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال
فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق
برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن كذلك المؤمن يتوب من ذنوبه
ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه
على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده
كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده
ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في
الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل
ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير
فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى
الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن
برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون

ليلة

ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع
ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت
وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول
حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك
منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن توبة
النصوح فقال ان يضيق على التائب الارض بما رحبت ويضيق عليه نفسه
كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم
الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم
ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس
الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وادخلوهم
واشملوا الى جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة
تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان
يعد احدكم ثم لا ينجز اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من
رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء
ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد
ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع
كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت
فيما تعرضت له ولا يكترث بها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم
واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما
سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته
بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب
مشايعته كانت قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا
مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم
واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم
ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة
او عزة الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله

وذلك مما يوجب المثابة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام
والحوافر كقوله عليه السلام اخر وطأة وطئها الله بوج فالموطئ اما مصدر كالمورد
واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل يصلح ان
يكون مصدرا او مفعولا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو
عام في كل ما يسوؤهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا
كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك لشهوده ولهذا
الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك
الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم
لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر المهاجر بن ابي امية وزياد
ابن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فاسهم لهم
وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين وفرا عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمي
ظماة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما
انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم
ومجيئهم والوادي كل منفرج من جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل
فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض
يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي
ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت
في صحائفهم لاجل الجزاء اللام لتأكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم
لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة
لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة
فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة
طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في
الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها
ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم
والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد
الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم
ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا
لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ
العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في

الارض

١

والارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ويجوز ان يكون ... ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعدما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون
عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من
كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي
هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير
فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة منهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق
الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى
الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب
مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم لكن الاقرب فالاقرب اوجب وقيل هم قريظة والنضير الاقرب
وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم بنو قريظة
والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى
المدينة من العراق وغيرهما وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا
من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم
فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة
كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة
والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تأخذكم بهما
رأفة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه فمنهم من يقول
فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا
واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به
وايكم مرفوع بالابتداء وقرا عبيد بن عمير ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره
ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر
او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل
فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي
كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم وقرئ اولا يرون بالياء والتاء
يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون
من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله
ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من النصرة وتأييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون
وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم
تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف

فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير
الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب
المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان
من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم
ومن نسلهم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه
ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم
سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والتسعد
بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من انفسكم
اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله ص وفاطمة وعائشة وقيل لم يجمع الله
اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله رؤوف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن
الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه امورك فانه يكفيك معرتهم ولا يضرونك
وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس العرش لا يقدر احد قدره
وعن ابي بن كعب اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم وعن رسول الله ص ما نزل
علي القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا
علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام
مكية وهي مائة وتسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي تلك ايات الكتاب اشارة الى ما تضمنته
السورة من الايات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها
او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال
من ذا قالها الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره
وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون
مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان
قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند
الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون
نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان
يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا
يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان
يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان
الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض

ملائكة

ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا
لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى
والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اولادكم ولا اموالكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب
والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى
القول ويجوز ان يكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشأن
قولنا انذر الناس ان لهم بان لهم محذوف قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا
ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت كما سميت النعمة يدا لانها تعطى
باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى الصدق
دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وانه مقام صدق ان هذا الكتاب
وما جاء به محمد لسحر ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله ص وهو دليل
عجزهم واعترافهم وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر
يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر
في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره اخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت
السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها
على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير
وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج
امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد
اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم
الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده
ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك وانسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تتذكرون
فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون
في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم
وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه
التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته
هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدأ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي
نصب اي وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ
وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق

حقا بل الحق كقوله احقا عباد الله ان لسنا جاثيا ولا ذاهبا الا الى ربيب ونرى حق انه
بدا الخلق ثم يعيده كقوله حق ان نرى منطلق القسط بالعدل وهو متعلق بجزي والمعنى
ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم او بما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا وعملوا
صالحا لان الشرك اظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم
وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضيا منقلبة عن واو ضو لكسرتها
قبلها وقرى ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق
عقا والضيا اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او قدره
ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل ولتعلموا حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي
ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم
يخلقه عبثا وقرئ نفصل بالياء خص المتقين لانهم يحذرون الاخرة فيدعوهم
الى الحذر الى النظر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه
ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن
للحقايق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي
يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة واثروا القليل الفاني على الكثير
الباقي كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار
بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد
يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة
فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور
له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت فلقد
دلت هذه الاية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور
يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي
لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى
كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين
الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو
بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا
نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان

يراد

يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة
ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه
فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية واخر
دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى
وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة
للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله وانه
الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفي وينتعل وقرئ ان
الحمد بالتشديد ونصب الحمد على اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير
وضع استعجالهم الخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه
بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا
حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه
لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضي اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله
عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى
نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم
فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال
بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما
فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء
حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل
النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب اي ان
يخيله الجهد ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين
من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود
ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان
للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف
الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا وحذف الضمير الشان
قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان
بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر
واتباع الشهوات لما ظلموا لا اهلكناهم والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب
وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا

يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما
كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان
الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة
في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي
كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم
الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اي استخلفناكم في الارض من بعد القرون
التي اهلكناها لننظر كيف تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب
بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف
جاز النظر الى الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو
العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في
القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه
ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط
ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان
وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة واما
الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل
كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي
وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتي ولا
اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان
بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت
ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين
لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم
كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى
على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بان
العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت
لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن واراد بقوله
ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت
ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد
والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل
مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل

فاما

فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا
لافترائه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه
امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد
العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام
فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع
واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ
بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره
وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم
به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادراتكم على لغة من
يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته ويعضده قراءة ابن
عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم بالهمز وفيه وجهان
احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان
الالف والهمزة من واد واحد ولذلك اذا حركت الالف انقلبت همزة
والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم
بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم به بلام
الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم
به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة
ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا اي يكون
يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت
عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا
انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوا تحت قولهم ائت بقرآن غير
هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء
المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون مما اضافوه
اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل
ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على
الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة
العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى اتنبئون الله
بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له

له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان
خبرا ليس له مخبر عنه فإن قلت كيف أنبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من
المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبأوا به باطل غير منطو
تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه
وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الأرض تأكيد لنفيه لأن
ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة أو مصدرية
أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم وما كان الناس إلا أمة واحدة
حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم إلى
أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا
فيما اختلفوا فيه وليتميز المحق من المبطل وسبق كلمته في التأخير لحكمة أوجبت أن
تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا أنزل عليه
آية من ربه أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما
أنزل الله عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها
وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات
دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم تنزل عليه
آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه لفرط عنادهم وتماديهم وانهماكهم
في الغي فقل إنما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد
به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو فانتظروا
نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم
الآيات سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم
بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه
وإذا الأولى للشرط والثانية جوابها وهي للمفاجأة والمكر إخفاء الكيد وطيه
من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم فإن
قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا قلت بل دلت على ذلك كلمة
المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه
قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى
دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام إن رسلنا
يكتبون إعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون

باليا

باليا والتا وقيل يكرهم مولاهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة أن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها
فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا
ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فإن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير والتسيير في البحر إنما هو
بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة
بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح
العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء فإن قلت ما جواب إذا قلت جاءتها فإن
قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فإن
قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم
ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح فإن قلت فما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة
ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء
الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه والضمير في جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل
أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لأن الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة
أي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع أمكنة الموج أحيط بهم جعل إحاطة
العدو بهم مثلا في الهلاك مخلصين من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره
معه لئن أنجيتنا على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة القول يبغون في الأرض
يفسدون فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى
إلى الفساد فإن قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى هو استيلاء
المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله
ببني قريظة قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب فإن قلت ما الفرق بين القراءتين قلت إذا
رفعت فالمتاع خبر للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه
إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا
لا بقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع
الحياة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن
يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تمكر
ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام
أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما
الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك
الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه شعرا يا صاحب البغي إن البغي مصرعة
فاربع فخير فعال المرء أعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله وعن محمد بن كعب ثلاث

من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه
المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في
جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه
فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض زخرفها وازينت كلام
فصيح جعلت الارض اخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة
من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين وازينت وتزينت فادغم
وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت
ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون
لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم
واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من
الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث على حذف المضاف في
هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالامس مثل في الوقت القريب
كانه قيل كان لم تغن انفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام
السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة
عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشا وهم الذين علم ان اللطف يجدي
عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها
الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة ما يزيد على المثوبة وهي التفضل
ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي عليه السلام الزيادة غرفة من لولوة
واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها
الى سبعماية ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن
شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون
شيا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت
بحديث مرفوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون
اليه فوالله ما اعطاهم الله شيا هو احب اليهم منه لا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر
غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان ولا كسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل
النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة وترهقهم ذلة
فان قلت فما وجه قوله والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت
لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل
وللذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيات

جزا

يستقم [illegible]

جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه
من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على
ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات
الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم اي لا يعصمهم
احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما
يكون للمومنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل
جعله صفة له ويعضده قراءة ابي ابن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم
فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون
اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاوه الى الموصوف كافضائه
الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم اي الزموا مكانكم لا
تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله
الزموا مكانكم وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل
فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي
كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم
ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا
بينهم كقوله صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم
تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا
ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمراد بالشركاء الملائكة
والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله
عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في
ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو
كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار
مقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى
السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من
العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي
شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب
بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع
ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا في صحيفتها
ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته

حقيقته او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على التاكيد
قوله ردوا الى الله كقوله هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد
وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل
عنهم ما كانوا يختلفون من الكذب وشفاعة الالهة من السماء والارض اي يرزقكم منهما
جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار
من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما
ويحصنهما من الافات مع كثرتهما في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء
بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص
فلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من
الضلال فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته
ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال
لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال
وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقا كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة
ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك
حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم
لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم
كلمة الله ان هم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب
وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم
من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور
برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل
للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند
العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب
لانه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم يقال هداه للحق
والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى
بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال
والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وكسرت
الياء لاتباع ما قبلها وقرئ الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم
تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول
واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر

ببالهم

ببالهم ووفقهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح
وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي
لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه امن لا يهتدي من
الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان
ينقله الله من حالة الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون
انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم
ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام
انها الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما
يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن ان يفترى افتراء
من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة
لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها لقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى
وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه
مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله
عليكم فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك
كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان
تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق
وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل ايقولون
اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان
متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي
في العربية والفصاحة وقرئ بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ
بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه
للاستعانة على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر
على ذلك احد غيره فلا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه
افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه
ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويفقهوا تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم
عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس
بكلمة لا توافق ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة
انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحته او فساده

لم يشعر قلبه الاحجم مذهبه في فساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم
تأويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء
وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع
ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة
واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك كذب اي مثل ذلك التكذيب كذب
الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف
من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون
معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته
حتى يتبين لهم اهو صدق ام كذب يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه
ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان يتدبروا نظمه
وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم
من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به
منه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر
وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك
ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء
مما تعملون وقيل هي منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم
ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون
وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكن لا يصدقون ثم
قال أفأنت تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل
ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل
جميعا فقد تم الامر وأتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد
البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء
يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر
وقوله افأنت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء
كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو
وحده ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال
الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما
يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكن
ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من النهار يستقصرون وقت لبثهم في الدنيا

وقيل لبثهم في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا
قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت
كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله
كأن لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على
ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله على خسرانهم
والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين
بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك
او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون
في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب
كأنه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك
ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم
والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد
ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين
النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول وعذب المكذبين كقوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا
جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء
وقضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك
لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع
اي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة
اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء
ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم بياتا
نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل ليلا ونهارا قلت لان المراد
ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت
والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم
فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير
في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون
منه وليس منه شيء يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كأنه قيل اي شيء هول

شيء يستعجلون منه ويجب ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل للتبعيض [illegible]
فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني
ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطا
فيه فان قلت فهلا قيل ماذا يستعجلون منه قلت اريدت الدلالة على موجب ترك
الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك
فزعا من مجيئه وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون
جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا
ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه
امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو
والفاء في قوله افامن اهل القرى اوامن اهل القرى الآن على ارادة القول اي قيل
لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم
به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ الان بحذف الهمزة
التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام وقيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الآن
ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء
وقول الاعمش الحق هو وهو داخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان
اللام للجنس فكانه قيل احق هو ام الباطل او احق هو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب
الموعود اي بمعنى نعم في القسم كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون
في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين فائتين
العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض
اي ملكت الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وهو جميع منافعها على كثرتها لافتدت
به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا
الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوا قط ولم يخطر ببالهم وعاينوا
من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما
يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه
من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروا الندامة
من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها
اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء وسره اذا اطرح وليس هناك
تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذكر الاعلام
بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر

على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شيء والى حسابه وجزائه المرجع فيعلم ان ما وعده كائن ويخاف ويرجى
ولا تغتر به المفترون قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة
وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة
لمن آمن به منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد
والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا
فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا
بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته
فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك
فبمجيئهما فليفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله ﷺ فيما روي لتاخذوا — وقرئ فلتفرحوا
مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا هو راجع الى ذلك وقرئ مما
يجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله ﷺ تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال
بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه ارايتم اخبروني وما
انزل الله ما في موضع النصب بانزل او بارايتم في معنى اخبروني فجعلتم منه حراما
وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله
هذه انعام وحرث ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله
اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل
والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان
يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه
الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام وباعثة على وجوب
الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز وغير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن
لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم القيامة منصوب بالظن وهو
ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء
بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى بن عمر وما ظن على
لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظن الذين يفترون يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي
لانه كائن فكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم
بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا
اليه وما تكون في شان ما نافية والخطاب لرسول الله ﷺ والشان الامر واصله
الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشان لان تلاوة
القران شان من شان رسول الله ﷺ بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من

من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له ولله عز وجل ولا تعملون
انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه
من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه
الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالرفع والنصب والوجه النصب على
نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على
لفظ مثقال فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء
الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم
الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على
الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شئون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله
لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية
اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين
امنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فهو
توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم
الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات
والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان
من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة
لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم
الذين تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن
الناس ثم قرأ الاية الذين امنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاولياء او على
الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير
مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه
عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن
وعن ابي ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله
ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم
الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون
من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا
تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا خلف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك

اشارة

اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من
احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون
به في شانك ان العزة استئناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا
يعني ان الغلبة والقهر في مملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منهما لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك
عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان العزة لله بالفتح بمعنى لان
العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة
به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك
من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن
ان هؤلاء اذا كانوا له وفي مملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم
للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا
وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل
تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع شركاء اي وما يتبعون حقيقة
الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها
شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان يكونوا شركاء تقديرا باطلا ويجوز
ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب
بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء
فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل
ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي بن ابي
طالب عليه السلام تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون
مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام
عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع
الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي
يستحق بها ان يوحد بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون
في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم
ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب
من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه
له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات
وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ان عندكم

من جعله بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان
كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله
ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان
عليه لقايله فذلك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع
في الدنيا اي افتراوهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر
ومناصبة النبي صلى الله عليه وآله بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم
وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وتقال تعاظمه الامر مقامي مكاني
يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام
ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي
وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا
وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قياما وهم قعود
فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما
وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرا الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا
على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما
تقول اضرب زيدا وعمرا وقري فاجمعوا من جمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان
الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز اسناد
الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت
ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما
الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا
فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما
وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه
وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم
المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة
اي غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول
والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنه قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن
يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني
ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله
وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون
ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء يعني ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل

اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري
ونصيحتي فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من
طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي تثيبني به في
الاخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض اخر من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من
المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك
مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبري ساحته فذكر
ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما
ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في اخر المدة
المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم
خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم
وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا
الى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاوهم بالبينات بالحجج الواضحة
المثبتة لدعواهم فما كانوا ليومنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم
في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل وقبلها
كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين
والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف
اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل باياتنا بالايات التسع
فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها
ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي اثام عظام فلذلك استكبروا
عنها واجترءوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من
عند الله لا من قبل موسى وهارون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم
يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا
بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه
اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم
ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال
بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا
فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو قولهم
ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال

معنى السحر ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان
ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف
بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رافة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما
وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا
في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يطبع ويكون
لكما الكبرياء بالياء ما جئتم به ما موصولة واقعة مبتدا والسحر خبر اي الذي جئتم به
هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام
فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر وقرا عبد الله ما جئتم
به سحر وقرئ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه
او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه
ولكن سلط الله عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من
ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا
من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون
والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امراته وخازنه وامراة خازنه وماشطته فان
قلت الى من يرجع الضمير في قوله وملائهم الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة
ومضر او لانه ذو اصحاب ياتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف
من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من
فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون
لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر
والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم امنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا فاليه
اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم
لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط
ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما
قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم
ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل
على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة

لهم

لهم اي عذابا يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان
هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوا المكان اتخذه مباءة كقوله توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى
اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة
فيها واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن
معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مامورين بان يصلوا في بيوتهم
في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون
على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد اخرا
خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك
مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها
لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض
تعظيما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور
ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها زينة ما
يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت
لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت
فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا
اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم ايات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح
والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه
من الكفر والضلال المبين وراهم لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا وعلى الانذار
الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة
انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة
او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا
الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك
انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون
الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم فليكونوا ضلالا وليطبع الله على
قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده
اذا لم يقبل منه حمله على ما فيه من قبول نصحه وحردا عليه لا ارتضي خلاقته
واتباعه هواه ومعنى اشدد على قلوبهم اقسها واطبع عليها حتى لا ترحمها الايمان فلا يؤمنوا
جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على

التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا
عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين
المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي ائنك اتيت على الاستفهام واطمس
بضم الميم قد اجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا
يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في
قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكثا بعد الدعاء اربعين
سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله
في تعليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست لمصلحة وهذا كما قال
لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ فلا تتبعان بنون
الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع
قرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت
الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال
وجوزنا بني اسرائيل البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتبعهم فاتبعهم فادركهم يقال تبعته
حتى اتبعته وقرئ بغيا وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة
الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من امنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث
مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته
وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار
وعند بقاء التكليف الان اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق
وايست من نفسك قيل قال له ذلك حين الجمه الغرق يعني او شك ان يغرق وقيل
قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال امنت اخذ جبرئيل من
حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه
واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين
لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس
فحال البحر لا يمنعه والثاني ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو
كافر لان الرضا بالكفر كفر من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وروي ان جبرئيل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته

فكفر

فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد
ابن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق
جبرئيل خطه فعرفه ننجيك بالتشديد نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل
نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك
انه طرح بعد الغرق بجانب البحر كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في — اي في حال الروح
موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء
ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معدي كرب اعاذل
شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ
ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني
ببدنك كله وافيا باجزائه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية
لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان
يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام
بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على
ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون
ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية
محال وباطل وانه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون
لعصيانه ربه فما الظن بغيره او ليكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما
اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون
لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من
بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان
مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك
تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك بوأنا اخذوا منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام
فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرأوا التوراة وكسبوا العلم
بدين الحق ولزومهم الثبات عليه واتخاذه كلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق به عنه
وقيل هو العلم بمحمد ص واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته
وانه هو ام ليس هو بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان قلت كيف قال لرسوله ص ولكنه
فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق
عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين

قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك لا فرضا وتقديرا
وسبيل من خالجته الي مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرؤن الكتاب
والمعنى ان الله عز وجل ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان
امر رسول الله مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان
اراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان
وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها
اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء
اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقبلها على حيث يصلحون لمراجعة
مثلك ومسائلهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة
ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلعم بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق
من ربك اي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي
لا مدخل فيه للريب فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله
ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين
ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال
عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسال ولكن اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله
ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب به رسول الله صلعم والمراد خطاب امته ومعناه
فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع
ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك
فسل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم
بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسأل الذين يقرؤن الكتب حقت عليهم كلمة ربك ثبتت
عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا
يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد الله تعالى عن ذلك فلولا كانت فهلا
كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها آمنت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة
ووقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذه الغرق فنفعها ايمانها بان
يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم
يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما
آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى
الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجحدري
والكسائي

والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم
مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل
قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك امنا بك فلما
مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى
يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا وذهبوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان والدواب وبين بعضها الى
بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف
عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم
حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى
شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين
لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل
ابن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل
بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن
من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان
مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله افانت تكره الناس يعني انما
يقدر على اكراههم واضطرارهم على الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام
للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشأن في المكره من هو وما هو الا هو
وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم
عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي
علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين
لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين
لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان
رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاء وقرئ ونجعل بالنون ما ذا في
السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او
الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما
يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله فيهم كما يقال
ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا

ومن آمن معهم كذلك حقا علينا ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننج بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من
ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين
الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون
من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه
الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين
يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحى الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم
في شك من ديني وما انا عليه أاثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال
ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله
ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وان اقم
ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد
الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله
امرتك الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال
لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا
يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة
يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان
الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل
ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها
بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال
اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه
فان فعلت فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا
فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة
عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم
اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار
النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف
بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله
واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من
قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان
قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كأنه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة

والاصابة

والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام
بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد
ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة
قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره
الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضرر وكل اليهم
الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال
مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير
ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم
والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي
اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سقتني الكفرة فصبرت
فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي
الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه
فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها
في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون
بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبروا قال اذا
نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان ألا أبلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي
بانا صابرون فمنتظروكم الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من
غرق مع فرعون

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

احكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز
ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب
الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من
الجماح قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت
من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ
والقصص وجعلت فصولا سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة
واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت
ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة
احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة

له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبر بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت
اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها
وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او لان تكون ان
ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل لا تعبدوا الا الله وامركم على لسان
النبي عليه السلام انه نص على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير قال
ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير وبشير كقوله فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز
وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هو صلة لنذير اي انذركم
منه من عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا قلت
معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار ثم اخلصوا
التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة
مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه
حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل
وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في
الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم
القيمة ثم وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وقيل عذاب اليوم الكبير بان رجعهم
الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان
تولوا الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على
الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا
منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير
اضمار يريدون العود للمعنى الى اضمار الاضمار في قوله ان اضرب بعصاك البحر فانفلق
معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء
حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح جعلوا
اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني
انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء
والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي
انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن
سياق الحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر
وقيل نزلت في المنافقين وقرئ يثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى
كالحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس ليثنون صدورهم وقرئ

تثنون

واصله تثنونن تفوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثني كما
ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال
منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال على الله
رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل
واجبا كنذور العباد ويعلم مستقرها مكانه من الارض ومسكنه ومستودعها حيث كان مودعا
قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل
خلق السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله
ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم
متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها
بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر
وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي
لاحوالكم كيف تعملون فان قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى
العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا
لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين
هي التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين جميعا فتفاوتها الى حسن حسن
وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما
هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على
مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقرئ ولئن قلت
انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق انك تشتري لحما
ولعلك بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه لا
تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين ما تبينا القول ببطلانه وبعض العرب
فلك بمعنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر مبين ان هذا باطل وان بطلانه كبطلان
السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا
جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر
يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن
ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات قليلة ما يحبسه ما يمنعه من النزول
استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس وليتقدم

من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس في ذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على
جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم
ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون موضع
يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله
في اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه
تلك النعمة انه ليئوس شديد اليأس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع
رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران
لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه
لفرح فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين
صبروا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان شكروا وان زالت عنهم نعمة ان صبروا كانوا
يقترحون عليه تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به
كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون
بالقران ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر
رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء
الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به
وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا
نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم
ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل
يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك
بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم
واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير
ثابت لان رسول الله كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد
السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا
قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس
باد شحوبها ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة
كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد
اقتصرت منك على سطر واحد مثله في حسنه ذهابا الى مماثلة كل واحد منها له مفتريات

لعشر

لعشر سور لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله واقاموا
على دعواهم فارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر
كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون
عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون
به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان
مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد
قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين
كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون
الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه اخر وهو
ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب
لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان
طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا
الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله
الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون
بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين
فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل
من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم
نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها
من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان
قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن
قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود
والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة الرزق	يخصص العام
وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم
في الغنائم وقرئ يوف بالياء اي يوف الله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالياء على البناء
للمفعول وفي قراءة الحسن يوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله
يقول لا غائب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الاخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم
يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا
وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل
الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان يكون

ما ابهامية و نصب بيعملون ومعناه وبطلا اي باطلا ما كانوا يعملون وان يكون بمعنى
المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحياة
الدنيا فمن كان على بينة من ربه اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم بينهما ان
بين الفريقين تفاوتا بعيدا حتى بنا بينا بينا واراد بهم من امن من اليهود كعبد الله بن
سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام
حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان وهو القرآن شاهد منه اي
شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم
ذكره انفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلوا ذلك
البرهان ايضا من قبل القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
ومن قبله كتاب موسى ويتلوا من قبل القرآن التوراة اماما مؤتما به في الدين
ورحمة على المنزل عليهم اولئك يعني من كان على بينة
يوصفون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن تحزب معهم
المتحزبين على رسول الله فالنار موعده ولا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما
الشك منه من القرآن او من الموعد يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض
اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه
اتخذوا وتهكيل ارتياب الا لعنة الله على الظالمين مؤاخذون وافتضحوا والاشهاد جمع
شاهد او شهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة
او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالاخرة واختصاصهم
به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان
يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم منه ويمنعونهم من عقابه ولكنه
اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب
وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع المراد انهم لفرط تصاممهم عن اتباع الحق وكراهتهم
له كانهم لا يستطيعون ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه متوعدا به على اهل العدل
كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه
سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من
دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء
بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد جديد وانهم شرعوا عبادة الالهة لعبادة الله

فلن

فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم
وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم فيه في مكان
اخرهم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وانقطعوا
اليه عبادة بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قوله النبي
الذي الخبيث القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل الثناء منه مثل
الفريقين فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من
اللف والطباق وفيه معنيان ان شبه الفريق بشيئين اثنين كما شبه امرؤ القيس
قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع
بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة على
الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها
اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم
نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو
في كان ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله بدل من
اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا
او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا
وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما
قولك نهارك صائم وجد جده الملأ الاشراف من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان
مطيقا له وقد ملؤوا بالامر لانهم يكفايات الامور واصطلحوا بها وتبدروها او
لانهم يتمالؤون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس
ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ما نريك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق
منهم بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب
انك واحد من الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم
وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع
الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا بادي الرأي بالهمز وعن الهمز
بمعنى اتبعوك اول الراي وظاهر الراي والتصابه على الظرف اصله وقت حدوث
اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه
ارادوا ان اتباعهم لك انما هو اول شيء من بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا
المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا
من الحيوة وكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك

وينبون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من
الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا من ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة
والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها
مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله
والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة
بل نظنكم كاذبين فيما تدعون ارايتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من
ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء البينة
على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة
النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه
الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان
يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى
اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة
كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت
عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت
فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم
فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون
يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا
اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني
منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي
عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان
الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ
طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا اسالكم عليه راجع الى قوله اني لكم
نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقرئ وما انا بطارد الذين امنوا بالتنوين على
الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب
من طردهم او ملاقوه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي
منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي
الراي من غير نظر ولا تفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى
اطردهم ان كان الامر كما تزعمون او يجوز ولا تطردوا الذين يدعون ربهم اراذل هم
مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على

المؤمنين

المؤمنين وتدعونهم اراذل من قولهم الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او
تجهلون انهم خير منكم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا
بالايمان مطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء اعلم الغيب معطوف على
عندي خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله
فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل
ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس
اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا
احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا
والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم اني اذا لمن الظالمين
ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى
به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا فاكثرت معناه اردت
جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا
من العذاب المعجل انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الا الى من
كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس
فاكثرت جدلنا فان قلت فما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان
الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله ولا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم
ما دل عليه فوصل بالشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان
امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من
الكافر الاصرار فخلاه وشانه فلم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا
عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم
من غوي الفصيل يغوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر
بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلي
اجرامي والاجرام بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم
واجرام قفل واقفال ونصر الجمع ان سنة الاولون ما تامرون والمعنى ان صح وثبت اني افتريته
فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا علي فانا بري
يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا
وجه لاعراضكم ومعاداتكم لن يؤمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تتعلق به التوقع
الا من قد امن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع منه من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت
محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس مستكين بما فعلوه ابتأس فلان اذا بلغه شيء يكرهه

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام
لك منهم بأعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه
اعينا تكلأه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا
وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع وعن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه
ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك
واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك
وقضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء
امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن
عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه
عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا
فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا
وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا
نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا
او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة
الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان
نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا
وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في
البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام
وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله
معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق
بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه
فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب وقال عيسى
اهكذا هلكت قال لا ولكني مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا
عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت
ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن
الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه
عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه

حلول

حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى هي
التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت كيف وقعت غاية
لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت
فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كأنه قال
يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت
انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل
او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك
ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول
انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه
وارادته تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته وما آمن معه الا قليل وروي عن النبي
انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة
خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام
وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان
يكون كلاما واحدا او كلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا
من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها
اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما
الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء
والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان
ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدأ وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها
وارساؤها وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان
ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد
بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها بفتح الميم من جرى
ورسى اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل
مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان
نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل
ان يكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاءنا بهم سكر علينا فلا يكون
كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل
اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور
رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم

قلت محذوف دل عليه قوله اركبوا فيها بسم الله كانه قيل اركبوا فيها يقولون بسم الله مجريها
بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل
في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان
الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح
السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال
الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام
وقرئ على ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء
يريد ان ابنها فاكتفى بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالت الحسن فقال
والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل
الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل
بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر
ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم وقرا
السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه في معزل مفعل من عزله
عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين
وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من الاضافة وبالفتح
اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف
لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من
الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله
ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال لا يعصمك اليوم معتصم قط
من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم
لا ذا عصمة الا من رحم الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم ما ينادى به
الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله
يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من
الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه
فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه
وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون
من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم كان
المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع
المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا

من

من هلاك قومه واستوت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا
اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء
اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون
الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب
الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره
ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من
المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين
وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك
المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من
رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء
وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا
عم صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه دعاه وهو قوله
رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله
رب فكيف عطف فقال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد
النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من
اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان
وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به
وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه
لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي
الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر
ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من
الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من
اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك
من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن
على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة
في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح اي ان نداءك هذا عمل غير صالح
وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه من اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي
التي يستبقى معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم
اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله لا تتاح عند بني

قادر

نزع ما رقعه حتى اذا ادرك

من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ
فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون المثقلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس
مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة
دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمي نداؤه سؤالا ولا
سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد
بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا
وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده
ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر
لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف
الميعاد فطلب اماطة الشبهة من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة
اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه
شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين منهم فعوتب على ان اشتبه عليه
ما يجب ان لا يشتبه ان اسألك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته
تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك وان لا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني
بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا
من جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات
النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان
فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم
تتشعب منهم وان يكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى
آخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره
وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى
ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك امم ممتعون
بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن
كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة
الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله
عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم المتمتعة قوم
هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها
اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل
هذا من قبل ايحائي اليك واخباري بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت

فاصبر

فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحوا
مما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا
قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك
شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل
بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان
وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ وغيره بالجر صفة على اللفظ ان
انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من
رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا
يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون
نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شيء انفى للتهمة من
ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح
الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان
وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين
وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا
من شدة البطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل
اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين
وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنه انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه
بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني
ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال
ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم
وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم
فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير
في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمصدقين
وما يصح من امثالنا ان يصدق مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك
مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك
ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك
بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين ولم يعجب من اولئك ان التي

في الاستغفار خبلة وجنونا فهم عاد أعلام الكفر وقادة الشرك ولقينا العجيب من قوم من
المتظاهرين بالإسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب إلى ربه مخبلا
ولم نجدهم معه على عشر ما كانوا عليه في أيام جاهليته من المواخذة وما ذاك إلا لمرق
من الإلحاد إلى أن يشعر شعب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم
المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون
إلى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا
في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب ومن أعظم
الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا إلى إراقة دمه يرمونه عن قوس
واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح
عليه السلام لقومه ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها
بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل
الله شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعل ذلك فإن
قلت هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم قلت لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك
إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما إشهادهم فما هو إلا
تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف
ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه
اشهد علي أني لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من إشراككم
آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها
هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون من
غير إنظار فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم علي وأنتم الأقوياء
الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني إذا نلت
منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على
الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال
ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ
بناصيتها تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه
لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فإن تولوا فإن تتولوا فإن قلت الإبلاغ كان قبل
التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم
محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول
ويستخلف كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم ولا تضرونه

بتوليكم

بتوليكم شيئا من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضرون أنفسكم وفي قراءة عبد الله
ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى إن تتولوا يعاجلكم
ويستخلف قوما غيركم ولا تضروه إن ربي على كل شيء حفيظ أي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه
أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم ومن كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة
إلى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه قيل كانوا أربعة آلاف
فإن قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال
ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أن
الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم
عضوا عضوا وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه
وأشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك
عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا
ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا
عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله وقيل لم يرسل إليهم
إلا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع
أمرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم على وجوههم في عذاب الله ألا وتكرارها مع النداء على كفرهم تهويل لأمرهم
وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فإن قلت بعدا دعاء بالهلاك
فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألا
ترى إلى قوله إخوتي لا تبعدوا أبدا وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان
لعاد فإن قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه
أن يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم أمرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن
عادا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم هو أنشأكم
من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب
واستعمركم وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس
قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف
الرعايا فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى إليه أنهم عمروا بلادي
فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء أرض في آخر أمره فقيل
له فقال ما حملني عليه إلا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثار
وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن

يكون ملتمسه في معنى العمر كقوله استعمركم بمعنى اهلكم او بمعنى اعمركم دياركم ثم هو وارثها منكم عند
انقضاء اعماركم او لانه في ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث
من بعده داره فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل
المطلب مجيب لمن دعاه وساله قد كنا فينا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير
وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا
في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن
ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وانّنا
على ما نحن عليه يعبد اباونا حكاية حال ماضية مريب من ارابه اذا اوقعه في
الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين ومن اراب الرجل اذا كان
ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين
انه على بينة من ربه لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من
ربي وانني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن ينصرني
من عذاب الله فما تزيدونني غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها
او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى
الخسران اقول لكم انكم لخاسرون اية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم
الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبما يتعلق لكم قلت باية حال منها متقدمة
لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب
عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم تمتعوا في
استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي
يتصرف في دياركم لبلادكم ويقال للعرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار
فانهم كانوا من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء
وهلكوا يوم السبت غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى
المفعول به كقوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل
للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان
المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق ومن خزي
يومئذ قرئ بفتح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت
المشيب على الصبا فقلت الما تصح والشيب وازع فان قلت علام عطف قلت على نجينا
لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ وكانت
التنجية من خزي يومئذ اي من ذلة ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه

بغضب

بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب
الاخرة وقرئ الا ان ثمود والثمود بالصرف وبغير صرف فالصرف للذهاب الى الحي
او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا يريد الملائكة وعن ابن
عباس جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا
تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم
لوط والظاهر الولد قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال
سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق
الغمام اللوائح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة
ويسمى الحسيل والخبش بلغة السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف
في اخدود وقيل حنيذ يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تقطر
عرقا ويدل عليه بعجل سمين نكرهم وانكرهم واستنكرهم ومنكر وقيل في كلامهم نكرتك
انا انكرتك اذا لم تعرفه وتنكرت منك واستنكرت اذا انكرتك قال الاعشى وانكرتني وما كان
الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض
فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من طعامه امنوه
والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم
لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قوله لا تخف انا ارسلنا الى
قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيما ارسلوا فاوجس فاضمر
كما قالوا لا تخف انهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله
او علموا ان الله علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته
قائمة قيل كانت وراء الستر تسمع محاورتهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم
وفي مصحف عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة
او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد جاءهم
العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم ابن اخيك اليك فاني اعلم انه سينزل بهؤلاء
القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت
وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء
اسحاق يعقوب مولود او موجود من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه
قيل له هذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرا يعقوب بالنصب كانه قيل
ووهبنا له اسحاق ويعقوب ومن وراء اسحاق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين
عشيرة ولا ناعب الالف في يا ويلتي مبدلة من ياء الاضافة ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء

المجيد

على الحال وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي
هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا وشيخ خبره او يكونان خبرين للمبتدا قيل بشرت ولها
ثمان وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون ان هذا لشي عجيب يعني الولد من
هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله كانما انكرت عليها الملائكة تعجبها
فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور
الخارقة للعادة فكان عليها ان تتوقر ولا تزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشيات في
بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات
الله عليهم في قولهم رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها
مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب
وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمت الله وبركاته عليكم كلام مستانف علل به انكار
التعجب كانه قيل اياك والتعجب وان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من
الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم
من ولد ابرهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الاحسان اليهم
واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد
اهل البيت خليل الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما
اطمان قلبه بعد الخوف وملي سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب
لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستانف
دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم
ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جي به مضارعا
لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال
وقيل معناه اخذ يجادلنا او اقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا
قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها
رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله في قوم لوط عن ابن عباس قالوا ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة في معناهم م
ما قوم لا يكون فيهم عشرة لا يكون فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم
غير عجول على كل من اسا اليه اواه كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله بما
يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرافة والرحمة فتبين ان ذلك الذي
حمله على المجادلة رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله

على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت
الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء امر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب
وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعا ولا بغير ذلك كانت ساء لوط
وضيق صدره لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم
وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا
بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية
في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت
امراته فاخبرتهم فجاؤوا يقال يوم عصيب وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه
اذا شده يهرعون يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيات ومن قبل ذلك
الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم
استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حيا وقيل معناه وقد عرف لوط
عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية
الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات جائزا وقد زوج رسول الله
من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان
فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر بالنصب وضعفه سيبويه وقال
احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا هن اطهر بالنصب فقد تربع في
لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما عمل في هؤلاء من معنى الفعل كقوله
هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل
هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة
ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء
مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا
فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او الخزاية
من الخزاية وهي الحيا في ضيفي في حق ضيفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد
خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد
يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرى ولا تخزون بطرح الياء ويجوز
ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا
عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار
العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا
في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران

مذهبنا ودينا لتوطئتهم عليه كانما عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك
قالوا ما لنا في بناتك من حق فلان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه
ويجوز ان يقولوا ذلك على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم
فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى لو ان لي بكم
قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي
به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت
الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في
شدته ومنعته ولذلك قالت الملايكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال
النبي ﷺ رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار
ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني   وقرئ الى ركن بضمتين
وتمامه احب الي من لبس الشفوف
وروي انه اغلق بابه حين جاوا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا
الجدار فلما رات الملايكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك
لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل
ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان
وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس
اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا
وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة
للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فاسر
بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم
قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت
ما وجه قراءة من قرا الا امراتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل
عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت
على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها من
احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي
فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان
يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين
جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السما
نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل هي
كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل

ط

على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل
لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة
وقيل عليها سيما تعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل اسم من يرمى به وما
هي من الظالمين ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله ﷺ انه سال جبريل فقال
يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل
الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد
ويجوز ان يريد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد
الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه اني اريكم بخير
يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان يقابل بغير
فلا تزيلوها عنكم بما انتم عليه كقول مومن ال فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين
في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا الله يوم محيط مهلك من قوله واحيط
بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف
اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط
بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن
النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن القبيح الذي كانوا
عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي عنه وتعييرا له ثم
ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه حسن
وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير
زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه
وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط
وعدل فهذه ثلث فوايد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير
افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي يمكسون وكانوا ياخذون
من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من
الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع الطريق السبيل ويجوز
ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه
عما هو حرام خير لكم ان كنتم مومنين بشرط ان تومنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة
لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فائدتها مع
الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فايدتها مع فقده لانغماس
صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان

ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اليكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله
من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية
الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله تعالى
ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكقولك طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي
تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت
لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا وقد بلغت او ناصحا وقد
اعذرت حين انذرت كان شعيب عم كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي
تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلوتك تامرك السخرية والهزء والصلوة
وان جاز ان يكون امرا على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث
عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلوته وارادوا
ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله
لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به امر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به هذيان
ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم
انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال
ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف
الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك على التوحيد
وقرئ ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بالخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم
به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان
ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها فارادوا بقولهم انك لانت الرشيد
نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال
له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون
ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو
ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان
قلت اين جواب ارايتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف
وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى
اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي
ان آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال
خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده

ويلقاك

ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب
اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح
ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت
ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من
الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني
موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضى الله الا بمعونته وتاييده والمعنى
انه استوثق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي
ضمنه تهديد الكفار وحسم لاطماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى
مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة
بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي اي لا يكسبنكم
شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له
اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقول اكسبه المال من
كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته
ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهور افصح
لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء
العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا وروي عن نافع مثل ما اصاب
بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط
منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين ولا يبعدون
منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه
قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء
بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير
بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما
رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة من يوده من الاحسان
والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه
وكراهة له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه
فكانهم لم يفقهوه وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه

حمامة في غصون ذات اوقال

ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب
الانبياء وقيل كان الكتفي فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان
اردنا بك ما عرفنا وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا
وليس بسديد لان فينا يأباه الاترى انه لو قيل لنا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى نسخه
فيهم وفي غيرهم فكذلك قالوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلثة الى العشرة
وقيل الى تسعة وانما قالوا لولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم
لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك اي لقتلناك اشر قتلة وما انت علينا بعزيز اي
لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك
لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي
على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم
الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت
علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت الكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة
عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي
الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله
الا ترى الى قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه
وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر
من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط قد
احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى
المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او يكون مصدرا من مكن مكانة فهو
مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا
متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة
والتأييد ويمكنني من تأتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله
فيها كانه قال سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون
موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي
هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت
ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف
الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا
وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة
كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الاصلين الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب

علم البلاغة البيان فتكاثر محاسنه ولم تهتموا اوليطول العاقبة ولما اقول لكم اني معكم رقيب
اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى
المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت
قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان
القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى من يأتيه عذاب
يخزيه اي الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم
لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان
قلت ما بال ساقتي قصتي عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان
بالفا قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح
ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت
وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان
يعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الصيحة اللازم لانه لا يريم كان لم يغنوا
ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو فجأة كان لم يغنوا
كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك
كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى
في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة
الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد
وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان
ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها
باياتنا وسلطان مبين فيها وجهان ان يراد ان هذه الايات فيها سلطان مبين
لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون
برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه
شكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر
الذي لا يأتي الا من شيطان مارد فمثله بمعزل عن الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا
له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو
غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم الى ما يحمد
عاقبتهم وهؤلاء شاهدوا الايات والسلطان المبين فلم يهتدوا وعلموا ان معه الرشد
والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة
لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون

برشيد ما امر صاحبه من العاقبة وكيف قوله يقدم قومه يوم القيمة تفسيرا لذلك وايضاحا
اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما
يذم ويسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه
ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم
ولم جي بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم
النار لا محالة والورد المورود والورد الذي يرد وشبه بالفارط الذي يتقدم الواردة
الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يورد
لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون
في الدنيا ويلعنون في الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك
ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل
بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك
النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها قائم وحصيد اي بعضها باق
وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه
الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب
ما اهلكوا به فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون
وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير
يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل
ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ كذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ
القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير
من سوء عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل من ظلم غيره
او نفسه بذنب يقترفه ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة
ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة وبلاغة اعتبر به
عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله
ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة يدل عليه
والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي
فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع
الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب
قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم
ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى مجموع له الناس يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب

يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا
اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم
لفلان مجلس مشهود وطعام محضور لانه يحضره من قواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك
ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر
فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته
مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل
التمييز كما تميز يوم الجمعة من ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا
في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله تعالى فمن شهد
منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن
شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني من كان منكم مقيما حاضرا في وطنه في شهر رمضان
فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما شاهدان للشهر لا يشهده المقيم
ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها فيقال قوله وما
نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء
يوم يأت بغير ياء ومنه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء
عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله
هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ
وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة
فان قلت بما انتصب الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما
بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا
جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت
قلت المراد اتيان هوله وشدائده لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له لا تكلم و
الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها
وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن
ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي
بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم
فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكر لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد
مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له
الجنة لاحسانه وقراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير
اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج

ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الاخرة وارضها وهي مخلوقة
ابدا والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله
واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الاخرة مما يقلهم ويظلهم
اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة
عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب
وغير ذلك من كلمات التأبيد فان قلت ما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود
اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في
نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير
وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم
واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو
رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله عليهم سوى ثواب
الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله
في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل
الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القران يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول
المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي
على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها
احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث
فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين
زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن
العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق
ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب عليه السلام
ما يشغله عن تسييره هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله
لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم
من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص
في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله ص وعدة بالانتقام
منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل
حال ابائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بابائهم فسينزل بهم مثله وهو

استئناف

استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم
وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم
من العذاب كما وفينا اباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب
الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه
وحقه كاملا وناقصا فاختلف فيه امن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القران ولولا كلمة
يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية
ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم
جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم
اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل
الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان
نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان
بن ارقم وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين
كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة
مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على
المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى
فاستقم انت وليستقم من تاب من الكفر وامن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود
الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت
على رسول الله ص في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الاية ولهذا قال
شيبتني سورة هود والواقعة واخواتها وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب
فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله ص في النوم فقلت له روي
عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك
الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق ع فاستقم كما امرت
قال افتقر الى الله بصحة العزم قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن
ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من
باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على
البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم
ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضاء باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم
ومد العين الى زهرتهم وذلك بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو
الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان

الموفق صلى خلف الامام فقرا هذه الاية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف
بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري
السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي
لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من
كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه
للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت
سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور
عليك رحا باطلهم وجسرا يعبرون الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون
الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما اكثر ما اخذوا منك في جنب ما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان
تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض
ولا في السماء وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن
الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة
احسن من قارئ على باب هؤلاء ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء
فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك
في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم
من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم اي تمسكم النار وانتم على هذه الحالة
ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم
منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان
قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استحقاقهم العذاب
واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي
الساعة القريبة من اخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر
وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار
واتيته نصف النهار واوله واخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه
واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى
جمع زلفة كظلم جمع ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر في يسر والزلفى

بمعنى

بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من اخر النهار وقربها وزلفا من الليل وقربها
من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفى
من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغاير بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في
تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية
الانصاري كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال ان في البيت اجود من هذا التمر
فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة
لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال
له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل
للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان
الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين
عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة بالتذكير وهو الكرور
لفضل خصوصية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق
بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به
فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوة والانتهاء
عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان فهلا
كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القران فمعناها هلا الا التي في الصافات
وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا
رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا بقية اولو فضل وخير
وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة
والفضل فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم
ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى
كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو بقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله
وعقابه وقرئ اولوا بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقيتنا
رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من
انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع ولكن قليلا ممن انجينا ومعناه
من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان

لا يليهم مرادين البقاء اغناء للتشاجر وتحريضهم بين قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا
الذين ظلموا فان قلت هل لي توقع هذا الاستثنا متصلا وجه عطفيه قلت ان جعلته
متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على
النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما يقول هلا قرا قومك القرآن الا الصلحاء منهم
مستثنيا الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم الجاري على
الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان استثناء
متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثنا وان كان الافصح ان يرفع على البدل
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا
بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم
بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب
العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرا ابو عمرو في رواية جعفر
واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون في القراءة المشهورة
انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا
منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا
الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع
الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو
للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله وكانوا
مجرمين قلت على اترفوا وكانوا مجرمين اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع
الشهوات مغمور بالاثام وادمت بالاجرام اعقابهم بالشكر وعلى تبعوا اي اتبعوا شهواتهم
وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم اللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى وما كان من حكمته
ان يهلك القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان
اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها
وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة يعني الاضطرار لهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله
ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم
الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق
وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله
ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول

وتضمنه

وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق
بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه
قيل وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك بين ان كل وعوض يكون
المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على
الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وطمأنينة
قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة
او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى وقل للذين لا يؤمنون
من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر
انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم ولله غيب السموات
والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد
ان يرجع اليه امرك وامرهم فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وما
ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به
وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى عليهم السلام ويوم القيمة من السعداء ان
شاء الله ذلك

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت
اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن
تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها
لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي ان
علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف
انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن
قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا
بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص عليك احسن القصص على
وجهين ان يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصا كقولك شله
يشله شلا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنقص والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى
المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد القصص

تسميته به

معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بما أوحينا إليك هذا القرآن أي بإيحائنا إليك هذه السورة
على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر لإضافته إليه فيكون المقصوص محذوفاً لأن
قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص عليك
كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن الاقتصاص أنه
اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي
كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتب منها مقارباً لاقتصاصه في القرآن وإن أريد
بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وإنما كان أحسنه
لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما
اقتص في بابه كما يقال في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه فإن قلت مم
اشتقاق القصص قلت من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ
منه شيئاً فشيئاً كما تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية
وإن كنت إن مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله
راجع إلى قوله بما أوحينا والمعنى وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من
الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه
إذ قال يوسف بدل من القصص وهو من بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص
وهو المقصوص فإذا قص وقته فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل
عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربياً لانصرف لخلوه من سبب آخر سوى التعريف فإن قلت
فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو
عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف وإنما منع الصرف للتعريف
ووزن الفعل قلت لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون
عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال
هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي ﷺ إذا قيل من
الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم يا أبت
قرئ بالحركات الثلاث فإن قلت ما هذه التاء قلت تاء تأنيث وقعت عوضاً من ياء الإضافة
والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف فإن قلت كيف جاز إلحاق تاء التأنيث
بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فإن قلت فلم
ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة قلت لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل
واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره فإن قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة

التي

التي كانت قبل الياء في قولك يا أبي قد زحلقت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون
ما قبلها مفتوحاً فإن قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وبقي التاء
ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لأنها اسم والأسماء حقها التحريك لأصالتها في الإعراب وإنما
جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفاً لأنها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو
كاف الضمير فلزم تحريكها فإن قلت يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض
والمعوض منه لأنها في حكم الياء إذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا أبتي فلا يجوز يا أبت
قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض
لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير ألا ترى إلى قولهم
يا أبتا مع كون الألف فيه بدلاً من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعاً
بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك فإن قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام
على الإضافة لأنها قرينة الياء ولصيقتها فإن دلت على مثل ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة
لغو وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أبي فإن قلت
فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت أما من فتح فقد حذف الألف من يا أبتا واستبقى
الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز أن يقال حركها بحركة الياء المعوض
منها في قولك يا أبي وأما من ضم فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة
بالتاء فقال يا أبت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضاً من ياء الإضافة وقرئ
إني رأيت بتحريك الياء أحد عشر بسكون العين تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في حكم
اسم واحد وكذلك إلى تسعة عشر إلا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من
الرؤية لأن ما ذكره معلوم أنه منام لأن الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة
ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عم ولما خفيت عليه وعلى غيره من
الناس فإن قلت ما أسماء تلك الكواكب قلت روى جابر أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال
يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله ﷺ وآله فنزل جبرئيل
فأخبره بذلك فقال النبي ﷺ لليهودي إن أخبرتك هل تسلم فقال نعم فقال جربان والطارق
والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي إي والله إنها
لأسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته وعن وهب أن
يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة
الدارة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال إياك

ان تذكره لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها
على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته
اليه اربعون سنة وقيل ثمانون سنة فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت ليعطفهما على الكواكب
على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخرج جبريل
وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب
مع الشمس والقمر فان قلت ما معنى تكرار رأيت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على
تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رأيت احد عشر
كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى
العقلاء في رأيتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى
عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه
فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب دلالة الرؤيا
على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين
كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة
بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى
وقرئ رياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالادغام وضم الراء وكسرها
وهي ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم
اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها
عليهم كادوك فان قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فيكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى
باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف
وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تأكيده بالمصدر عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم
وحواء وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط
من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني كما
اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبر شأن يجتبيك لامور عظام
وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك
والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض
جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتأويلها عبارتها
وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتأويل الاحاديث
معاني كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها

ويدلهم

ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانها يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال
الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهي اسم جمع
للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان
جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابراهيم
بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحاق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج
يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا
بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه
وقالوا ما رضي ان سجد له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة
لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة
فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على
يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم
وقيل اصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي
وآل الملك ولا يقال آل الحائك وآل الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد
لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين
فلان عدة وابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء
حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات
ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها
وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من
غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص
الله على النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به
وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان
ونفتالي وجاد وآشر السبعة الاولون من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون
من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف
ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة اراد ان زيادة محبته
لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان
امهما كانت واحدة وقيل احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما
فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا
اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما
اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق

زيادة المحبة منه لفضلنا بالكثرة والمنفعة علينا ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق
الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك
لانهم جماعة تعصب بهم الامور وتستكفى النوائب وروي النزال ابن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن
عصبةً بالنصب ومعناه ونحن نجتمع عصبة وضعف ابن الانباري هذا لا يقول العرب انما
العامل فيه معه اي بنجتمع عصبة اقتلوا يوسف من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم
اطبقوا على ذلك الامر قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون وقيل دان
والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى
تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة
يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم اقباله ولا يلتفت الى غيركم والمراد سلامة محبته
لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل
اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك
وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته
بالقتل والتغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى
الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او يصلح دنياكم وتنتظم امركم
بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما جزم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى
مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح
الارض قال لهم القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر
واظلم من اسفله قال المنخل فان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والاهل
اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرى غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرى
الجحدري غيبة والجب البير لم تطو لان الارض يجب جبا اي يقطع يلتقطه ياخذه بعض السيارة
بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرى تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة
سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين
كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي ما لك لا تأمنا على يوسف باظهار النونين
والادغام باشمام وغير اشمام وبتمامه بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير
ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا ما يدل على خلاف النصح والمقة وارادوا بذلك
عزمهم على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم
بما اوجب ان لا يأمنهم عليه يرتع نتسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة
وقرى نرتع من ارتعى وقرى يرتع ويلعب بالياء وقرا العلاء ابن سيابة يرتع بكسر
العين ويلعب الى يوسف بالاستباق فان قلت كيف اجاز لهم يعقوب اللعب قلت كان لعبهم الاستباق

والانتضال

والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قولهم انا ذهبنا نستبق
وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم وقد
احدها ذكره سيبويه من ان المضارع هنا عند دخول اللام يتعين للحال ان ذهابهم به ومفارقته
اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا
غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قلة اهتمامهم ولم يصدق بحفظهم عنايتهم وقيل راى في
النوم ان الذئب قد شد على يوسف فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء
موكل بالمنطق وقرى الذئب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح
اذا اتت من كل جهة القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذئب واللام موطئة
للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة
للحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم والحال
انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون
ضعفاء وخورا او عجزا او مستحقون ان يدعى عليهم بالخسار والدمار وانه
حسبهم بالسود هم حين اكل الذئب بعضهم لهم خاسرون وقيل ان لم نقدر على
حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين
فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر قلت هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين
فاعاروه اذنا صما فلم يعبأوا به فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب وانى
اجمعوا امرهم وقرى في غيابات الجب قيل هو بير بيت المقدس وقيل بارض الاردن
وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف
ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له
العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة
والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء
فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق
بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا
اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا انما نزعناه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم
فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البير فلما
بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها و
هو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم
يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار جرد
عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب

فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل
اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان ابن سبع
عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليونسه في الظلمة والوحشة ويبشره بما يؤول اليه امره
ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات
وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع
فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم
يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب
وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون
بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك
ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله
وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي لقيتهم حيا
وعشيانا واصيلا واصيلالا وقد روي ابن جني عشا بضم العين والقصر وحاكي عشوا
من البكا وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها
تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان
يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل
اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي
وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو وفي الرمي وجاء في التفسير ننتضل وما انت بمؤمن
لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف واسأت الظن بنا وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب او وصف بالمصدر
مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته
فهو بجود وكرم به جل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز ان
يكون مفعولا له وقرأت عائشة كدب بالدال غير معجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله
من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في
قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب
لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى
حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني
ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم

والقاه

والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر وان قلت على قميصه
ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال
فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه
قال بل سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف
وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي
اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل
وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه
لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم
على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه
يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان اي المستعان به
على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة
رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاث ايام من القاء يوسف في
الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران
لم تكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم
يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي
للقوم يا بشراي نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا اوانك وقرئ يا بشرى بغير
اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة
الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في
دعائهم يا سيدي ومولي وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء
الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف فادلى دلوه اي ارسلها في
الجب فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج فاذا هو غلام احسن ما يكون فقال يا بشراي
هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه المضمر للوارد
واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم
دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا
للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة
نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع
عليهم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم
بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه باعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن

القيمة نقصا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن
لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليل معدودة
لان الكثير يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي
اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طفيف من الثمن
لانهم التقطوه والملتقط للشيء يتهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق
ينزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه
وبعض اشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا
انه ابق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا
منه لا يابق وفيه في قوله فيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول
الا ترى لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا
فقالوا زهدوا فيه وقال الذي اشتراه قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على
خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل من العماليق وقد امن بيوسف ...
فحيوة يوسف ... فابوس ابن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه
العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان ابن الوليد
وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل
قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف
وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه
السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه
قطفير بذلك المبلغ اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا
بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تعهده بالاحسان ...
حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك
لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك به
واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور
وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او
نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك
وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا
والمراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي ان ...
... من الخيانة ... الى ما تقدم ... وعطف قلب العزيز عليه

ددلالت

كان منصوب تعديه ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك
مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك
الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره
لا يمنع عما شاء ولا ينازع فيما يريد ... او على امر يوسف ... ولا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به
ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ولما بلغ
الاشد ثماني عشرة وعشرون وثلاث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون حكما
حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك نجزي المحسنين
تنبيها على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه
وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله المراودة مفاعلة من راد
يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت به ما يفعل المخادع لصاحبه
والمتي لا تخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته
اياها وغلقت الابواب قيل كانت سبعة وقالت هيت لك بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه
كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيات يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء اذا
تهيا وهيت لك واللام من صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا
كما يقول هلم لك قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي سيدي وذلكي
ربي قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان
اخلفه في اهله سوءا بالخيانة فيهم انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن
بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب ...
اذا قصده وعزم عليه قال همت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي
حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا
اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله
ولقد همت به وتعدت مخالطته وهم بها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف
تقديره لولا ان راى برهان ربه لخالطها وحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك همت
بقتله لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية
وقصد اليها قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه
ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول
والعزائم وهو يكسرها ويرده بالنظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب
المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع
لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه

الله بأنه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهمّ بها وشارف ان يهمّ بها كما يقول
الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كأنه شرع فيه فان قلت قوله وهم
بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن
حق القاري اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد
همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الحالين
فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما
قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما
في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف
بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها
متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من
تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا بين اثنين معا فكأنه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع
احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله تعالى جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به
وهم بها فكان اغفال التفصيل لا يجب ان يكون من التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها
على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه
من قضاء شهوته منها لولا انه رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك
كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس
المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر
البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمع ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض
عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده على صدره فخرجت شهوته
من اناملة وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا
من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش
فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب عليها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
سبيلا فلم ينته فرأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال
الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف
اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة
الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر
ولا استحي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين
دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد
الله

الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على
آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون وذكرت توبتهم
واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه
جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله
الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها
ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين
كما جعله لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار
والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله
السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في
القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات
ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد
وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل
ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم
واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به مما ذكروا لما بقي له عرق
ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف
منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء
من خيانة السيد والفحشاء من الزنى انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا
دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بمقدمات
الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا
اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم
انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب حتى حذف الجار واوصل
الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفرت منها يوسف فاسرع يريد
الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه
في قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص
فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته
تمنعه والفيا سيدها صادفا بعلها وهو زوجها قطفير تقول المرأة لبعلها سيدي وقيل انما
لم تقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة وقيل الفياه مريدا ان يدخل

وقيل جا سانع ابن عم المرأة لما اطلع منها زوجها الحي لكك الحيد لمرئيه وهي ماثلة على يوسف اذا
طربوا بها حيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عنده من وجها من الريبة والغضب على
يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا
الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وكما نا فيه اي السجن جزاؤه الا السجن معناه
لا يكون الا سجنا سنه عنى اي يتي حينا او الى السجن كما تقول من في الدار الا زيد فان قلت
كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان
كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف
يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب
عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد
من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون
اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا
مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض
اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له
والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد عن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم
صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمي قوله
شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف
وبطل قولها سمي شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل
الشهادة قلت لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قال وشهد شاهد فقال
ان كان قميصه فان قلت ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي
التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة
وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن
نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم
قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات
والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن
جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحاق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح على انهما جعلا علمين
فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئ بسكون العين فان قلت كيف جاز الجمع بين ان
الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه كقولك ان احسنت
الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه فلما رآه قطعه وعلم براءة يوسف

وصدق

وصدق قد وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف
من كيدكن الخطاب لها ولامثالها واستعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان
النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال
ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن
من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان
الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف
حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض
عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من
جملة الخاطئين المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين
بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروي انه كان
قليل الغيرة وقال نسوة هن جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب
وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم
تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز
يريدون قطفير والملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي
وجاريتي شغفها حبا خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب
وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك
ولج مكان الشغاف تبتغيه الاصابع وقرئ قد شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنا
فاحرقه بالقطران قال ايقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي
وحبا نصب على التمييز في ضلال مبين في خطا وبعد عن طريق الصواب بالغتيان
وسوء مقالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها وغلامها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب
مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه
عليها ارسلت اليهن دعوتهن وقيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت
لهن متكأ اي ما يتكئن عليه من النمارق قصدت بتلك الهيئة وهن متكئات
والسكاكين في ايديهن ان يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن
على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الى
تبكيتهن بقطع اصابعهن في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة وليتوارين يوسف
من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمهن انهن يثبن عليه
وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين
ولذلك نهي ان يأكل الرجل متكئا واشتق الكاتب تبعا لمجلسها بالكنى وقيل متكأ طعاما

من نوى ذلك اتكأ عنده فلان اي طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت
له متكأ يتكئ عليه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد
متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ
متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله
بمنتزاح اي بمنتزح وكقوله ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة
لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها
ابو دواد في سنه انها شققت بضعتين وحمل كلا المعدلين على جمل وقيل الزماورد
وعن الوهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متكا التي بمعنى بتكه
اذا قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكي يتكي اذا اتكا اكبرنه عظمنه وهبن ذلك
الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة
البدر على نجوم السماء وعن النبي صلعم وآله مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت
لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور
الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم
يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء
للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض
تخرج من حد الصغر الى الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله خف الله
واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق قطعن ايديهن جرحنها كما تقول
كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء
تقول اساء القوم حاشا زيد قال شعرا حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم
وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا لله براءة وتنزيه
الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرا حاشا لله فنحو
قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا
منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاشا لله بحذف الالف الاخيرة
وقرا الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة
اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله
فان قلت فلم جاز حاشا لله لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله
الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى
في قوله غدت من عليه منقلبا الفه الى الياء مع المضمر والمعنى تنزيه الله من صفات العجز
والتعجب

والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من
قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن
الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله تعالى ركز في الطباع ان لا احسن من
الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز فيها
الا ان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير
من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسرة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من
تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما عمل ليس هي
اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنها قوله ما هن امهاتهم ومن قرا على سليقته
من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك
لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول
هذا لك بشرى اي بكرى والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت
فذلكن الذي لمتنني فيه ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا
بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني
الكنعاني
تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه
حق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فاستعصم بناء مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه
استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عم
لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم
والبرهان فان قلت الضمير في امره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما امره به فحذف
الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان يجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ولئن لم يفعل
اوامري اي موجب امري ومقتضاه قرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون
كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة وقرئ السجن
بالفتح على المصدر وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين
مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك
وقال رب السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة
وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه وآثر عنده
نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله تعالى وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا
في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله تعالى وعصمته كعادة

لا بناء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن اميل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح فان قلت لم ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء قلت في قوله والا تصرف عني معنى طلب الصرف والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم اي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما رأوا العذاب مثل الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كأنها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علم به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن بان تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد في تأويل الرؤيا وروي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا وان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله فيك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم

قد

فقال عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله الا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاث عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الى م يرجع الضمير في قوله نبئنا بتأويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحو كان ذلك قبل ... لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح لهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التأويل اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى به الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم قوم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك مما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس او على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا

الادلة التي تنظرون فيها وتستدلون بها وقد نصب مثل ذلك الادلة وفضلها بها للناس من غير
تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين
يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة وكما ان الليلة مسروق فيها
غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف عم ونحو ذلك
لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن
كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله
اصحاب النار واصحاب الجنة ارباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول ان
تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك
في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام
ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية
الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها
سميتم بها فقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان
من حجة ان الحكم الا لله ثم بين ما حكم به فقال الا تعبدوا الا اياه وذلك الدين
القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده
وقرا عكرمة فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول
ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها
ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال الثلاث
ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما فان قلت ما استفتيا
في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اتهما به من سم
الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما راياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه
في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الاخر وقيل جحدا وقالا ما راينا شيئا
على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما ام كذبتما الظان
هو يوسف عم ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي
ويكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه
قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكره
ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره بضع سنين البضع
ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر
الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه

ويزل

ويزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها فان
قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي اضافة المصدر الى الفاعل او
الى المفعول قلت فيها سببه في قولك فانساه الشيطان ذكر ربه او عنده ربه فجازت اضافته
اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف
المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه
وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحكاية عن عيسى عم من انصاري الى الله وفي
الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن اخيه كربة
من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الاخرة وعن عائشة ان رسول الله صلعم لم ياخذه النوم
ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص فسمعت غطيطه وهل
ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك
كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك
من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فكذلك قد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها
واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به
خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا
على الحق وكان له رب لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها ويقول
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد
رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف
فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات
قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها
فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام فان
قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع
وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز
السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت
الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان قلت
هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف
لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب قلت الفارس
والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها
الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ قلت ذلك مما يشكل وما نحن بسبيله

لا تشكل فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك
الاصل لاعتراض ما منع ووقوع الاستعمال على السبق يا على ذلك ووقوع الاستعمال يعني الكثير مع عجاف
عما تقرر جمعه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع
عجاف جمعا لعجفا وافعل وفعلا لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن
دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الاية دليل
على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد كالخضر
كالبقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون
قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات
على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على
سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر
يقتضي ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر
فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام
وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملا
كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان يكون للبيان
كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله
لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل
اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا
خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون
خبرا اخر او حالا وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم
تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها واخر امرها كما تقول
عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت
مالها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات
ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في
كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا اضغاث
الاحلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان
واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك
والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم
واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا
يركب

يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم
بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا غيرها وما نحن
بتاويل الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها
عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور
علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وادكر بالدال هو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال
اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك
انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملا تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله
رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرئ الاشهب العقيلي بعد
امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك
القبور اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي
ومن قرا بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن
انا اتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن لا سأله
ابن عباس لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق
ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه
ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس
لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونهم ولا من علمهم فربما لم
يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من
محنتك تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون وانما يخرج
الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه
والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وتحريكها وهما
مصدرا داب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين واما على تداب دابا
واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي داب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ياكلن من
الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبئون يغاث
الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا
ما شئنا يعصرون بالتاء والياء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع
وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون
المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم
بعضا وقيل يعصرون يمطرون ومنه اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى
مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاويل

البقرات السمان والسنبلات الخضر سنين مخصبة والعجاف واليابسات سنين مجدبة ثم
بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجي مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم
وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة
اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم يوصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي
قلت ذلك معلوم علم مطلق لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام
وذلك لا يعلم الا بالوحي ائتوني به انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته
عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته
لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن
ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء
الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف
التهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات
العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين
اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت
الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن
شان النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث
عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث
حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون
ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب
واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم
لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد
الوعيد لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف
هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة
ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص
على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن
بانه لا يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على
الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في مرتبة
ثبت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمير لظهور البراءة ليعلم العزيز

اني

اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي
عن عينيه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار
وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه
تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور
الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا
سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا
كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما
هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة
الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل
النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان
النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما
رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان
اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم
ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو
من كلام امرأة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة
وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته
حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار
مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان ربي
غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا
دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من
قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من
كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى
ان ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة
روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين
هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم
على بهت الله ورسله وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي وخاصا به فلما كلمه
وشاهد منه ما لم يحتسب قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن
على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم عطف

عليهم ابواب الاخبار ولا تم عليهم الاخبار منهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن
هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابي وكان الملك يتكلم
بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي
منك قال رايت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل
وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام
في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد
قبلك اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما
تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبتا
الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط
العدل والتمكن مما لاجله بعث الانبياء ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب
التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى
عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم
وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان
السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم
بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر
عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى وكان في حكم التابع والمطيع وكذلك مكنا ذلك التمكين
الظاهر مكنا ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين فرسخا
يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه
لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكه وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه
ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير
فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا من لباس ابائي
فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض
الملك اليه وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما
طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال
والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير
والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار

ثم

ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني
فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم
املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد
الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين نصيب برحمتنا بعطايانا في
الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نشاء له ولا نضيع اجر المحسنين
ان اجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير لهم قال سفين ابن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا
والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية منكرون لطول العهد
ومفارقتها اياها في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه
واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في
البير مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي
ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه
ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو
وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج
وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم ذلك ولان همته كانت معقودة
بهم وبمعرفتهم فكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم
بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا اليه
من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له
معهم حتى اجتر القول الى هذه المسالة روي انهم لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم
اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد
فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن بنو
اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني
عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا
هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان الذي تقولون
حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني
باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون
وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم ولا تقربون فيه
وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قال فان لم
تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونجتهد
ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون ذلك لا نتعايا به او انا لفاعلون ذلك لا نفرط

فيه ولا تقربون في المنية وفي هي لفتيانه وهو جمع فتى كاخوة واخوان في جمع اخ فعلة بالكسر وفعلان للكثرة اي
لغلمانه الكيالين لعلهم يعرفونها حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى
اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم
النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته
ثمنا وقيل علم ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل لعلهم يرجعون لعلمهم برد ثمنها
الكيل يريد به قول يوسف فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نكتل نرفع المانع من الكيل
ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بالياء اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان
امتناعه بسببه هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم
فما يؤمنني من ذلك ثم قال فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودفعه اليه وحافظا تمييز كقولك لله
خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرأ الاعمش فالله خير حافظ وقرأ ابو هريرة
خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وقرئ ردت الينا
بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل في بيع وحكى قطرب وضرب زيد على نقل كسرة
الراء فيمن سكنها الى الضاد ما نبغي ما نطلب اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك
واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب
ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام يعني اي شيء نطلب وراء هذا
وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان
او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت
الينا جملة مستأنفة موضحة لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا
فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد
باستصحاب اخينا وسق بعير زائد على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي تصلح
بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا فالمعنى قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد على حمل
بعير للرجل المتقسط فان قلت هل اخا هذا الجمل بالطلب اما فيه بالكذب والتزيد في القول قلت
الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيان لصدقهم وانتفاء التزيد عن قولهم فما تصنع
بالباقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز
ان يكون كلاما مبتدأ وجملا معطوفة وشبيه ان نمير اهلنا كما يقال سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل
غرضه ويجب ان تسعى وينبغي لي ان اقصر وعيوت ان يرى وما نبغي وما نسطو الا التصويب فيما اشير
به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم
لا يبغون بارائهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا
يعني ما يكال لهم فازدادوا ان نزداد اليه كما يكال لاخينا او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك

الكيل

الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر له لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام
يعقوب وان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم لن ارسله معكم
بعد ما رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق
به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد
به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى
تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا فان قلت
اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي
هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي
لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام
في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي
ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما
اطلب منك الا الفعل على ما يقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما
نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهروا في
اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار
اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم
ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على
الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في
الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرقة في الكرة الاولى لانهم كانوا
مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة بالعين وجه يصح عليه قلت
يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض
الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو
فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا
فتنة للناس للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما
بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء ان اراد
الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة
ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم راي يعقوب
ودخولهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم
وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم
الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها

بما نالهم ومصابهم به ولا بد له ويعلم معنى قوله وما أغني عنكم وعلمه أن القدر لا يغني عنه الحذر آوى
إليه أخاه ضم إليه بنيامين وروي أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم
وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده
فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخوكم وحيدا فأجلسه
معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي
فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين
اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك
قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له
إني أخوك يوسف فلا تبتئس ولا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا
وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وعن ابن عباس تعرف إليه وعن وهب إنما قال له أنا
أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم وروي
أنه قال فأنا لا أفارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه
ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك إلى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك فقال فإني
أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك
معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت إناء مستطيلة
تشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم وقيل
كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر
ثم أذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه أعلمه وأذن أكثر الإعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه روي أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا
وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تذهب وتجيء وقيل
هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف
فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود
وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه
أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي تفقدون من أفقدته
إذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين
معجمة وغير معجمة وأنا به زعيم يقوله المؤذن يريد أني بحمل البعير كفيل أؤديه إلى من جاء به
وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم قالوا
لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم

للملك

للملك ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل السوق ولأنهم
ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي
منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته إن كنتم كاذبين في جحودكم
وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق
سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم أي فأخذ السارق نفسه
هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أي فهو حقه
لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية
كما هي خبره على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع
الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد إلى
جنبه فهو هو يرجع الضمير الأول إلى من والثاني إلى الأخ ثم تقول فهو أخوه مقيما
للمظهر مقام المضمر ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه
جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما تقول من يستفتي في جزاء
صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم تقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل
من النعم فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش
أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة
حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا تتركه حتى تنظر في رحله
فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء أخيه بضم الواو وهي
لغة وقرأ سعيد بن جبير إعاء أخيه بقلب الواو همزة فإن قلت لم ذكر ضمير
الصواع مرات ثم أنثه قلت قالوا رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لأنه يذكر
ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية
وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا ليوسف مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني
علمناه إياه وأوحينا به إليه ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له
لأنه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ
لا أن يلزم ويستعبد إلا أن يشاء الله أي ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه نرفع درجات
من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق
كل ذي علم عليم فوقه أرفع درجة منه في علمه أو فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم
وهو الله عز وجل فإن قلت ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسنا فمن أي وجه حسن هذا الكيد
وما هو إلا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله إنكم لسارقون فما جزاؤه إن كنتم

قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان بالحقيقة لان قوله انكم لسارقون توريه عما جرى مجرى السرقة
من فعلهم بيوسف وقيل ان ذلك القول عن المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض
لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه بالتكذيب
لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هل وحكم الكيد حكم
الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث ليتخلص من حلفه بها ولا يحنث وكقول ابرهيم ع هي اختي لتسلم من يد
الكافر وما الشرايع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله
هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة
كان زالت عنه وجوه القبح لما ذكرنا اخ له اراد يوسف روي انهم لما استخرجوا الصاع من رحل
بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت
وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنيامين بنو راحيل الذين
لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع
البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ في صباه
صنما لجده ابي امه وكسره والقاه بين الجيف في الطرق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا
من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق ودجاجة فاعطاها السائل
وقيل كانت لابرهيم ع منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحاق ثم وقعت الى ابنته وكانت
اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد
يعقوب ان ينتزعها منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت
منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به
ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها يوسف اضمرها على شريطة التفسير انتم شر
مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام
كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا
لان قوله انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام
ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما
تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون استعطفوه باذكارهم اياه
حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد
اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذ بدله على
وجه الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك

ولا

ولا تغيرها معاذ الله هو كلمة ظاهرها انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله
واستعباده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنها ان الله
اوحى الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غيره لعملت
بخلافه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ
فاضيف المصدر الى المفعول وحذف من اذن جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا به
استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون
بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تع وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو
التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل وهم نجوى بتنزيل المصدر منزلة الاوصاف
ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما
القوم كانوا انجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم
نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم
لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان
تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا
لما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو
شمعون وقيل كبيرهم في العقل وهو يهوذا ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما
صلة اي ومن قبل هذا فرطتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية
على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم
في يوسف او النصب عطفا على مفعول تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا ان اخذ ابيكم عليكم
موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه
في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها
او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا
يحكم الا بالعدل والحق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه
لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق
حين اعطيناك الموثق وما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سرق فمعناه وما
شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع
في رحله ولم يشعر والقرية التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فاسالهم عن كنه القصة والعير التي
اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء معناه فرجعوا الى
ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ

وتذكر ايثار العود الى حزنه في ذلك المقام الذي يغشى به المكروب وينفث المصدور ويشتكي المغيظ
المحنق وبعد ترك تارح والموتور فلله اخلاق الانبياء ما الطفها وانزهها [illegible]
ما اثرنا [illegible] وقيل لا يريد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم
عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم
والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه رفعت عيناه ثم فاض هذا القول
وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز
مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق
فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا
فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا
بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من
امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا
نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
والسلام فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرا الكتاب
بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قلت ما فعلتم بيوسف واخيه قلت تفريقهم بينه وبين ابيه
وانكال افراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا كلام
الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قرئ انك على الاستفهام وفي قراءة ابي اانت او انت يوسف
على معنى انك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب
لما يسمع وهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما
شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا من حنيف مسلم من سنخ ابرهيم لا من بعض اعزاء
مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى وضع التاج
فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت قد
سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه قلت لان اخاه كان معلوما لهم ولكن لا شك في ذكر اخيه
بيان لما سالوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله
لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع المضمر لاشتماله على المتقين والصابرين لقد اثرك الله علينا
اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين
للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمكن بين يديك لا تثريب
عليكم لا تانيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش
ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال
والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه فان قلت

بم

بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم
الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما
فرط منهم فقال يغفر الله لكم او يغفر الله لكم على لفظ الماضي والمضارع وتلك فوق المشتهى بعد ان عفا عنهم
بالكم او اليوم يغفر لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا
نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي
ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم
ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته ارسلوا اليه انك
تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر
وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين
درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني
من حفدة ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان
من الجنة امره جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي
يات بصيرا يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او ياتي الي
وهو بصير وينصره قوله واتوني باهلكم اي ياتي ابي وياتي الي باهلكم اجمعين وقيل يهوذا هو الحامل
قال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف من مصر الى
كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد
فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس فلما انفصل العير قال لولد ولده
ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة
ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا
يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي
لصدقتموني لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف
ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات القاه طرحه البشير على وجه
يعقوب او القاه يعقوب فارتد بصيرا فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه الم اقل لكم يعني قوله
اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدا لم يقع عليه القول
وذلك ان توقعه عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي
انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على
دين الاسلام قال الان تمت النعمة سوف استغفر لكم ربي قيل اخره الى وقت السحر وقيل الى
ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اخره الى ان يستحل

…لولا نحولكم وتعليلكم بهم جميعا بيوسف وأخيه وروبيل وغيره إنه هو العليم بحالي في الحزن
والأسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم وأعرض عنهم كراهة لما جاؤوا به
يا أسفا على أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس
بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمد فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم
وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون أنهم يحسنون صنعا من سبأ بنبأ وعن النبي ﷺ لم تعط
أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه
ما أصابه لم يسترجع وإنما قال يا أسفا فإن قلت كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون
الثالث والرزء الأحدث أشد على النفس وأظهر أثرا قلت هو دليل على تمادي أسفه على يوسف
وأنه لم يقع فائت عنده موقعه وأن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولأنه
أوجع المصائب بعده ولكن بكا الفرح بالفرح ولكن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت
عليها الرزايا في ولده وكان الأسف عليه أسفا على من لحق به وابيضت عيناه إذا كثر الاستعبار
محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك إدراكا ضعيفا
قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن
قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الأرض
أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف
قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط
فإن قلت كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند
الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله ﷺ
على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم
لمحزونون وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه
وتمزيق الثياب وعن رسول الله ﷺ أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح
وصوت عند الترح وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن
عارا على يعقوب فهو كظيم مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله
وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال أخذ بكظامه
تفتؤ أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام
والنون ونحوه فقلت يمين الله أبرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه
كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين وقال ما فتئ يفعل فما أفتأت
منها لأخوتكم حرضا مشفيا على الهلاك مرضا وأحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر

لانه

لأنه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوه دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين
ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب البث أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره
بأسامع وأبشأ أباه ومعنى إنما أشكو إليه لا إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعيا له وملتجئا
إليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم أي فتوليت عنهم إلى الله والشكاية إليه وقيل دخل على يعقوب
جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ أبوك فقال هشمني وأفناني
ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي قال يا رب خطيئة
أخطأتها فاغفر لي فغفر له وكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وروي
أنه أوحي إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب
خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها
فباع ولدها فبكت حتى عميت وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم من صنعه وحسن ظني به أنه يأتيني
بهذا بالفرج من حيث لا أحتسب وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح
يوسف قال لا والله هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين فتحسسوا
من يوسف وأخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات
وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة ومن الجس وهو الطلب
تحاسس وتجاسس من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم أي من
رحمته التي يحيا بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها واحتقارا لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع
الأعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والأقط وقيل دراهم زيوفا لا
تؤخذ إلا بوضيعة فأوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض
عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات
محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق
علينا أراد أنها كانت حلالا لهم والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا أن يتصدق عليهم ومن ثم
رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه وقوله إن الله يجزي المتصدقين شاهد
لذلك لذكر الله وجزائه والمتصدق المعطي الذي يبتغي بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه
يقول اللهم تصدق علي إن الله لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم أعطني أو تفضل
علي أو ارحمني هل علمتم ... وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه
القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون
لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح
يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة وكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة

البشر قوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين
أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا
أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه
من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من
القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وهم يمكرون بيوسف
ويبغون له الغوائل وما أكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن
عباس أراد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر
وعنادهم وما تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الأحاديث
والأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول
من رسله من آية من علامة ودلالة على الخالق وصفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها
وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره
وقرأ السدي والأرض بالنصب على ويطؤون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله
والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر وما
يؤمن أكثرهم في إقرارهم بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة
الوثن وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون
الله بخلقه غاشية نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق والقوارع هذه سبيلي
هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان
ثم فسر سبيله بقوله أدعو إلى الله على بصيرة أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء
وأنا تأكيد للمستتر في أدعو ومن اتبعني عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من
اتبعني ويجوز أن يكون أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على أنا إخبارا مبتدئا
بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة
الرفع في أنا ومن اتبعني وسبحان الله وتنزيهه من الشركاء إلا رجالا لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون
لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة ولم تزل أنبياء
الله ذكرانا وقرئ نوحي إليهم بالنون من أهل القرى لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم
الجهل والجفاء والقسوة ولدار الآخرة ولدار الساعة أو الحال الآخرة خير للذين اتقوا الذين خافوا
الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ أفلا تعقلون بالياء والتاء
حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتراخى نصرهم حتى
إذا استيأسوا عن النصر وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو رجاؤهم
لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر

من الله

من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا
فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما
وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر
الله فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث
النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل
من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن
كل قبيح وقيل وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أي أخلفوا أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من
جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد
على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا
بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة
إما على تأويل ابن عباس وإما على أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثرا قالوا لهم إنكم قد كذبتمونا
فيكونون كاذبين عند قومهم أو وظن المرسل إليهم أنهم قد كذبوهم في وعيدهم قرئ فنجي بالتخفيف
والتشديد من أنجاه ونجاه وفنجى على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد
بمن نشاء المؤمنون لأنهم الذين يستأهلون أن ينجيهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد
بأسنا عن القوم المجرمين في قصصهم في قصص الأنبياء وأممهم أو في قصة يوسف
وقيل في قصص يوسف وإخوته فإن قلت الضمير في ما كان حديثا يفترى إلى من
يرجع قلت إلى القرآن أي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي
بين يديه وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على
ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله ﷺ علموا أرقاءكم سورة يوسف
فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت
وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة
العجيبة في بابها ثم قال والذي أنزل إليك من ربك الحق يعني القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه
السورة وحدها وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها
الله مبتدأ والذي رفع السموات خبره بدليل قوله وهو الذي مد الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله
يدبر الأمر يفصل الآيات خبرا بعد خبر وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها
كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة أبي ترونه وقرئ عمد
بضمتين يدبر الأمر يدبر أمر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بلقاء ربكم

في استغفاره لهم فقعد وروي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام إلى
الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري
عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى إليه أن الله قد غفر لك ولهم أجمعين وروي
أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوك إن لم يعف عنا ربنا فإن لم يوح إليك
بالعفو فلا قرت لنا عين أبداً فاستقبل الشيخ القبلة قائماً يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن
وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل
فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف
في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف إلى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز
إليه بمن معه وخرج يوسف ومعه أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم
فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون
مصر قال هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل
إن يوسف ع قال له لما التقيا يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا
قال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا
مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف
وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي
ألف آوى إليه أبويه ضمهما إليه واعتنقهما قال ابن إسحاق كانت أمه تحيى وقيل هما أبوه
وخالته ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أماً لقيامها مقام الأم أو
لأن الخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق فإن قلت ما معنى دخولهم
عليه قبل دخولهم مصر قلت كأنه حين استقبلهم نزل بهم في مضرب أو بيت ثم دخلوا عليه وضم
إليه أبويه وجلس في مجلسه مستوياً على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له
يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين سجداً وعن الحسن قد خرج في فيء من أصحاب الملوك الذي
حمل على البغال فلم يزل ... إليه أبي وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فإن قلت بم تعلقت المشيئة
قلت بالدخول مكيفاً بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وأمنوا
في دخولكم إن شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالماً غانماً إن شاء الله فلا تعلق المشيئة
بالرجوع مطلقاً ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة مكيفاً بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله
دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع
التفاسير قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف
أستغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره فإن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا
لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة

وتقبيل

وتقبيل اليد ونحوها مما جرت به عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت
إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجداً يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجداً لله شكراً
وهذا أيضاً فيه نبو يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه وقال أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة البدو
من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع نزغ الشيطان
أي أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه
ونخسه إذا نخسه لطيف لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب
وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الذهب والورق
وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس
قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال
أوما تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف
أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ولما تم أمره
وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل ما
تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل
يحب أن يدفن في محلته حتى هموا بالقتال فرأوا أن الرأي أن يعملوا له صندوقاً من مرمر
ويجعلوه فيه ويدفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً
واحداً وولد له إفرائيم وميشا وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارث
الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه
إلى أن بعث الله موسى ع ومن في من الملك ومن في من تأويل الأحاديث للتبعيض لأنه لم يؤت
إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت وليي أنت الذي تتولاني بالنعمة
في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلماً طلب للوفاة على حال الإسلام وأن يختم
له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون تمنياً
للموت على ما قيل وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون
ابن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيراً كثيراً
أحييت سنناً وأمت بدعاً وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح لما
أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلماً وألحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب فاطر السموات
قلت على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء ذلك إشارة إلى ما
سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ص ومحله الابتداء وقوله من أنباء الغيب نوحيه إليك خبران
ويجوز أن يكون موصولاً بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب
لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في

المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه وقرأ الحسن ندبر بالنون جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من
جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل أراد
بالزوجين الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً وقرئ يغشي بالتشديد
قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى
زهيدة وصلبة إلى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر وأخرى على عكسها مع انتظامها جميعاً
في جنس الأرضية وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه وكذلك
الكروم والزرع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي تسقى بماء
واحد وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض
المصاحف قطعاً متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب بالعطف على زوجين
وبالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفاً على أعناب وجنات والصنوان
جمع صنو وهي النخلة التي لها رأسان وأصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة أهل الحجاز والضم
لغة بني تميم وتسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء على البناء للفاعل والمفعول
جميعاً في الأكل بضم الكاف وسكونها وإن تعجب يا محمد من قولهم في إنكار البعث فقولهم
عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي
بخلقهن ~~كانت الإعادة أهون شيء عليه~~ كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان إنكارهم
أعجوبة من الأعاجيب أئذا كنا تراباً يجوز أن يكون في محل الرفع بدلاً من قولهم
وأن يكون منصوباً بالقول وإذا انتصب بما دل عليه قوله أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين
كفروا بربهم أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وصف لهم
بالإصرار كقوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً وضلالهم عن الرشد أغلالاً وإيعاداً أو من جملة
الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والإحسان إليهم بالإمهال وذلك أنهم سألوا
رسول الله ص أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره وقد خلت من قبلهم المثلات أي عقوبات
أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة
والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل
لصاحبه وأقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لإتباع الفاء العين والمثلات بفتح
الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين
والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم أي ظالمين لأنفسهم بالذنوب ومحله الحال يعني
ظالمين لأنفسهم وفيه أوجه ... السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر أو بشرط التوبة أو يريد بالمغفرة الستر
والإمهال وروي أنها لما نزلت قال النبي ص لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحداً العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل

كل احد

كل أحد لولا أنزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله ص عناداً فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى
من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله إنما أنت رجل أرسلت منذراً مخوفاً لهم من سوء
العاقبة وناصحاً كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة
بأية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء
بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الأنبياء
يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بوجه من الهدايات وبآية خص بها ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً
في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات
ويعاندون فلا يهمنك ذلك إنما أنت منذر فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان في
صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء وهو الله تعالى ولقد دل
بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضايا حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات
خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم
خيراً ومصلحة لأجابهم إليه وأما على الوجه الثاني فقد دل به على أن من هذه
قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأي طريق يهديهم ولا سبيل إلى
ذلك لغيره الله يعلم يحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً وأن يكون المعنى هو الله تفسيراً لهاد على
الوجه الأخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل أنثى وما في تحمل وما تغيض وما تزداد إما موصولة
وإما مصدرية فإن كانت موصولة فالمعنى أنه يعلم ما تحمله على أي حال هو من ذكورة وأنوثة
وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم
ما تغيضه الأرحام أي تنقصه يقال غاض الماء وغضته أنا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما
تزداد أي تأخذه زائداً يقال أخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا
تسعاً ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فإنها تشتمل
على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكاً كان رابع أربعة في بطن
أمه ومنه جسد الولد فإنه يكون تاماً ومخدجاً ومنه مدة ولادته فإنها قد تكون أقل
من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس
عند مالك وقيل إن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن أمه أربع سنين
ولذلك سمي هرماً ومنه الدم فإنه يقل ويكثر وإن كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى
ويعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله ويجوز أن
يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين
ويعضده قول الحسن الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة
أشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه

ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي
على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في مذهبه
بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والاول ليمضي سواء منكم من استخفى
اي طلب الخفاء مختفيا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره
كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب
بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف
وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف
والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله تكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه
قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في
حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف في قوله وجاء المعذرون
يعني المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به وهو مفعلات من عقبه اذا جاء
على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه
يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة الحفظ كانه قيل له معقبات
من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم
له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله ولكن يكلؤكم بالليل والنهار وقيل
المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من
قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض
من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة
حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي وان حل بهم امرهم فلا دفع عنهم خوفا
وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف
اي ارادة خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين
ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو
الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق وقيل يخاف المطر
من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد
ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس
والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول
امراة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين
للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح

الرعد

الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن
الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب ومن
احسن خلق من خلق ليس عليك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات
افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته وتسبح الملائكة من هيبته واجلاله وذكر علمه
النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته
ثم قال وهم يعني اليهود الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا ايات الله يجادلون في الله
حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقوله من
يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الانداد ويجعلون بعض الاجسام
المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك
ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل
قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل
على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهي
شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان
اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى
فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه
ياتيهم الهلكة من حيث لا يحتسبون وقرا الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول
حولا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار
ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد
محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر
وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان يضاف
الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على
ان الدعوة ملابسة للحق المختص به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه
مستجيب للدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه
حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا
يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق وهو الله
وكل ما اليه دعوة الحق فان قلت فما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة
اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الشركاء و

على صاحبه فقال اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد
للكفرة على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان
دعا عليهم منهم والذين يدعون والالهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله لا
يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء
الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه
وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس
بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم
لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا
ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين الا في ضلال الا في
ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم
ولله يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا
عليه وتنقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال
وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل الله حكاية لاعترافهم
وتاكيد له عليهم لانهم اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا
الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول
المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا
له واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا
اي ان كعواصن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من دونه
اولياء بعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان
يجب ان يكون سببا للتوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا
ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعون
لغيرهم وقد اثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم ام جعلوا بل
جعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا كخلقه صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين
قد خلقوا مثل ما خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر
الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم شركاء ونعبدهم كما نعبد الله اذ لا فرق بين خالق وخالق
ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على
ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء ولا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق
فلا يستقيم ان يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار
لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور هذا مثل ضربه الله للحق والباطل وحزبيهما كما ضرب الاعمى والبصير

والظلمات

والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل اودية الناس
فيحيون ويحبون وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ
الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه الباس الشديد لكفى به وان
كان ذلك ماكثا في الارض باقيا بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى اثاره في العيون
والبيار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة
متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة
بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت
لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض
اودية الارض دون بعض فان قلت ما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف
الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا عن المضرة ولا
يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع
قلت الغرض فيه كالغرض في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما
ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد
عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره كما هو على اوجه الهادى
به كما هو هجيرى الملوك في بينهم عن ما جاء في ذكر الاجر او قد لي يا هامان على الطين
ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشا زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد
رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل اي يرمي به وجفات القدر بزبدها
والجفاء السيل والجفل في قراءة رؤبة بن العجاج جفلا وعن ابي حاتم لا يقرا بقراءة رؤبة
لانه كان ياكل الفار وقرئ يوقدون بالياء او يوقد الناس للذين استجابوا اللام
متعلقة يضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا والكافرين الذين لم يستجيبوا الحسنى
وقوله لو ان لهم كلام مبتدا في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند
قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستانف والحسنى مبتدا خبره للذين
استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو وما في
حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه
شيء ذخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب
من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي
لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب

اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ و
اولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان
يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم
وقبلوه من الايمان بالله من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص
ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلعم وقرابة
المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة
ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم
وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب
والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل
بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال
اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت
له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي وعيده كله ويخافون
خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا مطلق فيما يصبر عليه
من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه ربهم لا ليقال ما اصبره واحمله
للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله
وتجلدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر لا اتضعضع ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد
فيه للغائب كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل
عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا
وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند
الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب
المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا
واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل
اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان
تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها جنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح
النون والاصل نعم فخفف كسر النون فنقل كسرة العين الى الفاء ومن فتح فقد سكن العين وتنقل
وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الآباء
لا تنفع اذا تجردت عن الاعمال الصالحة والمراد ابوا كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم

سلام

سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما
صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل مما
احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم
الساعة كقوله الوحش ترعى النجم في ساحة الحي بما قد ارى فيها اوانس بدنا وعن النبي صلعم
كان يأتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة
عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها الله يبسط الرزق لاهل مكة ووسع
عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه
عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب
وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق قوله لولا انزل
عليه آية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم
وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلعم لم يؤتها نبي قبله وكفى
بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كان آية
لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما
اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة
الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف
صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل من من اناب
ومحله النصب وتطمئن قلوبهم بذكر الله اي بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب
من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على
وحدانيته او بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ
وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على حذف المضاف اي تطمئن القلوب
قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا
ومحله النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن
مآب بالرفع والنصب تدلك على محلها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو
في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى بكسر الطاء
لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك اي مثل ذلك الارسال ارسلناك ارسالا
له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك
في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ

عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن البليغ
الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال
مثل هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه
توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جواب لو محذوف
كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت
عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب
لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضده ما قدمته قوله
لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلعم من القرآن
وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى لما آمنوا به وقيل
ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلعم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ
فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من
داود وسخر لنا به الريح لنركبها الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة
كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن
كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق
بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض
وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت الارض اي شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله
الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة جميعا على كل شيء وهو قادر على الآيات
التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان
وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين
آمنوا ان لو يشاء الله لهدى مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم
قيل هو لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه
لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن
وثيل الرياحي اقول لهم بالشعب اذ يأسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه
ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا افلم يتبين فهو
تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما
لا يصدق في كتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف
يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام
المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن

القانون

القانون الذي اليه المرجع والقواعد التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق
ان لو يشاء بآمنوا على ولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا ولهداهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله
بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة
قريبا منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها حتى
ياتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من
العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف
منهم وتصيب مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى ياتي
وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك الاملاء الامهال وان يترك
ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا لهم وجواب عن اقتراحهم
الآيات على رسول الله استهزاء وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله
يعني ان الله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد
لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا تمثيله
افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده
شركاء قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه
على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء
لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق
به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
الارض ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك
حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا
الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام
البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف
مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا بالحركات الثلاث وقرأ ابن ابي اسحاق وصد بالتنوين
ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على
هدايته لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم
الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ
من عذابه وما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر
تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري

من تحتها الانهار اي حدث الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما شاهد وقرا علي عليه السلم امثال على الجمع اي
صفاتها اكلها دايم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دايم لا ينسخ في الدنيا بالشمس
والذين اتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله ابن سلام وكعب واصحابهما
ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة
هولاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني من احزابهم وهم كفرتهم الذين
تحزبوا على رسول الله صلعم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي
نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني
مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلعم
وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرايع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت
ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي ان
اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون
مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك
به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو
خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا
معنى لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة
الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية
مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون الى رسول الله صلعم امورا
يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل لئن
تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج
القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا
من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه
وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلعم من شدة
الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ
فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات برايهم
ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرايع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت — تختلف صح
حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ
وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول

وفعل

وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعتهم وقيل يمحو
بعض الخلايق ويثبت بعضا من الاناسي وساير الحيوانات والنباتات والاشجار وصفاتها واحوالها
والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل
كاين مكتوب فيه وقرئ ويثبت واما نرينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم
وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ
الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل
بعذابهم اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين
من بلادهم فننقص من دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من ايات النصرة والغلبة
ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها سنريهم اياتنا في الافاق والمعنى
عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك
من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه
ونفس عنه بما ذكر من طلوع تباشير الظفر ويتعقب تنقصها بالتدريج لا معقب لحكمه لا
راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه بالرد والابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد
حتى تهجر في الرواح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى
انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب
فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه
قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني
زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم
بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب
كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها
فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار
والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وعن ابن جناح ابن
حبش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرا
ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القران وما الف عليه من النظم المعجز الفايت
لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في
كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى
كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم
ويعضده قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده

~~علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن~~ عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع
علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون
فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل
كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي
القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلعم من قرا سورة
الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث
يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم عليه السلم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس من الظلمات والنور استعارتان للضلال
والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك
ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور
بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف
كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز
الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة
كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوال وهو الهلاك اسم معنى كالهلاك
الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة
معنى الثبات فيقال ويل له كقوله سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر
الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب
شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون
يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد
ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين
يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من
المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها
من الاخر وقرئ ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده واصده قال اناس
اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير التعدي
الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء
استعملوا صده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل
الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون
لها فحذف الجار واوصل الفعل في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان

قلت

قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة
للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز
ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا
وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله
ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلعم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة
فان لم يكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم يكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم يكن
للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى
نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان
واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه
وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة
التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار
المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم
لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلايل الفوايد وما يتكاثر في اتعاب
النفوس وكد القرايح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد
من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين
كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول
العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا
من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش
بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد
على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلعم وروه عن الضحاك وان الكتب كلها
نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب
فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل
الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم
انه لن يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف
وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل
الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول
كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل

الامران الغرض وصلها بما يكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية
والدليل على جواز ان يكون الناصبه للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر
وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقايعه التي وقعت على الامم
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار
ويوم قضه وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماوه وبلاوه فاما نعماوه فانه
ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاوه فاهلاك
القرون لكل صبار شكور لمن يصبر على بلاء الله ويشكر نعماه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء
على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل
اراد لكل مومن لان الصبر والشكر من سجاياهم تنبيها عليهم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى
الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو
من ان يكون صله للنعمه بمعنى الانعام او غير صله اذا اردت بالنعمه العطيه فاذا كان
صله لم يعمل فيه واذا كان غير صله بمعنى اذكروا نعمه الله مستقره عليكم عمل فيه
ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمه الله عليكم فان جعلته صله لم يكن
كلاما حتى تقول فايضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ انجاكم بدلا من نعمه الله
اي اذكروا نعمه وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون
وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث
طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى
على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس اخر فان قلت كيف كان فعل
فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه
اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمه والمحنه
جميعا قال الله تع ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي
يبلو واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله
عليكم كانه واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى
تاذن ربكم اذن ربكم ونظير تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في
تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك
وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب
من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما
خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة
ولاضاعفن لكم ما اتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي

لعل

وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد
لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان
لم يحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او
عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة
بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون
وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى
الله علمها عن العباد فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل
كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه
او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول
قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبيا اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها
في افواه الانبيا يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم
يتكلمون وقيل الايدي جمع يد وهي النعمه بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبيا التي هي
اجل النعم من مواعظهم ونصايحهم وما اوحي اليهم من الشرايع والايات في افواههم
لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت
منه على طريق المثل مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بادغام النون
مريب موقع في الريبه او ذي ريبه من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن
الى الامر افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما
هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادله وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفره كقوله دعوته
لينصرني ودعوته لياكل معي قال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت
ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين
كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من
ذنوبكم وقال في خطاب المومنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال
يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقه بين الخطابين
ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله
بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها ويوخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه
وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم الا
بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوه دوننا ولو ارسل الله
الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملايكه بسلطان مبين بحجة بينه وقد جاءتهم رسلهم

بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر
مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك
فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروه تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم
منهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي
اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها
كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري
علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل
عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد
منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت
الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون
على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن
احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على
ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام
العرب كثير فاشيه لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني
ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا الخطاب الجماعة
على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول واجراء الايحاء مجرى القول
لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه
لفظ الغيبة ونحوه قوله اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين
وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره اورثه الله داره ولقد عاينت
هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم
وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون
ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما
قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف
مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة
او على اقحام المقام وقيل خاف مقامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة
للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح واستحكموا الله و

العضا

القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى اليهم
ربهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن
وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد منهم وهو
قومهم باستفتاحه من ورائه من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج
قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف
حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره
من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع
قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد
قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بصديد وهو ما
يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا
يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف
يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت
به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الالام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام
رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت
يستقبله يتلقى عذابا اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في
الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والمطر في سني القحط التي
ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار
عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا
التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وامتهم مثل الذين كفروا مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه
تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله
اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد
ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم وهذا الجملة خبر للمبتدأ اي مثل الذين
كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا
من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل
العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور
لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام
وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير
ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة
الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا

من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو
الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب بالحق بالحكمة والغرض
الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ
يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما
منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنسه وما ذلك على
الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور
فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك
اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم خطائهم
في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو
الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله ويبرزون يوم
القيامة وانما جيء بلفظ الماضي لان ما اخبر به جل وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه
ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه
شيء حتى يبرز انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف
على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية
او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفؤ بواو قبل الهمزة
قلت كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل
والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم
وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من
في من عذاب الله وبينه في من شيء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل
هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى
هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت
فما معنى قولهم لو هدانا الله لهديناكم قلت كان ذلك من الضعفاء ان وبخوهم
وعتبوا عليهم استتباعهم واستغواءهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم علموا انهم
لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين بما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم
الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله
عنهم وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من
شيء يقولون ذلك في الآخرة كما قالوا في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى

لو كنا

لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا فاهتدينا لهديناكم الى الايمان لاغنينا عنكم وكففناكم ولكن
او لا نصبر واحد عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها
يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك لما
قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم ولنجيناكم اتبعوه بالاقناط من النجاة فقالوا
ما لنا من محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين
جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا اجزعنا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص
يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض
بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة
ودخول الآخر النار وروي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن
والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما
وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر
فاقسركم على الكفر والمعاصي واكرهكم عليها الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي
وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فلا تلوموني
ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم دليل على
ان الانسان هو الذي يختار الشقوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين
ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم
فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق
به قلت لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا
طائل له في النطق بالباطل في هذا المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى به بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان
وهو مثل قول الله تع ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
ما انا بمصرخكم ولا انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ
الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل
لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة
فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة
حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت جرت الياء الاولى مجرى
الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل

قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر يتضال اليه القياسات ما في
بما اشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا
اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه
واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل
يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه
وهو الله عز وجل يقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني
له شريكا ونحو ما هذه في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم
له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا اخر قول ابليس وقوله ان
الظالمين قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل
ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم
من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول
فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات
كقوله اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله وادخل الذين
آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس
باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره فان قلت
فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم غير ملتئم قلت الوجه
في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم
اي يحييهم باذن ربهم وقرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف ضرب الله
مثلا اي اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة
وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقوله شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز
ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه
فيها وفرعها واعلاها ورأسها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
وقرأ انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها قلت اي فرق بين القراءتين قلت
قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت
برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل
والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة
وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كشجرة التين
والعنب والرمان والنخلة وغير ذلك وعن ابن عمر ان النبي صلعم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل

المؤمن

المؤمن بشجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها
النخلة فهبت رسول الله صلعم ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت
فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكان احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلعم الا انها
النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد
المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها
كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في
ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني كشجرة خبيثة اي صفتها كصفتها
وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة
خبيثة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك
وقيل اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي
استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض
غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن
قتادة انه قال لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا
ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيمة القول الثابت
الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه واعتقده واطمانت اليه نفسه
وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود
والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون
وغيرهما وتثبيتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم
يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن
البراء بن عازب ان رسول الله صلعم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في
جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي
فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل
الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم انما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم
كما قلد المشركون اباهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا
يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شيء وهم في الاخرة اضل وازل ويفعل
الله ما يشاء اي ما توجبه الحكمة لان مشية الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم
وعصمتهم عند ثباتهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند
زللهم بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا

فكانهم بدلوا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم
حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما
كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة
وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلعم فكفروا نعمة الله بدل ما
لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا
نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا
وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر فاما بنو امية
فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم
ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف
بيان ليضلوا قرئ بالفتح والضم فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ
الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة الاتخاذ كما كان الاكرام
في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على سبيل التشبيه
والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم بالتمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه
مامورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه
وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم
الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب
النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا
اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا ويجوز ان يكون يقيموا وينفقوا
بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر
الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت
علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين
او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية
والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان
قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من
قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي
المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق
لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع

بر

به بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه
بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدأ والذي خلق خبره
ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات
مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق
بامره بقوله كن دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما
يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم
وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم
وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك
غير سائليه ويجوز ان يكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه
ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكأنكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عدتها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها
على الاجمال واما على التفصيل فلا يقدر عليه الا الله لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها
كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
والانسان للجنس فتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه هذا البلد يعني
البلد الحرام زاده الله امنا وكفى كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله صلعم
امنا ذا امن فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله
هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها
ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها
من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلاث
لغات جنبه الشر واجنبه وجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد
واهل نجد جنبني شره واجنبني شره والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني اراد بنيه من
صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد
اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة
لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك
الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن
كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس
ضلوا بسببهن فكأنهن اضللنهم كما يقال فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا واغتروا بسببها
فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي
وملابسته لي وكذلك قوله من غشنا فليس منا اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من

ولا يعلم

اغفر لهم وانما منهم ومن عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانه اذا
بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فعاد وبث الشكر من ذريتي من
بعض اولادي وهو اسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء
من زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير وقيل عوذي عوج
البيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه ولانه
لم يزل ممتنعا عن ارادة به كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محرم عظيم الحرمة
لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق فلم يستول عليه
ليقيموا الصلوة اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق
ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به
مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستعدين
جوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود
حوله مستنزلين الرحمة التي اثرت بها سكان حرمك افئدة من الناس من للتبعيض
ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمكم عليه فارس والروم ولو
لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء
كقولك القلب منه سقيم تريد قلبي كانه قال افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا
التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ افدة بوزن عاقدة
وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم ادر في ادور والثاني ان يكون
اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون
نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان احدهما ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه
ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم
شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى على البناء للمفعول
من هوي اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع
فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان يجلب
اليهم لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم
ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء
رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه له على كل ريف وعلى اخصب البلاد
واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريها الله بواد غير ذي
زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية
في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه واداء

الشكر

الشكر بالرحيل بحث ودعا ابراهيم ورزقنا طرفا من ذلك القلب السليم لنبدأ بالكرم لملك انقضى
والالتجاء الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من
الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا وانصح لنا
منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا
لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى
رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على
حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا
ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من
الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق
وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله
اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء
من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عم كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما
يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء وعلى ما في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما
ترين من كبري اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير
وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن
مائة وثنتي عشرة سنة وقيل وروي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحاق لتسعين وعن
سعيد ابن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان
المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على
عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت
اية لابرهيم عم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لي من
الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تع يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه
قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي حديث
ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما معنى الاضافة اضافة السميع الى الدعاء
قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله السميع العليم الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا
في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله
وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا
على الاسناد المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما
بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي
الظالمين وتقبل دعاء اي عبادتي واعتزلكم وما تعبدون من دون الله في قراءة ابي ولوالدي

وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الإفراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي يعني إسمعيل وإسحاق
وقرئ لولدي بالضم والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كأسد في أسد وفي بعض المصاحف
ولذريتي فإن قلت كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل
لا يعلم امتناع جوازه إلا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الإسلام ويأباه قوله
إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه
فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم ويوم القيامة يقوم الحساب أي
يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها
ونحوه قولهم ترجلت الشمس إذا أشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل ويجوز أن يسند إلى
الحساب قيام أهله إسنادا مجازيا أو يكون مثل واسأل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله لإبراهيم
فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله إماما
وجعل في ذريته من يقيم الصلوة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس كانت الطائف
من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم ربنا إني أسكنت من ذريتي الآية رفعها الله فوضعها
حيث وضعها رزقا للحرم فإن قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا قلت إن كان خطابا
لرسول الله ففيه وجهان أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسبه غافلا كقوله
ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله إلها آخر كما جاء في الأمر يا أيها الذين آمنوا آمنوا
بالله ورسوله والثاني أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الإيذان بأنه عالم بما يعمل الظالمون
لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله
والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز أن يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل
عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطابا
لمن يجوز أن يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم
بالنون والمعنى تشخص فيه الأبصار أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى مهطعين
مسرعين إلى الداعي وقيل الإهطاع أن يقبل ببصره على المرئي تديم النظر إليه لا يطرف مقنعي
رءوسهم رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن
عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم
الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء إذا كان جبانا لا قوة في
قلبه ولا جرأة ويقال للأحمق أيضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لأن النعام مثل في الجبن
والحمق وقال حسان وأنت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر من الخير خاوية وقال

ابو

أبو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة ومعنى أخرنا
إلى أجل قريب ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا
فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم
معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم
إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق أولم تكونوا أقسمتم على إرادة القول وفيه
وجهان أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوه
بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب
لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في
الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن سكن من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك
قر في الدار وغني فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار
كما قيل تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون من السكون أي قروا فيها واطمأنوا طيبي
النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام
الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالأخبار والمشاهدة
كيف أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الأمثال أي صفات ما فعلوا
وما فعل بهم وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم أي مكرهم العظيم مكرهم
الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو إما أن يكون مضافا إلى الفاعل كالأول
على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى
المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به
من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال وإن عظم مكرهم
وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته أي وإن كان مكرهم
مسوى لإزالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان
الله ليضيع إيمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه
لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول
بلام الابتداء على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن أماكنها وقرأ علي وعمر وإن
كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي فإن قلت هلا قيل
مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الأول قلت قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد
أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه

لخلاف الوعد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب
الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه
يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض
التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون
في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم
جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى
شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل
تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا امتا
وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار
بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها
وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض
بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي ع تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن
الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال
الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد
غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة
والشدة مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله
في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى
مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل
قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران بفتح
القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنا به الابل
الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال
النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه
لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون
الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما
وعده الله او اوعد به في الاخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه
ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق
فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي
حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة يوم يسحبون في النار
على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع

ع

على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة بما كسبت او كل نفس
من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ
كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله الى قوله سريع الحساب ولينذروا
معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر
به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة
الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلعم من قرأ سورة
ابرهيم ع اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن
للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب
الجامع للكمال والغرابة في البيان وقرئ ربما وربما بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع
التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب
في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون
ودادتهم قلت عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا
راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل
قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان
على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا
فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض
للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير والمعنى في الآية لو
كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل
ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك
حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل
تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات
من سكرتهم تمنوا ذلك قال ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما
هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم
ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف
يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه
لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم

قبل ذلك فان مرسومه بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم
حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام الحجة ومبالغة في الانذار والاعذار
وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يودي اليه طول الامل وهو هجيرى اكثر
الناس ليس من اخلاق المومنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب معلوم
جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تع وما اهلكنا من قرية
الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني
زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو اجلها الذي كتب في
اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا
ذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال بعض يستاخرون وحذف عنه لانه معلوم وقرا
الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون
والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله تعالى في
مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثير في كلام العجم
والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ركبت
مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا
مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لو ما الحيا ولو ما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما
عوري والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك
كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على
تكذيبنا لك ان كنت من الصادقين كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها وقرئ تنزل بمعنى
تتنزل وتنزل على البنا للمفعول ونزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا
بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون
لكم بصدق النبي صلعم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي والعذاب واذن جواب وجزاء
لانه جواب لهم وجواب لشرط مقدر تقديره ولو تنزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر
عذابهم انا نحن نزلنا الذكر لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر
ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي
بعث به جبريل الى محمد صلعم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا
من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف
الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا

نكان

فكان التحريف ولم يكل القران الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم
واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من
عنده اية لانه لو كان من قول البشر او غير اية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام
سواه من قبلك والضمير في قبلك لرسول الله صلعم كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم
والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم نبانا فيهم وجعلناهم
رسلا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان لا لا تدخل على مضارع الا وهو في
معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته
فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب
المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة
فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة
غير مقضية ومحل لا يومنون به النصب على الحال اي غير مومن به او هو بيان لقوله
كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر
المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم فظلوا يعرجون بالضم والكسر سكرت
حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما
يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هولاء
المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون
فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شي نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد
بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون الى السماء عيانا لقالوا
ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما
ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار من استرق في محل النصب
على الاستثنا وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات فلما
ولد محمد منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة
وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة
والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش
بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطا والصواب الهمزة او
اخراجها بين بين وقد قرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف
على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين
او وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين
يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام

والدواب وكل ما تملك المنافع مما الله رازقهم وقد سبق الحفظ لهم انهم لا يرزقون ولا يعولون
يكون نعمة ثم لما عطفنا على الضمير المجرور ذكره ابن عقيل والمعنى وان من شيء ينتفع به العباد الا
قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما ننزله الا بقدر معلوم فعلم انه مصلحة
اقترانه بالاقتدار على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لواقح اذا جاءت بخير
انشأت سحابا ماطرا كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال
ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس
فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان
من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء بمعنى نحن القادرون على خلقه
في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهار العجزهم
ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة
من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله عليه السلام في دعائه واجعله الوارث منا
ولقد علمنا المستقدمين ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والاخرين ومن خرج
من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن
تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء كانت
المصليات خلف رسول الله صلعم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر
ليبصرها فنزلت هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط
كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على
مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل
وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان
توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود
المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان
كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر
فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمأ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن
من حمأ وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال
انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كالانس وقيل ٣
هو ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كالانسان لان الجان ابو الجن من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
قيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت
قوله سويته عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي واحييته
وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا

معهم

معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا وابى استئناف على تقدير قولك ابى
هل سجد فقيل ابى واستكبر وقيل معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر من ان محذوف تقديره ما لك في
ان لا تكون مع الساجدين يعني اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد
النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ولا يستقيم ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب
او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد
منها والضمير في منها راجع الى الجنة او الى السماء او الى جملة الملائكة وضرب يوم الدين حدا للعنة اما
لانه ابعد غاية يضرب بها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التأبيد واما ان يراد
انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان يعذب فاذا
جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى
واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم
الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام
التكليف بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عم فافضى ذلك الى غيه وما الامر
بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار
فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك
لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء
بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لغوايتي اقسم لافعلن
بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب
هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني
اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له بالاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده
في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم
ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه
يجرح في عراقيبها نصلي الا المخلصين استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه هذا طريق
حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته
وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل لموعدهم لموعد الغاوين وقيل اطباق النار اطباقها
وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار
والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين
وقرئ جزء بالتثقيل والتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على

وامض منهم باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله
اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ
باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا
تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يتخلف
منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير المهاجر الذي يقدم سربه ويفوت به
ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا انفسهم على المهاجرة
ويطيبوا نفسا عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال
يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل
النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له
في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى
الظرف لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وعدي وقضينا بالى لانه ضمن
معنى اوحينا كانه قيل واوحينا مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع
وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف وكان قائلا قال
اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم
آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها
المثل في الجور مستبشرين بالملائكة فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره
فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي
من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهو الحياء عن العالمين عن ان تجير
احدا منهم او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم صلعم
بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط
لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط
هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم
هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله
كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة
فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عم لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون اي غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين
الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون
قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلعم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد
كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور

٤

على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في
سكرهم وسكرتهم الصيحة صيحة جبريل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من سجيل
قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة
بكتاب للمتوسمين اي للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم
حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في انها
لمدينتها يعني قرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم
مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين
لان شعيبا مبعوث اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق
واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم
به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا
لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل
الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر مررنا مع رسول الله صلعم على الحجر فقال لنا
لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا من ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء
ثم زجر النبي صلى الله عليه وآله راحلته فاسرع حتى خلفها الحجر امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان
تتهدم وتتداعى ابنيتها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون
ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا
ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة
لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيهم واياك على حسناتك وسيئاتهم فانه
ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا
جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري
بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح
اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو
يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل
الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما باية التسمية وقيل سورة
يونس وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة
مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى الواحدة مثناة او مثنية

على أن آله كقولك خسب في خسب ثم ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجري الوصل مجرى الوقف
المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب
تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها سلام سالمين او مسلما عليكم
تسلم عليكم الملائكة الغل الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان في الدنيا
غل على احد نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رض ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال علي رض مرحبا بك يا ابن اخي
اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تع ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له
قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل
معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد
والتحاب ولحقوا ما نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة
حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ
عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم
يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون
بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما
اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل
لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه
وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا
نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وانك بمثابة الامن المبشر فلا توجل
معنى ابشرتموني مع مس الكبر بان تولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر
فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قيل فباي اعجوبة تبشروني او اراد
انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة
بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه
والطريقة يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به لا طريق لها في العادة وقوله بشرناك
بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي
حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان
وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشروني
بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القنطين من قنط يقنط وقرئ ومن يقنط بالحركات
الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون
كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني انا لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته

ولكن

ولكن استبعاد له في العادة التي اجرى الله بها فان قلت قوله الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع
قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فان كان منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام
فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم
قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف
المعنى لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال
وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم
المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا
قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة
ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب
كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع
الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل
كان كلاما مستانفا كان ابرهيم ع قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت
فقوله الا امرأته مما استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله
انا لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد
الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت
طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما
فاما في الاية فقد اختلف الحكمان لان آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد
تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم
جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص
افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله تع اعمال العباد
بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما
لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا
كذا والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه
وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل
قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه سرورك
وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة
ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في اخر الليل قال افتحي
الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى شيء صالح من الليل فان قلت

معنده ثلاث واما المثاني من الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير
ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله تع بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان واما
للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله
كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت
كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع
الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لان اسم يقع على البعض كما يقع على الكل
الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى
ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو
الثناء او التثنية والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا
منهم اصنافا من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت
النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان
تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث
ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع
البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها
ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه
القوافل السبع ولا تحزن عليهم لانهم لم يؤمنوا وقيل ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم
الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المسلمين وضعفائهم
وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان
ان عذاب الله نازل بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون
الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق
للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا
يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة آل عمران لي ويجوز ان
يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض
التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية
لرسول الله من صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من
الكفرة فعلوا بغيرهم من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين
اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير

جعل

المتوقع بعذابنا الله تع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون جعلوا القرآن
عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر واساطير
مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في
كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه
ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين
تقاسموا على ان يبيتوا صالحا ع والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا
بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله ص
من تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم
والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها
عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي
فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحر عاضه ولعن
رسول الله العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن
الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا
يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة
اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة
وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف
الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر
من المبني للمفعول عن عكرمة المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد
ابن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث
ابن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل ع لرسول الله امرت ان
اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب
عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت
لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود ابن المطلب فعمي واشار
الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد
في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من
اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر
الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين
اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي ص انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم سورة النحل مكية غير ثلاث ايات في اخرها وتسمى سورة النعم
وهي مائة وثمان وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة وانزال العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا
بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الاتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه
فلا تستعجلوه روي انها لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان
القيامة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما
نرى شيئا فنزل اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا
يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس
رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون
تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان تكون الهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة
او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب
وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ
تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما
يقوم في الدين مقام الروح في الجسد ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا
وتقديره بانه انذروا اي بان الشأن اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزل
الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من
نذرت بكذا اذا اعلمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون
ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات
والارض وخلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا تعلمون
من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء
فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم
مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته
والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا
للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن
خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي
هذا بعد ما قد رم والانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره
الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها
لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء

من

من اللباس تعمل من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع
هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقدم الظرف في قوله ومنها تاكلون يؤذن بالاختصاص
وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها
من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها
لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها
وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها
لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب
فيها الرغاء والثغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة
عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح
قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة
لاهلها وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين
والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل
هما لغتان بمعنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة
الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد فان
قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانوا كانهم كانوا يحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل
اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم
لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم
وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت طباقه من حيث المعنى لان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد
علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان
يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرؤوف
رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام
اي وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب
والزينة ولم يذكر الاكل بعدما ذكره في الانعام فان قلت ولم انتصب زينة قلت لانه مفعول له وهو
معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت لان الركوب
فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة
لتركبوها او تجعل زينة حالا من هاء اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به
ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء
المعلومة مع الدلالة ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره
بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم

ونهج احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد
مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه
كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ليعلم ما يجوز اضافته
اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل
وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء
اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له
والشراب ما يشرب والشجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر
فانه سحت يعني الكلأ تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها
وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض وعن بعضهم ينبت بالياء والنون
فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض
بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية
الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون
والنخيل والاعناب والشمس والقمر قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها
للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد
السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات
لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير
من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ
بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع
وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية
اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار
يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر لحما طريا هو السمك وصف
بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا
اذا حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة
الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم
لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان
والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم مواخر شواق للماء
بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة وان تميد بكم كراهة ان تميد

بكم

بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة
ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها
انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هي
معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم
في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين
وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا
فان قلت قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل
وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم
في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم
فخصصوا فان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت
فيه اوجه احدها انهم سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله
على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه
وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف
بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل
وايد واذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت
لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها
الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق
كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه
وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر ذلك عليهم بقوله افمن يخلق
كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام
بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا يعد ان الله
لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون
والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون بالياء بالمفعول نفى عنهم خصائص الالهية يرعون
بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون
وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة
لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير
في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت
بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عباداتهم وفيه دلالة على ان البعث من لوازم التكليف

وحيه وعلى ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك
فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احيا يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة
كالنطف التي ينشئها الله تع حيوانا واجساد الحيوانات التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات
لا يعقب موتها وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هولاء الالهة
متى تبعث الاحيا تهكما بالمشركين شعور الجماد محال فكيف شعوره بما لا يعلمه حيا الا الحي العليم
سبحانه او وجه ثالث ويجوز ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم
وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية حيوتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم
وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان يكون الالهية لغيره وانه
له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجته اثبات الوحدانية ووضع دليلها استمرارهم على شركهم وان
قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن اقرارها لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين
ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هولاء تحت عمومه ماذا منصوب بانزل يعني اي شي انزل ربكم او مرفوع
بالابتداء يعني اي شي انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير
الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كانه قيل له ماذا ايتقولون قال المعنى نزل ربنا
فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم
ولو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل
مكة ينفرون عن رسول الله صلعم اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلعم قالوا احاديث
الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلعم
فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل
والضال هذا يضله وهذا يطاوعه في اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل
من غير ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول
اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضل وان لم
يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين البناء
التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل
الله هلاكهم في تلك المنصوبات بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين
لان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل
هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله
الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون
من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين ثم يخزيهم

الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الاخرة شركاي
على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون
وتخاصمون المومنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون اي تشاقونني لان مشاقة
المومنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا
يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون
ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة وقرئ يتوفاهم
بالياء والتاء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤا
بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد
منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت
لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هولاء
لما سئلوا لم يتلعثموا وطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا
اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من
الانزال في شي وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلعم
فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك
فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد لاراه فيلقى اصحاب
رسول الله صلعم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين
احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم
عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم
من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الاخرة ما هو خير
منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف
المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح
طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم
قيل اذا اشرف العبد المومن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك
السلام ويبشره بالجنة ياتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان ياتيهم لقبض الارواح او امر
ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب
فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا
به التدمير سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة
ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعبادة الاصنام وانكار البعث

واستعجاله استهزاء وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا وحرموا
ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب
المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبيح فعلهم
وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان
والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تع من افعال العباد وانهم فاعلوها
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تع باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم
عليه ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيته الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم
بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم
من هدى الله لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة ثبت عليه
الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا في الارض
فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في انه لا اقدر الشر ولا اشاء حيث افعل ما
افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلعم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت
عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تع متعال عن
العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا تقدر انت ولا احد على هدايته
وقد خذله الله وما لهم من ناصرين وقيل معنى ان المراد بالاضلال الخذلان الذي
هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي
فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة
عبد الله يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرئ يضل بضم الياء
بفتح الدال وهي لغيه واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان
موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشية الله وانكارهم البعث مقسمين
عليه بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا على الله مصدر موكد لما دل عليه بلى لان
يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب على الله في الحكمة ولكن اكثر
الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله تع لانهم يقولون لا يجب على الله شي لا ثواب
عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير
لمن يموت وهو عام للمومنين والكافرين والذي يختلفون فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم
كانوا في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي وقولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز
ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا
على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا مبتدا وان نقول خبره كن فيكون من كان
التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شي فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث

عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود
المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول والمعنى ان ايجاد كل مقدور
على الله تع بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا
على نقول والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر
الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا
محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلعم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب
وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت
عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له
عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخف الله تعالى لما عصاه
فكيف وقد خافه حسنة صفة للمصدر اي تبوئة حسنة وفي قراءة علي لنثوينهم
لنبوئنهم ومعناه اثواه حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل
مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر انه كان
اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في
الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث
اواها اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهولاء المستضعفين
في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا
يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني
الذين صبروا على العذاب على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف
بقلوب قوم هو مسقط راسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش الله
اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة
فاسالوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت
تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء
مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت
زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل
بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم
بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك
فاعطني حقي وقوله فاسالوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل
الكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل اليهم يعني ما نزل الله عليهم في الذكر مما امروا
به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتاملوا

مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقلبهم متقلبين في
مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم
بالعذاب وهم متخوفون متى تموت وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك
تخوفته وتخوفته اذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
اي ياخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد شيء حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف والتنقص قال فهل تعرف العرب
في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا
وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث حلم عنكم ولم
يعاجلكم مع استحقاقكم فيه ذهب او لم يروا او يتفيؤا بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله
مبهم بيانه من شيء يتفيؤ ظلاله واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون
حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع
بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب اي ولم يروا الى
ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد
منها وسعيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب
منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا
صاغرة منقادة لافعال الله فيها ولله يسجد ما في السموات وما في
الارض جميعا يجوز ان في السموات خلقا يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون
بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون
بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا
من بين الساجدين لانهم اطوع واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله
والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا
الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين
طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين
يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم
قلت لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو
صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي
لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر
عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا

فوقهم

فيهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين
وانهم بين الخوف والرجاء فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي
رجال ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان اثنان
فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد
المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد
شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده
بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل الكلام عن الغيبة
الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله
واياه فارهبون ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم وله الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف
والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون
من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء ما دائما سرمدا
لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة اي شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله
فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف
راهبا يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا فهو يخرجون بطرحها لهم الى
حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناءه للمغالبة
وهي لمعنى المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون
الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب
للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم
من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا
غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيتمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام
لام الامر لما لا يعلمون لالهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر
وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا تضر ولا تنفع فهم اذا جاهلون بها
والضمير في لا يعلمون للالهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر جعلوا لها نصيبا في انعامهم
وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسالن وعيد لما كنتم تفترون من
الافك في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني
البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا
لانفسهم ما يشتهون من الذكور قال بمعنى صار كما يستعمل اصبح وظل وبات بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل

لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا
على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل ما بشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر
ايمسكه ما بشر به على هون اي هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها
على التانيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هو محله عندهم
ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت
وكراهة الاناث وادها خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى
وهو الغني عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها اي على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة
انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم
الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم ومن دابة ظالمة وعن ابن
عباس من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو هلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون
لانفسهم من البنات ومن الشركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم وارسالهم وبالتهاون
برسالاتهم ويجعلون له اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى
عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار
كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هات ما دفع اليك السلاطين واعوانهم من حظي بالدنيا
والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال لي هات ما دفع اليك يبقى في يدي الكسر والخرق وما لا يبقى
لها ما استحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الاية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش
لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون
قرئ بالفتح والكسر مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت
فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي
اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات
وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او وهو
وليهم في الدنيا والاخرة فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل
فهو وليهم اليوم حكاية للحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم
غيره نفي للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار
من قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف مضاف اي فهو ولي
امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي
انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان
فعلا لفاعل الفعل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من

النعم

النعم والتحليل والتحريم والانكار والاقرار كقوم يسمعون اسماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم
ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش
ولذلك رجع الضمير مفردا الى مما في بطونه واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام
وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر
نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه اسم تحوونه وتنتجونه فلا يحوونه والى ان قبيلة حين
انثوا لان معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة
فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت
البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد
مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث
في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص
فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال
لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق
بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال
زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدا
فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق
بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث كان صفة له
وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يقول ان المني طاهر على
من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول
وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات
النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها
وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء وتعلق
تتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة
موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام رجع
الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله
او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا قال
جاؤوا بنا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال
بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر

اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية
وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وبالاخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي
عن كتاب في تحريم المنبذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية فقيل له لو شربت منه ما تقوى به فتقبل الله
صنعت في تحليله فقال ما ولته الدعاوى تنتح في المروع وقيل السكر الطعام وانشد جعلت اعراض
الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا انتهك في اعراض الناس كانه تخمر بها والرزق الحسن
الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو
مسكر ورزق حسن الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به
لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما
يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولي العقول عقولهم
وقرى بحي بفتحتين وثابا الى النحل فعبتين ومن مذكر كالنحل ويانبثه على المعنى ان اتخذي هي ان
المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول فيها بيوتا بكسر الباء لاجل الياء يعرشون بكسر الراء وضمها
يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي
تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا
تبنى بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها من كل الثمرات احاطة بالثمرات
التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي تنا بني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل
ربك الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه
التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا في اجوافك ومنافذ ما كلك واذا اكلت الثمار في المواضع
البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد
بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فسافرت الى البلد البعيد المخصب او اراد بقوله ثم كلي ثم
اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل
لان الله ذللها لها ووطأها وسهلها كقوله والذي جعل لكم الارض ذلولا وحال من الضمير
فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف
الوانه منه ابيض واسود واحمر واصفر فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة
النافعة وقيل يعجون المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل
دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل
وعن النبي ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته
فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى
فبرئ كانما نشط من عقال وعن ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين

من القرآن والعسل ومن بدع التاويلات الشيعة الرفضة ان المراد بالنحل علي عليه السلام وقومه عن
بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال رجل جعل الله طعامك
وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم
الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة وعن علي عليه السلام وتسعون سنة عن قتادة لانه
لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان
وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا وقيل
لئلا يعلم زيادة علم على علمه اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم
وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس
والمطعم كما يحكى عن ابي ذر انه سمع النبي يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم
مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك
من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل مضروب ضرب به للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا
تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك
لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك
انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا
من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء من انفسكم من
جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة
والخدمة ومنه قول القانت اليك نسعى ونحفد وقال حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال
واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج
الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان
يراد بالحفدة البنون انفسهم فقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون
وهم حافدون اي جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات بالجنة
وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام
وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل ان لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به
كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون
بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم
البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون في معنى المصدر بمعنى ما يرزق فان
اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام مسكين على ما لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت
المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا لا يملك اي لا يملك شيئا من الملك
من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا

اوصفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الآلهة بعد ما قيل
لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا الالباب
من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما يغني بقوله ولا يستطيعون بعد قوله
ولا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في ولا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا
ولا استطاعة منفية عنهم اصلا لانهم اموات الا ان يقول الراجع ويرجع بين نفي الملك والاستطاعة
للتوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم ولا يستقيم فلا تضربوا
لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه
حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه
بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك
هو الذي جرأكم عليه وجرأكم اليه وهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد
فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال فانتم لا تعلمون ثم علم كيف تضرب
فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين
حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكا
لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك فهو غير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من
الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب
ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب
الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كانه
قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل
يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا
يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيث
ما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن
هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو
في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه
لما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمته والله غيب السموات والارض
التي هي امور لا تقف ولا تنفع وقرئ ايما يوجه بمعنى اينما يتوجه اي يختص بعلم ما
اوجدا التي يعبد وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول وقيل غيب السموات والارض اي
يختص به علم ما غاب فيها عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض
يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب
الا باالعين في استعظامه وتعني بقوله تعالى كلمح الطرف تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر

او اقرب وسيستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي ما
عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين
والآخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة
ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وكسرها والهاء
بدل من الهمزة في امهات كما زيدت في اراق فقيل هراق وكذلك زيادتها في الجمع قال امهتي خندف
والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون
وصوركم في ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء
الآلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام
بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة وهي جارية
مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك
مجرى فريء اولم يروا بالتاء والياء مسخرات مذللات بالطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية
لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو واللوح مثله
ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها
من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه من بيت او الف
حقيقة المحل في الضرب واللبث والتنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم
حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في
اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان
تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى الموت وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق
من الشجر والابنية المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال
والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم
الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقيل ما يقيهم البرد اكثر وقيل ما يقي
من الحر يقي البرد فدل ذكر الحر على ذكر البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن والسربال
عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون
به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك
بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب
يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غيره
بما وقوله هي من الله ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل تعلم
الجاهلون ما اصبت كذا اي لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله

اجلها علي بن فلان وجعله سببا في نيلها فاكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت
ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف
لا ان ينكر شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يوذن للذين كفروا
في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن ولا هم
يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما
معنى ثم هذه قلت معناه انهم يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام
فلا يوذن لهم في القاء المعذرة ولا ادلاء بحجة واذا راى الذين ظلموا العذاب ويعذبون واذكروا يوم
نبعث او ويوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه ولكن اذا راوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا
يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية واذا راى الذين اشركوا الهتهم قالوا
شركاءنا الهتنا التي دعوناها شركاء كان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم
في الغي ويجوز ان يعنى بعبدة الاصنام قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة
قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم وكانت عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قوله الملائكة
وكانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا انهم المعبودون دونها
او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله تعالى من الشريك وان يريد بالشركاء الشياطين جاز
ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من
قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله
عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع
احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير
فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل
الله تعالى شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لان كل نبي بعث الى امته منهم وجئنا بك يا محمد
على هولاء امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه
في غير القران فان قلت كيف كان القران تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور
الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته
وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس

مستند الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده
فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط
فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح
ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فليس ينبغي
ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي
طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على علي رضي الله عنه اقيمت هذه الاية مقامها
ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة
نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون وعهد الله البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها
بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا
ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا في نقض الايمان كالمراة التي انحت
على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت
سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها
فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال
ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون
امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امة هي اربى اعدادا واوفر اموالا من جماعة المومنين
انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ام تغترون
بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المومنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة
ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر
على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي
من يشاء وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان
والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسالن
عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسالون عنه ثم كرر
النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يرتكب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل
اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم
من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون
بها ولكم عذاب عظيم في الاخرة كان قوم ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش
واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا

عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا عرضا
من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا ان ما عند الله من اظهاركم
وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته
باق لا ينفد ولنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت
لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف
باقدام كثيرة فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح
على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على
التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده
ثواب الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك ان المومن مع العمل
الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا
فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا
فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحيوة الطيبة
الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل حلاوة الطاعة
والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران
فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب
والمعنى فاذا اردت قراءة القران فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقولك
اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد
عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن
ابن مسعود قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي
يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح
المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا
يطيعونه فيما يريد من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير
يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه وغروره ووسوسته تبديل الاية
مكان الاية النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى عالم بالمصالح
والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما
انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ
وكانوا يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون
ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق

القرض

العرض المصلحة لان الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الاية بالاية دليل على ان القران
انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرانا ينسخ بمثله وليس فيه نفي لنسخه
بغيره لان السنة المشهورة مكشوفة المتواترة مثل القران في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله
واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القران بها في نزول وتنزيله وما ينهما من
التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان
ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل اضيف الى القدس
وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس
المطهر من الماثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني
ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه انه الحق من ربنا
والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو
حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوف على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا
وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف اراد بالبشر
غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب
وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف
بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف عليهما يسمع ما يقرآن
فقالوا يعلمانه وقيل الحجر بهما بلغنا انك تعلم محمدا فقال بل هو يعلمني وقيل سلمان الفارسي
واللسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة
وحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا ألحد فلان في قوله والحد في دينه
ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى
لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان
عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء
وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله
قوله والله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله فاذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم
الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الاخرة
لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب
بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه اولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون
هم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب

لان تكذيب ايات الله اعظم الكذب اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء
لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين
لا يؤمنون بايات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى
انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء
ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز
ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر
الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم او
يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من
اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام
بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه
ياسر وسمية امه وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا اما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ
في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام
واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلعم وهو يبكي
فجعل النبي صلعم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى
الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل فعل
عمار ام فعل ابويه قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام
وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في
قال انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا
اصم فاعاد عليه فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلعم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما
الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وهو ان الغضب والعذاب يلحقانهم
بسبب استحبابهم الدنيا على الاخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية
الغفلة ومنتهاها هاجروا ثم ان ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه
ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك
للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على
الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من
بعدها اي بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تاتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان
قلت ما معنى النفس المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس

الجملة

الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته
لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء
اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك ضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا فضربها
الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج
والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع
او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلعم بالموسم انها ايام طعم
وشرب فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة
المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت
عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون
ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من
طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي
الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه
لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في
نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستكثار لا يتبع الا بهما احدهما ان ينظروا
فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت
لضحكته رقاب المال لما استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون
الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء
نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو
رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر
اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر
اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا
وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ
بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على
تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف
والجوع لما وعظهم بما ذكر عن حال القرية وما اتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل ذلك
بالفاء في قوله فكلوا وصدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها
بان امرهم بان ياكلوا مما رزقهم الله من حلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه
تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاء وكم عنه
ثم عدد عليهم محرمات الله تعالى ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع

الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله تعالى او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قوله ولا
تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق
بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام
ولك ان تنصب الكذب بتصف ... ولا تحلوا ولا تحرموا لاجل قول تنطق به السنتكم وتجول في
افواهكم اي لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف
السنتكم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه
فاذا نطقت به السنتكم فقد حليت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب
بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ
الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع
الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن
معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
او حطام الدنيا منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام
بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين
للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما
انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم
اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما
جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي
عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت
غلطت انما هو ابراهيم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله سبحانه وتعالى
ولرسوله صلعم واله وكان معاذ كذلك وعن عمر انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان
ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلعم واله
يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا
المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وقيل ذلك المعنى لانه كان اماما
في الدين لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بامر الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام الذي لا يزول
عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لانعمه روي

انه كان

انه كان لا يتغدى الا مع الضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة
البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله تعالى
على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام
حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال
والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم من الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا
اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلعم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل
الله ابراهيم من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله صلعم ملته من قبل انها دلت على تباعد
هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا
عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه
انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة اخرى وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه
على كلمة واحدة بعدما حتم الله عليهم الصبر عنه وعن غيره ما ذكر وهو مثل لهم من سخط الله تعالى على العصاة
والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا
مختلفين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين
اخرى ووجه اخر ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون
يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت
الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار
عليه الجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاعوا الله
تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا على الصيد فمسخهم الله دون اولئك
وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض
عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا
انزلنا السبت الى قوله سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل
الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما
ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القران اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم
بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف
ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت
عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد سمى الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع
بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا فعاقبوا
وان تتبعتم بالانتصار فتتبعوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم
وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروي

ذلك مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك
فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها
حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في هو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين
المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون
على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس
الصبر فقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وجل
فمن عفى واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله صلعم واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما
صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله
فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق
وقرا ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق
ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي هو
ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل
له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل
عن رسول الله صلعم انه قال من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان
مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية تمت تمت تمت

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل
سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء
الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل
قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى
الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله
وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة يعني الامر بالقيام في بعض الليل
في المكان الذي اسري به منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلعم انه قال
بينما انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق
وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه
به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسري
به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد
فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال مالك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج

فجلس

اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلعم بحديث الاسراء فقال يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده
على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق
قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر اليه ثم فاستنعتوه
المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا
فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم
نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما
قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من
بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا
في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس وعن الحسن انه كان قبل البعث واختلفوا في انه كان في اليقظة
ام في المنام وعن عائشة انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معوية انما كان في
المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه
مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عم ومهبط الوحي
وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ
الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة
الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك الا تتخذوا قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي
لا تتخذوا كقولك كتبت اليك ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا
نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا الا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم
لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي
يتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين
مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو يتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية
من حملنا بكسر الذال وروي عنه انه فتحها وذكرهم الله النعمة في انجاء ابائهم من
الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء
اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي
كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته
قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض
طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته
لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا كان عبدا شكورا
وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص

والشاكرين لانهم اولاد المحمولين مع نوح فهو متصل به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال
ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي
مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة
ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن
جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء
من فسد مرتين اولاهما قتل زكرياء عم وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله
والاخرى قتل يحيى بن زكرياء وقصد قتل عيسى ابن مريم عبادا لنا وقرئ عبيدا لنا واكثر
ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت
قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت
كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين
ما فعلوا ولم نمنعهم على انه عز وجل اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه وهو كقوله
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم
واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم وتخريب المسجد واحراق التوراة
من جملة الجوس المسند اليهم وقرئ فحاسوا بالحاء وقرئ خوسوا وخلل الديار
فان قلت ما معنى وعد اولاهما قلت معناه وعد عقاب اولاهما وكان وعدا مفعولا
يعني كان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة
على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بختنصر
واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل
داوود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع
نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما وهو مختص بانفسكم لا يتعدى النفع
والضرر الى غيركم وعن علي عليه السلام ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا
جاء وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوؤا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى
ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين
كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي عم
لنسوءن ولنسوءن وقرئ لنسوءن واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم
ليدخلوا ويسوؤا جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه
واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة
اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد
الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا

بالنون الخفيفة

صلعم فكلما

صلعم فكلما عادوا فهم يعطون الجزية وعن ابن عباس وعد هو ما عدتم عدنا وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث الله
عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير
قال الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرصوف للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة
او الطريقة كيف ما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف
بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين
الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما
حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون
قلت على ان لهم اجرا كبيرا على انه بشر المؤمنين ببشارتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم
ويجوز ان يراد بالذين لا يؤمنون معنى يؤمنون
على نفسه واهله وماله بما يدعو لهم بالخير لقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم
في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تانى المتبصر
وعن النبي صلعم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن
فشكى الم القيد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده فلما اصبح هرب فلما اصبح
النبي صلعم دعا به فاعلم لشانه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة
ان يقطع الله يديها فقال النبي صلعم اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق
من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد
بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته
الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب اتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن
عباس هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية
فاجيب له فضربت عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان يريد ان الليل والنهار ايتان
في انفسهما فتكون الاضافة في اية الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود
اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا
نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء
مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي
تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع
الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء
لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا
باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك
لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم

تفصيلا

وفصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد حققنا
القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه
ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب
تقلدها طوق الحمامة ومنه قولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا
ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون
النون وقرئ ونخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء
للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر يخرج له الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال
وقرئ يلقاه بالتشديد مبني للمفعول يلقاه ومنشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا
حال من يلقاه فهم من اعلاء الزجاج القول وعن قتادة يقرأ ذلك كل يوم من لم يكن في
الدنيا قاريا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى
ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا
ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه
فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور
يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان تتأول النفس بالشخص
كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب
نفسك اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث
اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة
العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العقاب لاغفالهم
النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل
بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ
من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعث الينا رسولا ينبهنا على النظر في
ادلة العقل واذا اردنا ان نهلك قرية واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان
امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم
بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب
عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى اتباع الشهوات والمعاصي فكانهم مأمورون
بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا
من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على
المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا

زعمت

زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف
حذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه
وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة
ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم امرته فعصاني
او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان
محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير
مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به وكانه يقول
كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى
مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير
دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه
فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظيره
شاء ان لا مفعول قد استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك
ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما
اظهرت وقلت قد دلت حال من اسند اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة
فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد
فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فأمر من باب كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة
مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وسكت وقرئ آمرنا من امر وامره غيره
وامرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا
ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك
كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب
الهلكة لا غير وانه عالم بها ومعاقب عليها من كان العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة
واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل
بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون
ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا
وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا
او لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد
بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ
يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد

ما يشاء من الدنيا وان ذلك لمن من الدنيا يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد بعمل الآخرة
كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام فمن كانت هجرته الى
الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى
ما هاجر اليه مذموما مدحورا من رحمة الله وسعيها حقها من السعي وكفاها ما يطلب من الاعمال
الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه ويتجافى
عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض
المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية لم ينفعه عمله
شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه
نمد نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي
جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك وفضله محظورا ممنوعا لا يمنعه من عاص
لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي
الآخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي ان قوما
من الاشراف ومن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي
سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا الى الاسلام فاسرعوا
وابطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله
لهم في الجنة اكثر وقرئ اكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس
الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل فتقعد من قولهم
شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم
وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له
وقضى ربك وامر امرا قاطعا الا تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ
ووصى عن ابن عباس وروي عن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان
يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما ان الشرطية
زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت لم يصح
دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغ وقرئ
يبلغان فاحدهما بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فان قلت لو قيل اما
يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على
ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما ضرك
لو جعلت احدهما توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد

التثنية

التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل
الاول اف صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر
على اصل البناء والفتح تخفيفا للضمة والتشديد ثم والضم اتباع كمنذ فان قلت ما معنى
عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه
وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال
الطفولية فهو مأمور بان يستعمل معهما وطاء الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول
لهما اذا اضجره ما يتعذر منهما او يستثقل من مؤنتهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه
في الوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء
بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف
والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول
يا ابتاه يا اماه كما قال ابراهيم يا ابت مع كفره ولا تدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء
الادب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة نحلني ابو بكر
كذا وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فان قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت
فيه وجهان ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك فاضافه الى الذل او الذل كما اضيف
حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل والذلول والثاني ان تجعل لذله
او لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع
لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان
افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته
الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام
لهما انما يجوز اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان
يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل
ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار
ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار
ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن
المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله ان ابوي بلغا من الكبر اني الي
منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك

سخطهما

فانهما

ندعا

٥

كانت تسيئ به تشكي رجل الى رسول الله ﷺ اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله
فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا
ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا
مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال
لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال انها لم تكن كذلك حين
ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمأت
نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولا طلقة
وعن ابن عمر انه رأى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول ان لها مطية لا تنفر اذا الركاب نفرت
ما حملت وارضعتني اكثر الله ذو الجلال الاكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولا
زفرة واحدة وعنه عليه السلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف
عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب
العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله
الخمر ويأخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم خنزير
اوقد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله ﷺ في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال
دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل
وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في
ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما
من بعدهما وعن النبي ﷺ ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بما في نفوسكم بما في
ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا قاصدين
الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة مما لا يخلو منه
البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور
للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد
بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان
يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه
التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من
الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين
والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة والشافعي
لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم
صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين

صالحين

وابن

وابن السبيل يعني واتهما ايضا حقهما من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بايتاء ذوي القرابة من الحق صلتهم
بالمال وقيل المراد بذي القربى قرابة رسول الله ﷺ التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف
وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر
الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن
مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر مر رسول الله ﷺ بسعد وهو يتوضأ فقال
ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم
في الشر وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما
يأمرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما
ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان وإما تعرضن عن ذي
القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا
سالوك وكان النبي ﷺ اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء وقوله ابتغاء
رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا
جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك
عليهم واما ان يتعلق بالشرط اي وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح
لك فسمى الرزق رحمة فرددتهم جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق
مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان
يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم تدفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد
الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه ميسورا
من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله
على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا
التمثيل المنع للشحيح واعطاء المسرف امرا بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد
ملوما محسورا فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا
وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت
على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن
جابر بينا رسول الله ﷺ جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر
فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة وقيل اعطى
الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشأ يقول اتجعل نهبي

تستكسيك

ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع وما كنت دون
امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم
سلى رسوله عليه السلام بما كان يرهقه من الاضافة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به
عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز
ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان
يقتصدوا ويحتمل انه عز وجل لا يبسط لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط
له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته فتلك اولادهم وأدهم
بناتهم كانوا يئدون بنين خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم
وقرئ خطئا بكسر الخاء وقرئ خطاء وهو الاثم يقال خطئ خطاء كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب
اسم من اخطا وقيل هو نحطا كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطا بالفتح والمد
وخطأة بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء
بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه
وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او ابنته من غير سبب والسبب ممكن وهو النكاح
التي حرم الله الا بالحق والحق المبيح احدى ثلاث الا باحدى ثلاث كفر او يقتل مؤمنا عمدا او يزني
بعد احصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب
المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في
الاقتصاص منه او حجة بينة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل
غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل واحد منهم قتلوا
به جماعة حتى ان مهلهلا قتل بجير بن الحارث بن عباد فقال بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل
في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقتل
الاشراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه
مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرفوا على خطاب
الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا في القتل انه كان منصورا
عن مالك الولي حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان
الله نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق او للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب
القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما الذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في
قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي
احسن وهي حفظه عليه وتثميره ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد
ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا

للناكث

للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا وقرئ
بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم
وغيرها احسن تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه
ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفاه اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في
اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده
وهو حائر والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي
عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية
شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته
يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضه ومنه الحديث من قفا مؤمنا
بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين
ساكن بهن الحياء لا يشعرن التقافيا اي التقاذف وقال الكميت ولا ارمي البريء
بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا فقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان
ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك
اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في
موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤولا عنه مستويا فيه الى الجار
والمجرور في المغضوب في قولهم غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه
ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه وقرئ
والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب
مع الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المكسور على اسم الفاعل
لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة
وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء لن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم
بالمختال كل ذلك كان سيئه قرئ سيئة وسيئه على اضافة سيء الى ضمير كل وفي بعض المصاحف
سيئاته وفي قراءة ابي بكر الصديق كان شانه فان قلت كيف قيل سيئه مع قوله مكروها
قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنها حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه
ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة
سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال
بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة اي ما كان من ذلك سيئة
قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم
من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد

بالعضيهة

بدوسك

نوحيه وعن ابن عباس هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله
الها آخر قال الله تع وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات ولقد جعل الله عز وجل
فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه
حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكما وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن
دين الله اضل من النعم افاصفاكم خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني
خصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ
ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يوثرون
باجود الاشيا واصفاها من الشوب ويكون ادونها واردأها للسادات انكم لتقولون قولا
عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون
له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله عنده ادون خلق الله وهم
الاناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله
البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا القرآن
يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى
ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز ان
يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل
فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ ليذكروا اي ليذكروا
اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا نفورا عن الحق
وقلة طمانينة اليه وعن سفيان كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك
نفورا كما يقولون بالتاء والياء واذا دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا
جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من
له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم
الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة ومعنى وصف
العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به والمراد انها تسبح له بلسان
الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فتنطق بذلك وكانها تنزه الله مما لا يجوز عليه
من الشركاء وغيرها فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا
التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم ان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات
والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا
لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فهم اذن لم يفقهوا

التسبيح

التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبح على الحقيقة وهم
الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي
حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة
والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم
بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى
فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره
او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا
قرات القرآن جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة فيه المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه فقال وحد يحد وحدا
او وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك
وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا نفورا
مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان يذكر مع آلهتهم لانهم
مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون به من الهزء بالقرآن ومن اللغو
كان يقوم عن يمينه اذا قرا رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء
اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم
نجوى بما يتناجون اذ هم ذوو نجوى واذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل
هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر
والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو
متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا
فرد قوله كونوا على قوله كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما
فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال
الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض
اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته
الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر
وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على
ان يردكم الى حال الحياة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول
الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات

والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى
يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين
وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه
وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب
فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا
وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة
وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم كقوله
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم وان يشا يعذبكم
يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل العقاب وانكم معذبون
وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض
يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك
عليهم وكيلا اي وما وكلناك اليهم امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك
بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول
آية السيف وقيل نزلت في عمر شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم
الله وفرطت منه بدرة بالكسر وهما اللغتان يرجون ويعذبون بوردهم على اهل مكة في انكارهم
واستبعادهم بان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب
وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني
اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا
دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبيا وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في
زبور داود قال الله تع ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف الزبور قلت يجوز ان يكون
الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض
الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه
بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير وقيل نفر من الجن
عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا
عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه واولئك مبتدا

والذين

والذين يدعون صفة ويبتغون خبر يعني آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى
الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف
الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون
اي هم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون
كما غيرهم من عباد الله فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل
احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم مهلكوها بالموت والاستئصال او معذبوها
بانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في
كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع
والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها
ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الآيات
التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وعادة الله في الامم ان
من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا
عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع
على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون
في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم
الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت
فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها
صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل
بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل
كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى
وما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ
قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس
بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون
الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد
فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك
ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تع اراه مصارعهم
في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي
الى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الي

رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الاسرا وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويستهزئون ويتجالدون
استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم
ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك فما
انكروا ان يجعل الشجر من جنس لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة في بلاد الترك
يتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل
فيها النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد كالجمر باحماء النار فلا يضرها ثم
ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان
الايات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر
فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا
بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم من الايات وقيل الرؤيا هي الاسرا وبه
تعلق من يقول كان الاسرا في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية
وقيل انها ما رآه في وقعة بدر ... قالوا له لعلها رؤيا رايتها وخيال خيل
اليك استبعادا منهم ... عن قوله فراغ الى الهتهم ... (ثم اقربهم)
... ذلك لانت العزيز الحكيم الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل الرؤيا
في المنام ان الحكم بني ... كانوا ... الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت
شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة
لا تلعن على التحقيق وانما وصفت باللعن لصاحبها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن
لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول
العرب لكل طعام مكروه وضار ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب
الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان
وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة
الملعونة كذلك اما من الموصول والعامل فيه ... اي ... له وهو طين اي اصله طين
او من الهاء الراجع اليه من الصلة على اسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ارأيتك
الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته
علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتن واللام موطئة للقسم
لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا
الا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اي اكلهما فان قلت من اين
علم ذلك وهو من الغيب قلت اما انه سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله
به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوهم في مخايله انه خلق شهواني وقيل

قال

قال كذلك المعنى ونحوه في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب
الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره
سوء اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا كما قال موسى عليه السلام
للسامري فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء
ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت ليكون المخاطب فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك
ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على الالتفات وانتصب
جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء
موصوف بالموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز الخفيف
واجلب عليهم من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة ومنه قوله يا خيل الله اركبي
والرجل اسم للرجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب
وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات
لها يقال رجل رجل وقرئ ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه
بخيله ورجله قلت هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه
اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده
من خياله ورجاله حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش
من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد
فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق
والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية
بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير
ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة
وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في
الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الاجل ان عبادي
يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا
لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز
ان يامر الله تعالى ابليس ان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو
من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ...
والضر خوف الغرق ضل من تدعون الا اياه ذهبت عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في
حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعون في ذلك الوقت ولا يعتقدون
برحمته وحكمه ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم ... لا نقادكم ... مثل الملائكة ...

ويجوز ان يراد وضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده
على الاستثناء المنقطع افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم
فحملكم ذلك على الاعراض فان قلت بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالارض في قوله
فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان نخسف جانب البر اي نقلبه وانتم عليه فان قلت
ما معنى ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سوى وله في كل جانب كان
او جهة من جهاته سبب من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق في
جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت
الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه
من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء
يعني وان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء
يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عليكم ام امنتم ان
يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم
منكم بان يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف
اي تتكسر وقيل هي التي لا تمر بشيء الا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك
نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل بالياء والنون تبيعا مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف اي
مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مسيطر عليه
مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا
للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها كرمنا قيل في تكرمة بني آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة
والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم
وقيل كل شيء ياكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف
فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع
ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة
صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء
وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك
بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف
نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا
منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك
فاعطناه في الاخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا

عن

عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا
كثيرا بمعنى جميع في هذه الاية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم
على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم
ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة الملا الاعلى كان
جبريل عليه السلام من اهلك مدائن قوم لوط فتلك التشجينة لا تغلي حرقة قلوبهم فرقى يوم
بالياء والنون ويدعى كل اناس بالبناء للمفعول وقرا الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف
واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما
في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة
بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او دين فيقال
يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير
ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس
يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الاباء رعاية حق عيسى عليه السلام
واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة
لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون
كتابهم قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم
كان اصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم
ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام
منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف
الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على
عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم
حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن كان في
هذه الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار من لا يدرك المبصرات
لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة في الدنيا اما لفقد النظر واما في الاخرة فلانه
لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو
الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط
الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة
للامالة روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان

لم تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان منع من فضل وادينا وج معقله
شجرها فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاوا بكتابهم فكتب بسم
الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا
يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله
فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا
فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالت له اجعل اية رحمة اية عذاب
واية عذاب اية رحمة حتى نومن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن
الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا
ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحه
ثقيف من ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك
وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهيج من الله له
وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمومنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين
فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات
لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حياة الاخرة وهو عذاب
النار والضعف يوصف به نحو قوله فاتهم عذابا ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام
لاذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات
كما لو قيل لاذقناك اليم الحياة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة
الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا
لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نوخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة
وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على
ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل
والتوحيد رضي الله عنهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفيه
دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه
ونكاله فعلى المومن اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان
يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت كان يقول

اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم
ومكرهم من الارض من ارض مكة واذا لا يلبثون لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا
فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل ومعناه ولو اخرجوك
لاستوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض
المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا
اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم
فلو خرجت الى الشام لامنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف
الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل
بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام ليدخل
الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن
فان قلت ما وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو
مرفوع لوقوعه خبر كاد والخبر في الفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة
برأسها التي هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك
قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا
يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب
المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة دلوك الشمس غروبها وقيل زوالها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان
الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات
الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة
العشاء وقيل ان الفجر صلوة الفجر سميت قرانا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا
وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل
والنهار ينزل هولاء ويصعد هولاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده
الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان
يكون وقران الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس
القران فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض
الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلوة ونحوه التاثم والتحرج ويقال ايضا في النوم
تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد
عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات
المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم فاما محمودا نصب على الظرف

كثيرة في نسخها الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة
لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يوت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته
عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطية للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران ومحوناه عن
الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ولا الايمان ثم لا تجد
لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك
الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى
ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القران محفوظا
بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام
بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون
الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال
رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا
ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب
لا ياتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطية لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله يقول
لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القران
في بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب اللسان لعجزوا عن الاتيان
بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القران قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون
العجز حيث تكون القدرة يقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما
المحال الذي لا مجال للقدرة عليه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد
عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال
الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس المكابرة وقطب الحماقة ولقد صرفنا
رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت
كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متاول بالنفي
كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولما تبين ان القران معجز وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم
الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فعل المبهوت المحجوج المعترف في اخر امره
فقالوا لن نومن لك حتى تفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة
ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء
كما زعمت يعنون قول الله ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون

بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وقبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله
قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وجال بها العزيب او مقابلا كالعشير بمعنى
المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة ومن زخرف من ذهب
في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نومن لرقيك ولن نومن
لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية
لن نومن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معك اربعة
من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد
واللجاج ولو جاءتهم كل اية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الاية الباقية التي هي القران وسائر
الايات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال
سبحان ربي اي قال الرسول سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا رسولا كسائر
الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الايات فليس امر الايات
الي انما هو الى الله فما لكم تتخيرونها علي ان الاولى نصب مفعول ثان منع والثانية رفع فاعل اذ جاءهم
الوحي وما منعهم الايمان بالقران وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر
والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل
ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم
كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين
في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فانما
ارسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل
يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا
بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين
والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة ويشهد بكل
تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به وهو اهله لانه لا ملطف له الا من عرف ان
اللطف ينفع فيه ومن يضلل الله ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله
يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم فقال ان الذي
امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا لا يستبصرون ولا ينطقون
بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لو كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان يحشروا ماوفي نعمتهم
من الموقف الى النار ومعه الحساب فلا تحزنهم في مواضع اجمالهم يقرؤون ويتكلمون كما حكي الله كلما خبت

اي عسى ان يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان
يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود الذي يحمده القايم فيه وكل
من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعه
وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف
فيه على جميع الخلايق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوايك وعن ابي
هريره عن النبي صلعم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد
فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلعم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ربك ان يبعثك مقاما محمودا وقري
مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخلا او ادخل مدخل صدق اي
ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند
البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث
وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينه والاخراج من مكه وقيل ادخاله مكه
ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه
سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما
كلفه من غير تفريط وقيل الطاعه وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر
ومكان سلطانا حجة ينصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر
واظهارا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله
هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس
والروم فيجعله لهم له وعنه صلعم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكه وقال
انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المومن وقال والله
لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلوة
الا منافق فقال اهل مكه يا رسول الله صلعم لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا
جافيا فقال صلعم انى رايت فيما يرى النايم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ
بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على
من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبايل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى
متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك
توبة جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين
الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية فلما نزلت هذه الايه يوم الفتح قال جبريل

رسول الله

كريك الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعه فوق
الكعبه وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله حتى صعد فرمى به
فكسره فجعل اهل مكه يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد ونكا يشاالبت والحق
الذي يبتل ويخيل وزهق الباطل وذهب وهلك من زهق نفسه اذا خرجت
والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت
ونزل قرى بالتخفيف والتشديد من القران من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض
اي كل شي نزل من القران فهو شفاء للمومنين يزدادون بها ايمانا ويستصلحون به دينهم
فموقعه منهم موقع الشفا من المرضى وعن النبي صلعم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله
ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم لقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعه اعرض عن ذكر الله كان مستغنيا عنه
مستبدا بنفسه ونأى بجانبه تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشي ان يوليه عرض وجهه
والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة
المتكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد
الياس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقري وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم
لي في راي وبحوز ان يكون من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه
وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق
التي تتشعب منه والدليل عليه قوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد مذهبا
وطريقة الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سالوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله
اي مما استاثر بعلمه وعن ابن عباس لقد مضى النبي صلعم وما يعلم الروح وقيل هو خلق
عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل وقيل القران ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه
ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو
نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سوالهم وما اوتيتم
الخطاب عام وروي ان رسول الله صلعم لما قال لهم ذلك قالوا اعن مختصون بهذا الخطاب ام انت
معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة
تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف
بالشي بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير

ولحومهم وافنتها فسكن لهيبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافنا جعل الله جزاهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافنا والاعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسال بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات ليزدادوا يقينا وطمانينة قلب

لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او سال في القراءة الثانية واما على الاخير فباتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الايات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفز موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم يحكم بينكم ويميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرا ابي فرقناه بالتشديد اي جعل نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرا مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على تمهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به اولا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان

والضم م

في قلوب الناس ويجترئون به اعظم من المنكرات لا يبالون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكتمون عليه ... فان قلت علام يرجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها كلمة شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرا ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرا ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث القران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك رشدا فضربنا على اذانهم اي ضربنا عليهم حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه نعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم

اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القران ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل وافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على اذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم واية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم واشط عنه وهؤلاء مبتدا وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم معناه هلا ياتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من حجة حتى يصح ويثبت افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بكسر الميم وفتحها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان اخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا تزاور اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل

وتعلا برنا لمفعول ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين
اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت عن ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان
يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلعم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلاء
بايمان العلماء وعن الاقوال ان لم تؤمنوا به لقد امن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور
للاذقان قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما
يلقى به الارض من وجهه فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه
وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه
جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون
للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في
حال كونهم باكين عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر
الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى
مفعولين تقول دعوته زيدا ثم [illegible] والمراد بهما الاسم لا المسمى او والتخيير فمعنى ادعوا الله
او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في ايا عوض من
المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم
فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما
وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه
قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن
الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على
حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا
غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلعم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها
المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت
حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر كان يخفي
صوته بالقراءة ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل ولا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار
وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية
وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسيط في القراءة ولم يكن له ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له
لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد

والشريك

والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي
يستحق جنس الحمد وكان النبي صلعم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية عن رسول الله صلعم
من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية
ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما
انزل على عبده محمد صلعم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا
شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض
عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت
الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوفا على
انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال
ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له
الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة
وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة
ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا
لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ
قيما لينذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما
واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب
وبؤس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع
اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي
انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل
عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين
من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره
ما كثين فيه ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه اتخاذ الله ولدا في نفسه
محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته
وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم
تعلق العلم به كبرت كلمة قرئ بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب
اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة تخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد
استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان

تزاور اذا مالت اليه والتزاور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين
تقرضهم تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة الي ظعن يقرضن اقواز مشرف
شمالا وعن ابن العارض وهم في فجوة منه في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا
تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان
الله يحجبها عنهم وقيل منفتح من غارهم ينالهم فيه روح الهوا وبرد النسيم ولا يحسون
كرب الغار ذلك من ايات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة
اية من اياته يعني انما كان ذلك لان السمت تنصب بها الشمس ولا تصيبهم لاختصاصهم بالكرامة
وقيل باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان
شانهم وحديثهم من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله
واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الي نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص
بالاية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى
الي السعادة ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا من يضلله الله ولم يرشده بعد خذلان الله وتحسبهم
ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم جمع يقظ كانكاد في نكد وهم رقود نيام فيحسبهم
الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة
وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشورا ونقلبهم بالياء وقرئ تقلبهم على المصدر منصوبا
وانتصابه بفعل يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقليبهم وقرئ
الصادق عم وكلبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل
لا يعمل اذا كان بمعنى المضي فاذا اضافته اذا اضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا
نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفنا وقيل العتبة وقيل الباب واتبعه كقضا
قضاء لا يسد وصيدها على اوصد وبغي بها عن منكر والمليت بتشديد اللام للمبالغة
وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها يا وبعثنا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يملأ الصدر
اي يملاه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم
وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تع من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم
اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم
الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الاماتة
والبعث جميعا ليتسالوا بينهم ليسال بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم

دكرهم

وكرمهم به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن
الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطا قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله تعالى
اعلم بلبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها لا يعلم
الا الله تع وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم
فلما نظروا الى طول اظفارهم وشعورهم قالوا ذلك وان ثمت كيف وصلوا فوقهم فابعثوا احدكم
حديث المدة فلما كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الي علمه فخذوا في شي اخر مما يهمكم
بورقكم الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة سلب انفه يوم الكلاب فاتخذ
انفا من ورق فامره رسول الله صلعم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء
والواو مفتوحة كانت او مكسورة وقرئ بكسر الواو وادغام القاف في الكاف عن
ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وعنه جائز لا لتقاء الساكنين لا على حده وقيل
يحملونه قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما
يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله تعالى دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية
القوم من النفقات ومنه قول عائشة لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك
نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الي ان يرزق حج بيت
الله الحرام ويقول منه ذلك وكان يبايل اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه وبذلوا
له ان يحجوا به ويحملوه عليه فيكتفي راحلتهم ويجلس اليهم بين يقول فاذا انفقوا عنه قال لمن صدقه ما
هذا السفر الا شيطان الهيمان والمتوكل انما يتوكل على الله ايها ما اعا اهلها تحذف الاهل كما في قوله تعالى
القرية ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره
من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم ولا يفعلن ما يؤدي من غير
قصد منه الي الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه انهم الضمير راجع الي الاهل
المقدر في ايها ان يظهروا عليكم يطلعوا عليكم او يظفروا بكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او
يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيرونكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شي في كلامهم
يقولون ما عدت افعل كذا يريد ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم
وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين
اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من
يموت ثم يبعث اذ يتنازعون متعلق باعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون
في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول
تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواح
كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق

اليهم الناوطنا بترتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلعم بالحظيرة قال الذين غلبوا
على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبنا عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا
يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل يتنازعون بينهم امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم
وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا وروي ان اهل الانجيل عظمت فيهم
الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس
فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب
فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تع فقال ما تريدون مني
اني احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا
الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على اذانهم وقيل ان ملك مدينتهم رجل صالح مومن
وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس
مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد
به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج
الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة
فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله تع على الاية الدالة على البعث ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم
والقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوتا من ذهب فراهم في المنام كارهين
للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم
تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة
ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك
المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلعم من اهل الكتاب سيقولون
الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلعم من اهل الكتاب والمومنين سالوا رسول الله صلعم
فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب
منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه انا من اولئك القليل وروي ان
السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلعم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال
السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة
سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة ثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هولاء اصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة في امره والسابع الراعي يستشيرهم
الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جا بسين
الاستقبال في الاول دون الاخرين قلت فيه وجهان ان تدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم

وانعم

وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا
بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه
قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجما بالظن مكان قولهم ظنا حتى لم يبق عندهم فرق
بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلث رابعهم بادغام
الثاء في تاء التانيث وثلث فتح خمسة بكسرتين وبفتحتين وكذلك خمسة وسبعة وكلهم بالجر
وخمسة بفتحتين ثلثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت ما هذه الواو الداخلة على
الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة
للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاني رجل ومعه اخر ومررت بزيد
وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفايدتها تاكيد لصوق الصفة
بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين
قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم
والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث
قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها
عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل
من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل
الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار
فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان
تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد
عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت
له حتى يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة
والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء لاجل شيء
تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء
الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه
الا ان تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما
ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان
يشاء الله اي الا بمشيته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان شاء الله وفيه
وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه وما كان
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه
حين قالت اليهود سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم ولم

ولم يستثن فالتبث عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله
اذا فرطت منك ثم تذكرتك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن
عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث وعن سعيد ابن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن
طاوس وهو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة
وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة
خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك
انك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي
عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث
للاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان
ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذه الاشارة الى نبأ اصحاب
الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب
رشدا من نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو
اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند
نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة
ولعل النسيان كان خيرة لقوله او ننسها نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين يريد
لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم بهذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في
الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم
والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية كلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقرئ في حرف
عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلاث مائة وقرئ ثلاث مائة سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد [redacted] اعلالا وفيه قوله اي بثلاث مائة وازدادوا تسعا
تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها
من احوال اهلها ومن غيرها فقال له غيب السموات والارض ثم اكد ذلك بقوله ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك
والمسموعات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين
لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك
الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه
في قضائه احدا منهم وقرئ ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون له ائت بقران
غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لما يهذون به من طلب
التبديل فلا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر عليه هو
وحده واذا بدلنا اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك قالت قريش

من

من رؤساء الكفرة لرسول الله لو نحيت هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم
من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك احبسها
معهم وثبتها قال ابو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي
دائبين في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وفيه ان الغداة اجود لان غدوة
علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام عليها على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في
كلامهم يريدون وجهه اي رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمين
علا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق
به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم
قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى
قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي
ولا تضموها اليها اكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه ونقلا بالهمزة وتثقيل
الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله
ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم
تريد زينة الحياة الدنيا في موضع الحال ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان
او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله
اذا تركها غير موسومة اي لم يسمه بالذكر ولم يجعله من الذين كتب في قلوبهم الايمان وابطل
الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا
قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره
من قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت
العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء
بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من
النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت
مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم يغاثوا
بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم ومنه فتحكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي
الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلعم هو كعكر الزيت فاذا
قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله اني ارقت
فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح اولئك خبران وانا لا نضيع اعتراض ولك
ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم فان قلت اذا جعلت

نضيع جزاءات الرجوع منه الى المبتدا قلت من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ربطها معنى ولفظ نظام
من احسن مقام الضمير اقوادح ثم لحسن عمل منهم او كان كمن كلت السن مثاله بعيد مهم الادبي للابتدائه
كالثاني للبيت كالشكيا ثم ولج بها معها في حسن ويجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين
استبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين كالملوك على اسرتهم
واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمومنين بمثل حال رجلين وكانا اخوين من
بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والاخر مومن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات
في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى
الكافر ارضا بالف دينار فقال المومن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في
الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة
بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور
ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين
بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض
له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل الاخوين اللذين من بني مخزوم مومن وهو
ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله وكافر وهو الاسود بن عبد
الاسد جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين
وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا
به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا
ثانيا فتقول غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات والفواكه
ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن
كالترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص من
من الاشجار وجعلنا وافضل ما يسقى به وهو النهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ
الكان ولم تظلم ولم تنقص وانث حمل على اللفظ لان كلتا لفظة كلفظ مفرد ولو قيل اتتا على
المعنى لجاز وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما كل الجنتين اوفى اكله به المضي على كل
وكان له ثمر انواع من المال اكثر من جاهين الذهب والفضة وغيرهما وكان واقر السلام
من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء وامن ابي عمرو ايضا او حنيفا وقيل اولادا ذكورا
لانهم يتقوون معه دون الاناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وحالة
فيما الحار كله يعني قطروس اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه
منها ويفاخره بما ملك من المال دونه فان قلت لم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل
ما هو جنته ما له جنة غيرها بمعنى انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المومنون فما ملكه في الدنيا هي

جنته

جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي وهو مفتخر كافر
لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم اخبار عن نفسه بالشك في بيدها
حينئذ بطول امله وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب
اشاله وهكذا اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا لسانهم فان السنة احوالهم ناطقة به
منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما
يزعم صاحبه لاجدن في الاخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه
ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه
كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية
خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له
سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه
في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت
حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل شعرا وترمينني بالطرف   اي انت مذنب
وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا
والراجع منها اليه ياء الضمير وقرا ابن عامر باثبات الالف في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك
وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء وقرئ
لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرا ابي بن كعب لكن انا بالالف على الاصل وفي قراءة
عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي فان قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه
انت كافر بالله لكني مومن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز ان تكون ما
موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع
والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا
سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك منها الامر ما شاء الله اعترافا
بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان
شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها هو
بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة ابن الزبير
انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى
يخرج من ترني اقل بالنصب فقد جعلت انا فصلا ومن رفع جعله مبتدا واقل خبره والجملة
مفعولا ثانيا لترني وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى
ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنا فيرزقني لايماني جنة

من جنتك وسلبك الكفر نعمته وعكس امانيك والحسبان مصدر كالبطلان بمعنى الحساب اي
مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان
حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحد حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا ارضا
بيضا يزلق عليها لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط بثمره عبارة عن هلاكه
واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك
ومنه قوله الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم
مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن
كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح
يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة
سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها يا ليتني
تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله
بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان وقرئ
ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة فان قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته
من دون الله اي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره
لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله
الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي
في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله
ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع
منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان
يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم
من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا
من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه
وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق
بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرا عمرو بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله
الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا
بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف
حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على

التفسير

التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه هشيما
ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال
الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره
الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا والباقيات الصالحات اعمال الخير
التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا
اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل في الدنيا ثواب الله
ونصيبه في الآخرة وقرئ نسير من سيرت وتسير من سارت اي تسير الجبال ويجوز ان يراد
بان تجعل هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها
وحشرناهم اي جمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه
ومنه الغدير لانه ماء تغادره السيول شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان
صفا مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي قلنا لهم
لقد جئتمونا وهذا المضمر يجوز ان يكون عاملا في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى
لقد بعثناكم كما انشاناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا لقد جئتمونا
فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظام كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لانجاز
ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا ينادون
هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة
عن الاحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصاها اي احصيها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا
ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد وما كانت عندهم صغائر وكبائر وقيل لم
يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة
القهقهة وعن سعيد ابن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قراها قال
ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا
في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه
المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم كان
من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم
يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه
لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن
والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة

الملائكة مما وقع شبهة في عصمتهم فما بعد البون بين قوله من صفاته جزم انه كان ملكا ورئيسا
على الملائكة بعضا فلعن ومسخ شيطانا ثم ذكره عن ابن عباس ومعنا فسق عن امر ربه خرج عن امر ربه
من السجود وقال فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها فالفاء للسبب فسقه كان بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه
الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اي نسله اولياء من دوني فتستبدلونهم
بي بئس للظالمين بدلا من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم
نفي اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية
فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق
انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعضهم كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا
وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا ووضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا
عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب للرسول
والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرئ وما كنت متخذ المضلين
بالتنوين على الاصل وقرئ عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا
بالفتح والسكون وعضدا بفتحتين وعضدا بضمتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من
عضده اذا قواه ويوم يقول بالياء وبالنون واضاف الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم والمراد بهم
والموبق المهلك من وبق يبق وبقا او وبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون
مصدرا كالمورد والمرجع يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم وهو مكان الهلاك والعذاب
الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها
هلاك كقوله ولا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق
البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في
اعلى الجنان فظنوا فايقنوا مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا من كل مثل
من كل شيء يحتاجون اليه اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد
خصومة ومماراة بالباطل وانتصابه على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه
فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف التقدير وما منع الناس
الايمان والاستغفار الا انتظار اي ياتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب
يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا مستقبلا ليدحضوا
ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها ولا انه ازالها عن موطنها وما انذروا
يجوز ان يكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية
بمعنى وانذارهم وقرئ هزؤا بالسكون اي لا يتخذونها موضع استهزاء وجد لهم من قولهم للرسل ما انتم

الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وامثاله ذكر بآيات ربه بالقران ولذلك رجع اليه الضمير
مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر حين ذكر ونسي ما قدمت
يداه من الكفر والمعاصي عن تفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل
لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم بقوله انا جعلنا وحمل على معنى من ومعناه فلن
يهتدوا فلا يكون منهم اهتداء البتة كالمحال منهم لانه تضمنهم اسبابا من التكليف لما
جواب تحقق ذلك على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سببا في
الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على
اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا
يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم
لوط واشباههم اشار اليها لبعضهم وتلك مبتدا والقرى صفته لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس
واهلكناهم خبرا ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى
وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم
وقتا معلوما لا يستاخرون عنه ساعة فليعتبروا بهم لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك وقرئ
لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحا او مكسورا اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت
او مصدر لفتاه يعني عبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي فتاه
هو يوشع بن نون فانه كان يخدمه ويتبعه وقيل لعبده كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه لا ابرح
فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على
السفر وان كان بمعنى لا ازال فلابد من خبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة
الحال والكلام معا عليه لان الحال اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله
حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلابد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى
ابلغ مجمع البحرين ويجوز ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر
فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب
الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي
وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو اشذ من
مفعله كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة
روي ان موسى لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله تعالى شانه
ان يذكر قومه النعمة التي انعم الله عليهم فقام فيهم خطيبا وذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم

وكله فقال والله قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله
فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل
موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر فبقي الى ايام موسى عم وقيل ان موسى سال
ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى
قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى
علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو
اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء
طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى
فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه
انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها
فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من
البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة
وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامر فيه بشي وقيل كان الحوت سمكة مملوحة
وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطي عين تسمى عين الحياة فنام موسى
عليه السلام فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت ووثبت وقيل توضا يوشع من تلك
العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار
عليه مثل الطاق وحصل منه في مثله السرب معجزة لموسى عليه السلام او الخضر فلما جاوزا الموعد
وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما
راى من حياته ووقوعه في البحر قيل بعد ما جاوزا الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقى على
موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه
وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله
لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة
السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها
في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى
طلب موسى عم الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان
وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى عم من العجائب واستانس باخوانه فاعان الالف على
قلة الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا الكلام فان كل واحد من ارايت واذ وفانا

فاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما راه منه وما اعتراه من
نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني اذ اوينا الى
الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء
في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه واتخذ سبيله في البحر عجبا ثاني مفعولي
اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في اخر كلامه تعجبا
من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما راى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك
ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر
وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر طرح الياء
اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في ادراجهما يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما
اتباعا او فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم
وهو الاخبار عن الغيوب رشدا وقرئ بفتحتين وضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني
فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم من اخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران
لان النبي يجب ان يكون اعلم زمانه واما مهم المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة
بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير
قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى
ابن ميشا فقال كذب عدو الله نبي عبد العبد معه على وجه التاكيد كانهما يعني ولا يتمم
وعلى ذلك بان يتوحى موسى في خطابه ما سلكو الرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا
لا تتمالك ان يشمئز ويتغيظ ويجزع اذا راه ذلك ولا ياخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به
خبرك او لانه لم تحط بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في محل النصب عطفا
على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او في لا محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام
لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعد
بالصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند
مشاهدة الفساد شي لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واقتباس
العلم منه بري من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن
جميل فكيف اذا لم يعلم فلا تسالني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت
مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا
تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم
والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامرهما

بالخروج فقال صاحب السفينة اري وجوه الانبيا وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ
الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق
بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرى لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها
مرفوع جيئت شيا عجيبا امرا اتيت شيا عجيبا اذا عظم قال داهية دهيا ادّا امرا اي عجبا بالذي
نسيته او بشي في ارداء نسي وصيته ولا مواخذة للناسي اما خرج الكلام في معرض النهي عن المواخذة
بالنسيان موهما انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل
الى الغرض كقول ابرهيم عم هذه اختي واني سقيم واراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا اغشاه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري
وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضا وترك المناقشة وقرى
عسرا بضمتين فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحايط وعن سعيد بن جبير
فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فا وحتى اذا لقيا غلاما
فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا
عليه والجزا قال اقتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة
لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرى زاكية وزكية وهي الطاهرة
من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ
الحنث بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فتقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب
اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال
الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل نكرا وقرى بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من
الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جيت شيا انكر من الاول
لان ذلك كان يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك
قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية
بعد هذه المرة فلا تصاحبني فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك
ولا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرى فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من
لدني عذرا قد اعذرت وقرى من لدني بتخفيف النون وبسكون الدال وكسر
النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك لو
رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب اهل قرية هي انطاكيه
وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السما ان يضيفوهما وقرى يضيفوهما اضافه اذا كان له ضيفا
وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاغ من ازاغ واضافه
وضيفه انزله وجعله ضيفا وعن النبي صلعم كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى التي لا

يضاف

يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان ينقض استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة
كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس اذا اردن نصولا
وقال الراجز يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي
بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول
والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك
مستعارا للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال اذا قالت الانساع للبطن الحق قدما فآضت كالفنيق المحنق
وتقول سني للمنوابطق لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكى الي جملي طول السرى صبرا جميلا
وهو صادق ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق وقول بعضهم يابى على اجفانه اغفاوه
اذا انقاد الهموم تمرد هابت الروادف والثدي لقمصها امس البطون وان تمس ظهورا قالتا
اتينا طايعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما
كان فيه من افة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده
اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه
من انقضاض الطاير وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من
الحمرة وقرى ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا
قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام
واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع
كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لجاتهما الحاجة الى اخر كسب المرء وهي المسالة
فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما راى من الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش به وتستدفع به الضرورة وقرى لتخذت
والتا في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شي فان قلت
هذا اشارة الى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عم
ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا
اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السوال الثالث اي هذا
الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرى به ابن ابي عبلة فاضيف
المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به مساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة
يعملون في البحر وراءهم امامهم كقوله ومن ورايهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في
رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندي فان قلت قوله
فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم
عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع

للمساكين فكان بمنزلة قوله زيد على الغنم وقيل في قراءة ابي وعبد الله كل سفينة صالحة غصبا وكان
ابواه مؤمنين على انه كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وخفنا ان يغشي
الوالدين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه
وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه
وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وجل اعلمه بحاله واطلعه على
سره وامره اياه بقتله لمصلحة من الكشف عرفها في حقه وفي قراءة ابي فخاف ربك
كراهية ان خاف سوء عاقبة الامر وخشي ان يكون قوله فخشينا على حكاية لقول الله عز وجل
عنى ذكرها كقوله لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة طهارة واقرب رحما
والرحم الرحمة والعطف روي انه ولدت لهما جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا هدى الله على
يده امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين اصرم وصريم
والغلام المقتول اسمه حيسور واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل
لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم
والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم
واحلت لنا اراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وكان ابوهما
صالحا اعتدادا لصلاح ابيهما وحفظا لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين
وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة ابا وعن الحسن بن علي انه قال لبعض الخوارج في كلام
جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه قال انبانا
الله انكم قوم خصمون رحمة مفعول له باراده ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت
ما رايت من امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك
الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود
واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له
النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل
ملكا من الملائكة وعن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا
باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي سخر له السحاب ومكنت له الاسباب
وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وساله ابن الكوا ما ذو القرنين املك
ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات
ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله وقيل كان يدعو

التوحيد

التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها
وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن
وهب لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل
كان لتاجه قرنان وقيل على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع
كبشا كانه ينطح اقرانه وكان له من الروم والذي نجى راس اثنا ولد عنا قال سائلوه هم اليهود
سالوه على جهة الامتحان وقيل سائله ابو جهل لعنه الله واشياعه والخطاب في عليكم للسائلين
الرزقين من كل شيء من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا يوصله
اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا
يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع
في عين حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه
كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه
قلت الله ورسوله اعلم قال انها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر والحسن
وقرا ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة
فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرا قال كما يقرا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس
وكان ثم رجل فانشد قول تبع فراى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد
اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجاز ان تكون العين
جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام
فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم
الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل صالحا ما يقتضيه
الايمان فله جزاء الحسنى وقيل هو حين يخير بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله الجزاء
الحسنى فله ان يجازي المثوبة الحسنى اي فله جزاء لفعله الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ
فله جزاء الحسنى اي فله لفعله الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ في القدور وهو العذاب
النكر ومن امن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة
والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام
وهو المصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مقعد الشمس ذو لها يريد كان اثار حرجها
الراسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا
طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي

صاحب يوم فسألتهم فقالوا اصحبنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة
الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق
الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك
ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر الابنية وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان
عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره
وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا كثيرا ذلك وقيل لم نجعل لهم
من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان
من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها
وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم
مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من امن منهم بين السدين
بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله
فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي
هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه
مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله
لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك
مما يلي المشرق وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفقهونه
الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع
كلامهم ولا يبينونه لقلة فطنتهم وغرابة لغتهم مجهولة ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع
الصرف وقرئا مهموزين وقرئ وياجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج
من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس
وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا
يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن النبي صلعم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف
ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار
مفرطوا القصر فرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال
سدا او سدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما
تبذلون لي من الخراج فلا حاجة لي اليه كما قال سليمان عم فما اتاني الله خير مما اتاكم وقرئ مكنني على الفك
فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالالات ردما حاجزا حصينا
موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى
بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم

حتى

حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب
النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا
وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلعم ان رجلا اخبره
به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال قد رايته بين الصدفين
جانبي الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين والصدفان
بضمة وسكون والصدف بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر قطرا منصوب
بافرغ وتقديره اتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وقرئ قال ائتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لانها تقارب المخرج
من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في
الطاء فلاق بين الساكنين على غير حده ان يظهروه ان يعلوه اي لا حيلة لهم فيه من
صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا اشارة الى السد نعمة من الله
ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي وقت وعده
يوم القيمة وشارف ان ياتي جعله دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط
بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا
مستوية وكان وعد ربي حقا اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم
بعض الخلق يموج في بعض انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج
وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون
ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا
يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في اقفائهم
فيدخل في اذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وابرزناها لهم فراوها وشاهدوها عن ذكري
عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القران وتامل معانيه وتبصرها وكانوا
صما بكما عميا كانوا لا يستطيعون سمعا يعني كانوا اصماء عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني
الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرأ ابن
مسعود فظن الذين كفروا دلالة على ان الحسب الذين كفروا اي افكافيهم وحسبهم في
معتقدهم اولياء على الابتداء والخبر وعلى الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة
ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله
حسبا ثم حكى فزاد حكمه حتى النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم
ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي كرم الله وجهه كقوله عاملة ناصبة وعن ... اهل الكتاب وعن علي

ان ابن الكوا سأله عنهم فقال هم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم
القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم وزنا فنزدري
بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام ميزان لان الميزان انما وضع لاجل
الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان قلت الذين ضل سعيهم في اي
محل قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن
السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم
الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادني حبها عودا يعني لا مزيد
عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في
الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد
الخلود مدادا اسم ما يمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد
مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمداد الحبر
الحبر لنفد قبل ان تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير
نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن
عباس بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب
وقرئ ينفد بالياء قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا ثم تقرءون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير
ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه
وان لا يبغي به الا حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسر اللقاء فمن
كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبغي به
الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله
اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه
قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم
اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له
نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان
له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان
كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يستيقظ تم الكتاب بعون الملك الوهاب واليه المرجع والمآب
وذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ستة وثلثين بعد
الالف كتبه ... محمد علي

١٤/